الرحلة إلى الإسلام

يوميات دبلوماسي ألماني

١٩٥١ — ٢٠٠٠

مراد ويلفريد هوفمان

تعريب

د. محمد سعيد دباس

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

هوفمان، مراد ويلفريد

الرحلة إلى الإسلام، يوميات دبلوماسي ألماني ١٩٥١–٢٠٠٠. / مراد ويلفريد هوفمان؛ محمد الدباس. – الرياض، ١٤٢٥هـ

٣٠٦ ص، ١٦,٥X٢٤ سم

ردمك: ٩ – ٦٧٠ – ٤٠ – ٩٩٦٠

١– اعتناق الإسلام – قصص ٢– هوفمان، مراد ويلفريد

أ. الدباس، محمد (مترجم) ب. العنوان

ديوي: ٢١٣ ١٤٢٥/٦٤٥٢

ردمك: ٩ – ٦٧٠ – ٤٠ – ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٤٢٥/٦٤٥٢

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض – العليا – تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العروبة

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرمز: ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

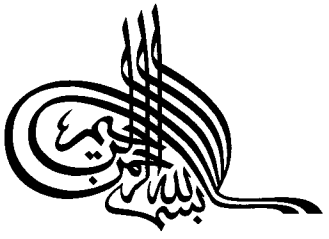

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب ٥
شكر وعرفان ١١
الإهداء ١٣
مقدمة المترجم ١٥
توطئة ١٧
تمهيد ١٩
مقدمة ٢١
نبوءات محققة للذات ٢٣
حوادث لا ينجو منها المرء ٢٦
الصورُ تحدُّ الخيال ٢٨
التسامح كَنُكرانٍ للذَّات ٣١
لغةُ [كلام] الله؟ ٣٢
كُحُولٌ لألمانيا ٣٥
وجدتُ الحلَّ ٣٧
كيف يضعُ المسلمون علامةً صغيرة ٣٩
حبٌّ بدولارٍ فقط ٤١
في مضامير الأسقف آريوس ٤٣
تعليم التسامح ٤٥
الصيام بهدفٍ ٤٩
المرء أعمى دون الوحي ٥١

شُرْبَةُ ماءٍ لا يعدلها وزنٌ..... ٥٣
آلام العضلات، والمعنويات الجديدة..... ٥٥
بطولة في الباليه - ومنافسة دينية..... ٥٧
القسمة والنصيب ليست عذراً..... ٥٩
حفلة الدراويش..... ٦٠
القديس بولس، المهرطق..... ٦١
الأخلاق التجارية..... ٦٣
ثلاث مرات، وليس أربع..... ٦٥
الطريق إلى مكة..... ٦٧
تحرُّرُ المسلم..... ٧١
خاتم الأنبياء..... ٧٣
هل يمكن أخذ جزء من الإسلام فقط حسب الرغبة؟..... ٧٤
مسلمٌ رغماً عني..... ٧٥
لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ..... ٧٦
لماذا لا نكرر الأمر أربعاً؟..... ٧٧
الدراويش الدوارون في قونية..... ٧٨
مناعة الإسلام..... ٨٠
القانون الدولي للمسلمين..... ٨٣
فضيحة من الطراز العالي..... ٨٥
ابنُ خلدون، وليس "ماركس"..... ٨٧
السُّنَّةُ والشيعة..... ٩٠
المؤتمر الأول لنيقية *Nicaea*..... ٩٣
الكنيسة ليست مسجداً..... ٩٥

أمرٌ يصعبُ تصديقه! ٩٧
مجتمع الكحول - النيكوتين - الخنزير ٩٨
الأخوة الإسلامية ١٠٠
الحج إلى مكة ١٠١
مباشرة إلى إبراهيم عليه السلام ١٠٤
على مقربةٍ من قبر النبي ﷺ ١٠٦
حادث في الفندق ١٠٧
نبذةٌ عن حجاب النساء ١٠٨
الاستغراق في الصلاة ١١١
همومٌ عن صحة الصلاة ١١٣
الإسلام وارتفاع أسعار النفط ١١٥
إعلان استسلام العقل ١١٧
تقدُّمُ الإسلام ١٢٠
نظيف، أنظف، الأنظف! ١٢٢
المسلمون المحليون ١٢٤
حيلٌ لغوية ١٢٦
هناك أمر غريب حولها! ١٢٨
التعددية الإسلامية ١٣٠
الرسول الأمريكي ١٣٣
الختان ١٣٤
خرافة ١٣٥
أستغفر الله في حال النصر ١٣٧
ديونايسيوس الأريباغتي ١٣٨

لقد ظنوا أنني أمزح... ١٤٣
النساء في الإسلام... ١٤٦
أين تُخطئ الصوفية؟ ... ١٤٩
دليل من الإنجيل... ١٥٢
العقلانية، والحرية، والحب... ١٥٤
لو أن سعادته قاوم قليلاً... ١٥٥
الديموقراطيات الإسلامية؟... ١٥٧
ليس هناك خطر ما لم يكن هناك ضرب... ١٦٠
دعوة قائمة ومستمرة... ١٦٢
قالت: "آه"... ١٦٥
أربعة "شحارير" من اسطنبول... ١٦٦
الحب الأخوي مقابل الإخاء ... ١٦٨
إنه مسلم، ومع ذلك فإنه ليس غبياً!... ١٧١
الإنجيل، والقرآن الكريم والعلم ... ١٧٤
الإسلام والإجهاد ... ١٧٧
أتاتورك وغيره من الأشخاص الغريبي الأطوار ... ١٨٠
الحنين إلى الوطن في "أسكندر" ... ١٨٢
كيف نتعامل مع الموت؟... ١٨٣
لقاء مع محمد أسد... ١٨٦
أبعدوا أصابعكم عن القرآن الكريم... ١٨٨
مشية طويلة خلال المعاهد... ١٨٩
مسلمون سود، وإمام أبيض!... ١٩١
ما لا يمكن أن يكون حقيقة، لن يكون حقيقة؟!... ١٩٣

وحدة الوجود، وهيجل، والغنوطسية يقولون لبعضهم: مرحباً!..... ١٩٤
في عين الناظر..... ١٩٩
حقائق أسطورية..... ٢٠١
حقوق الإنسان في الإسلام..... ٢٠٤
خرافات وأوهام رقمية..... ٢٠٨
هل الرقم ١٩ هو السرُّ؟..... ٢١٢
الاستقامة والثبات عند "كونغ"..... ٢١٥
الانفجار الشهير في الجزائر..... ٢١٨
آخر الإباضيين..... ٢٢٢
نظرية الانفجار العظيم: لا مكان فيها للإله؟..... ٢٢٦
"إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا"..... ٢٢٨
الإسلام هو البديل..... ٢٣٠
أقدم مدينة في العالم؟..... ٢٣٢
ملخص إعدامي من قبل الإعلام..... ٢٣٥
دروس المساء [الدروس الحسنية]..... ٢٣٨
الحج كمسألة لوجستية..... ٢٤١
الصبر عند الشدائد والملمات..... ٢٤٣
في "روضة" المسجد النبوي..... ٢٤٤
"الحجُّ" ليس هو "العمرة"..... ٢٤٧
عرفات..... ٢٤٩
عيد الأضحى... في المكان ذاته..... ٢٥١
لو كان هناك حيتان..... ٢٥٤
إنه لأمرٌ مخجل!..... ٢٥٧

كيف يمكن أن تكون سياسياً على صواب؟ ٢٥٨
حوارٌ أم مواجهة ٢٦٠
ما بعد مالكوم إكس... ..... ٢٦٢
"مسلم" السنة..... ٢٦٥
القرآن الكريم: مرة بعد أخرى..... ٢٦٧
زيارتي للمهدي ٢٦٩
بيت القرآن الكريم ٢٧٢
"إذا زلزلت الأرض زلزالها..." ٢٧٤
الدعوة تحت شجرة جوز الهند ٢٧٦
"فاس" مقارنة مع "لاهور" ٢٧٨
دفنٌ في اسطنبول..... ٢٨٠
الذكرى المئوية لمحمد أسد ٢٨٢
قائمة ألفبائية بأهم المفردات والمصطلحات الواردة في الكتاب..... ٢٨٤

شكر وعرفان

إن المؤلف مدينٌ للسيد وليان يونغ على ملاحظاته القيمة التي قدَّمها على مخطوطة هذا الكتاب.

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى إخواني المسلمين في بلاد الغرب . . .

مقدمة المترجم

لا بدَّ لي هنا أن أسجِّل شكري لأخي الأستاذ عماد ريحاوي الذي ساق إليَّ هذا الخير حيثُ طلب إليَّ نقل كتاب الدكتور مراد ويلفريد هوفمان إلى العربية ليستفيد من تجربة هذا الكاتب، المفكِّر، المثقَّف، الدبلوماسي، اللَّبق، إلى القراء الذين يحملون همَّ الدعوة إلى الله، ويساهمون من قريب أو بعيد في الدعوة إلى الإسلام بين غير الناطقين بالعربية ممَّنْ لم يسمعوا بعدُ بهذا الدين العظيم، أو سمعوا به من خلال الإعلام المُغْرِض المناوئ لدين الحقِّ والخير والعدل والمساواة.

وقد اتضحت لي، دون أدنى شك، الثقافةُ الواسعةُ التي حبا الله المؤلفَ بها، وسعة اطلاعه، وصدق لهجته في الدعوة إلى هذا الدين العظيم، ورقيق حسِّه، ووضوح منهجه، وصدق عقيدته ومتانتها، بحمد الله وتوفيقه وقدرته، نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله.

أعجبني كثيرٌ من مواقف الكاتب، وتأملاته، وثقته بالله، وأمله الواسع أن يحييَ الله موات أبناء أوربا ويهديهم إلى هذا الدين العظيم؛ دين الله الذي اختاره لأهل الأرض.

ولا بدَّ لي أن أدوِّن هنا أن الكاتب أبكاني مراراً من خلال رقَّة مشاعره، ودقة تصوراته، وثاقب نظره في أمور عقيدتنا وشرعنا وديننا الحنيف.

وأضحكني أحياناً، وأثلج صدري جداً أن أقرأ كثيراً من ردوده المباشرة المتعقلة الحصيفة والمسكتة على غير واحد، وفي غير مناسبة، لمن يناوئ هذا الدين أو يريد به شراً.

وقد حرصت من خلال الترجمة أن أنقل بدقّةٍ أفكار الكاتب، وتصوراته، وآراءه، وعواطفه، وقد بذلت ما وسعني من جهد ودقة وموضوعية وأمانة ووقت، فإن أحسنت، فبتوفيق من الله وعونه وفضله، وإن أخفقت، فمني ومن الشيطان، أعاذنا الله وإياكم من شروره ونفثه ونفحه ونفخه.

ثم إني اجتهدت في وضع قائمة بأهم المفردات التي وردت في هذا الكتاب لما رأيته من خير في جمعها ووضعها في متناول الدعاة الذين يسهمون في الدعوة بين غير الناطقين بالعربية، لعلها تثري معلوماتهم وتفيدهم في التعرف على الكثير من المصطلحات التي قد يتعرضون للحديث عنها أثناء عرض الدعوة إلى غير المسلمين، فالله أسأل أن ينفع بها.

ويطيب لي أن أسجل الشكر الخالص إلى أخي الأستاذ عماد جانودي الذي قرأ مسودة الترجمة قبل النشر وأبدى عدداً من الملاحظات القيمة، جزاه الله خير الجزاء، وأخي المهندس مازن جراح الذي أفدتُ من ملاحظاته الطيبة، وأخي الأستاذ وليد نذير عتمة، الذي قرأها وعلّق عليها مأجوراً ومشكوراً.

والشكر موصولٌ قطعاً للناشر، مكتبة العبيكان، وأخصُّ بالذكر الأستاذ محمد العبيكان، لحرصه على تقديم فكر هذا المفكّرِ المسلم من أصل غير عربي إلى أبناء العربية والإسلام، لعلهم يرون مدى الحاجة إلى مساهمتهم، وهم أبناء العروبة والعربية، في الدعوة إلى هذا الدين ونشره والحُرْقَةِ عليه.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

المترجم: د. محمد سعيد دباس

الرياض. ١٤٢٥هجري = ٢٠٠٤ ميلادي

mdabas@stc.com.sa

توطئة

يمكن تلخيص المأزق الذي يعيشه الإنسان المعاصر في عدة كلمات: لقد عرفنا كيف نطير في الأجواء كالطيور، وعرفنا كيف نسبح في المحيطات كالأسماك، إلا أننا لم نعرفْ بعدُ كيف نعيش على الأرض كما يعيش بنو البشر الطيبون. وإن بحث الإنسان عن تعلُّم كيفية الحياة كإنسان جيد يطرح أكبر تحدٍّ للإنسان في الألفية الجديدة. ولا غرو أن القرن العشرين شهد تقدماً ملحوظاً في الإنجازات العلمية، والتقنية، والتطوير. إلا أنه مع ذلك، كان أعنف قرنٍ في التاريخ البشري فقد قضى على أكثر من مئة مليون نسمة خلال الحربين العالميتين، كما شهد أكثر من مئتي صراعٍ من الصراعات المحلية. وبالرغم مما شهده القرنان الماضيان من التطور الاقتصادي فلا يزال أكثر من ٤٠٪ من سكان الأرض يعيشون في فقر، بينما يعاني أكثر من ٢٠٪ آخرون من فقر مدقعٍ، بينما نلاحظ أن ٨٧٪ من الإنتاج الإجمالي المحلي تمتلكه وتتحكَّم فيه عشرون دولةً تمثِّل ١٨٪ من سكان العالم بأجمعه. فهل سيكون القرن الحادي والعشرون أحسن حالاً من هذا؟ ولن نجد جواباً سهلاً على هذا السؤال.

وقد تكون الإجابات السهلة مضللةً أحياناً. ومع ذلك، فإن اليأس من متابعة البحث سيقود بكل تأكيد إلى العدم والهلاك، ولا يبقى أمامنا إلا خيارٌ واحد حقيقي وهو البحث عن خياراتٍ بديلة. وكثيرة هي قصصُ الأشخاص الذين انخرطوا في هذا المضمار، إلا أنهم غالباً ما نجحوا في تقديم تعزيةٍ جزئيةٍ فقط لما يبدو أنه أفقٌ كئيبٌ موحِشٌ. ومن بين أولئك الذين اهتموا بالبحث عن تلك الخيارات البديلة واستطاعوا أن يروا قليلاً من النور في نهاية النفق المظلم مفكرَّان ألمانيان هما: ليوبولد ويس *Leopold Weiss* (محمد أسد)، ومراد ويلفريد هوفمان. وأما قصص بحثهما عن

الحقيقة فقد رواها بأسلوبين متغايرين تماماً. فَبَيْنَا نلحظ أن كتاب محمد أسد "الطريق إلى مكة" هو الأوديسة المحرِّكة للمشاعر لروحٍ مضطربةٍ معذَّبةٍ كانت على موعد مع قدَرِها خلال النصف الأول من القرن العشرين، فإننا نجد في كتاب مراد هوفمان "مذكرات"، والذي يغطي النصف الثاني من القرن ذاته، ينتمي إلى نوع آخر. فرؤاهُ مشرِقَةٌ لأنها تكشف الحجب عن نبضات قلبٍ، وشوقِ الروح للبحث عن الحقيقة في عالمٍ أقلقه الفقر مع الكثرة، والبؤس مع الثروة والازدهار، والتشوش والاضطراب مع التقدم. وإن الإشعاعات الهادئة من الضوء التي تنبعث من صفحات هذه المذكرات تبعثُ نشوةً في الذهن وتثير كوامن الروح.

لقد كان من دواعي سروري أن أقرأ هذه المذكرات آنَ كنت أعدُّ لاستقبال الدكتور مراد هوفمان في إسلام آباد ليكون الضيف المتحدث الأول في "محاضرة ذكرى خرَّم مراد" في شباط/فبراير ٢٠٠٠. وساءني جداً أن أعلم أن هذا الكتاب لم يعدْ متوفراً لعدم طباعته لفترةٍ طويلة نسبياً، ولذلك فإنني شاكرٌ جزيل الشكر ثانية لأن الأخ مراد هوفمان وافق دون تردد على تحديث هذه المذكرات ومنح المؤسسة الإسلامية الفرصة لنشرها بشكلها وحُلّتها الجديدين.

ويشرفني أن أقدم توطئةً لكتابٍ غنيٍّ بإضاءاته الفكرية وملاحظاته عن العالم الذي نعيشه اليوم، كتابٍ يكشف كثيراً من المعالم في الرحلة إلى الإسلام. وليس هذا الكتاب مذكرات لشخص واحدٍ فقط، بل هو سجلٌّ تاريخي لعصرنا، بل وقد يكون رائداً للمستقبل.

ليستر. ٢٠ تشرين أول/أكتوبر

٢٢ رجب ١٤٢١

خورشيد أحمد

تمهيد

ألقتْ الإشراقات الفكرية التي كشفتها هذه المذكرات الضوء على الطريق التي سلكها المؤلف إلى اعتناق الإسلام، وهي عملية امتدت على مدى سنوات عديدة، تُوِّجتْ باعتناقه الأكيد لهذا الدِّين العظيم عام ١٩٨٠.

وكما أشار المؤلف مراد هوفمان، "إن صفحات هذا الكتاب لا تعدو أن تمثِّلُ "حواراً مع الذات"، نشأتْ بسبب الاستغراق الشديد لمثقَّفٍ ألماني مع قضايا الأخلاق، والسلوك وعلم الجمال.

وقد بدا مراد هوفمان للوهلة الأولى نافراً من مادية الحضارة التقنية، وكذلك من عُقْم علم الاجتماع الغربي وما يتضمنه من إنكار لكافة القيم المتعلقة بتساؤلات الإنسان عن مصيره الروحي، مما قادهُ، كما هي الحال، إلى اكتشاف التناغم بين الأشكال الجمالية للعالم الإسلامي، والمظهر الديني الذي تتحلى به الشعوب الإسلامية. وقد أدى هذا الاكتشاف بدوره إلى الكشف عن العلاقة الحميمة بين الثقافة الإسلامية والدين الإسلامي.

وقد حفزته تجاربه كدبلوماسي ورحَّالةٍ في كثير من البلدان الإسلامية، وبشكل رئيسٍ في دول شمال إفريقية وتركيا، لينغمس في دراسة القرآن الكريم، وبمرور السنين، أدرك مراد هوفمان أن اعتناق الإسلام وقبوله هو النتيجة المنطقية الوحيدة لبحثه المطلق عن حقيقة الحياة. وبناء على هذا فقد اتخَّذ اسمه "مراد"، والذي يشير إلى أهمية "الهدف" الأسمى، أو ما يمكن أن نعبِّر عنه بأنه الهدف الأسمى لحياة ويلفريد هوفمان.

ولا شكَّ أن هذه المذكرات، كما سيظهر من صفحات هذا الكتاب، ستساهم إلى حدٍّ كبير لفهمٍ وتقديرٍ أفضل للإسلام من قبل الغربيين الذين لا يزالون ينظرون إلى ديننا بنظراتٍ تتفاوت ما بين الشك إلى العداء، والذين يعاندون ويصرون على رفض قبول التفكير بأن هناك إمكانية لوجود وحي سماوي حقيقي بعد زمن عيسى عليه السلام، بل هو الوحيُ الذي يختلف بشكل جوهري عن الأديان الفاتنة الصور كما هي في الإنجيل، والتجارب الدينية للغرب، وذلك بسبب وضوحه، وبساطته.

محمد أسد

ليشبونة. كانون أول/ديسمبر ١٩٨٥

مقدمة

«المرء عدوُّ ما جهل»

علي بن أبي طالب ﷺ

يبدو لي أنه من الأسهل أن أشرح ما لا تعنيه هذه المذكرات، من أن أصف ماهيَّتها. فهي بالتأكيد لا تسجِّل الانطباعات والمشاعر النفسية العميقة لـ: "اعترافات" شخصٍ تحوَّل من دينه واعتنق الإسلام، كما أنها لا تحاول أن تتفحص ما لا يمكن تحليله: العناصر المتكاملة لكل من المشاعر والتأمل التي شجَّعتْ ودفعتْ لتغيير الديانة. كما أن هذه المذكرات لا توفِّرُ سيرة ذاتية متسلسلة الأحداث تاريخياً، حتى ولو أنها عكست وعبَّرت عن حوادث ثابتة، كما هي الحال لدى الحديث عن مكة المكرمة والمدينة المنورة. إلا أن هذا الكتاب يصور، كما هي المرآة، مراحل محددة من العملية الذهنية الفكرية التي مررت بها حتى اعتناق الإسلام والتي غذَّاها عددٌ محدودٌ من التجارب الرئيسة. ولقد كانت عملية انجذاب ذاتية عميقة الجذور إلى علم الجمال وعناصر الثقافة الإسلامية، والحضارة الإسلامية، والفلسفة، والتي لعبت دوراً رئيساً فيها.

غالباً ما يُحسَد الدبلوماسيون على قدرتهم على تمثُّل الثقافات الأجنبية وامتصاصها، وحتى إذا كان هذا الأمر من الخطوط الجانبية فقط. إلا أن اختراق ثقافة أجنبية غريبة والوصول إلى كوامنها أمر يحتاج إلى مزيد من الجرأة العاطفية والعقلية. وهو أمر أيضاً يحتاج إلى مغامرة: أي، إدراك أساس الحضارة وجوهرها من الداخل، ألا وهو الدين.

ولا شك أن من يعتنق الإسلام من غير أهله سيرى بلاده "بضوء جديد". وسيقوده هذا مُكْرهاً إلى حوارٍ مع ذاته. نعم، هذا هو موضوع هذا الكتاب.

مراد ويلفريد هوفمان

بروكسل. صيف عام ١٩٨٦

نبوءات محققة للذات

سكينتستادي . نيويورك . ١٧ مايو/أيار ١٩٥١

لقد مرَّ عليَّ عامٌ حتى الآن، وأنا أدرس علم الاجتماع في جامعة كلية يونيون، قريباً من موهاوك ريفر في المنطقة التي تُسمى "أب ـ ستيت نيويورك". إن الأسلوب الذي تتبعه هذه الكلية لدراسة هذا الموضوع هو تجريبي متشدد. إن البحث في مجال الوظائف الاجتماعية للإنسان والنماذج السلوكية له لا تبدأ من صور ذات أساس فلسفي أو ديني لطبيعة الإنسان الأساسية وهدفه، كما أن الأحكام القِيَمِيَّةَ (المبنية على القِيَم الجمالية فحسب) محظورة على أنها "غير علمية" في صالح المظاهر الكمية. وإن كلاً من المرأة والرجل يُعدَّان ويُقاسان فيما يتعلق بتفاعلاتهما الاجتماعية. كما أن وظيفتهما بالكامل ودورهما في الحياة إنما يُنظر إليهما من خلال التكامل الاجتماعي والفائدة التي يقدمانها فقط. ويتطابق هذا مع وجهة النظر الشهيرة لسيجموند فرويد في علم نفس الفرد والمفهوم المادي والميكانيكي للحياة والفكر. ويشبه هذا الأسلوب السلوكي الطريقة التي طبَّقها كارل فون فريش عندما حاول تحديد معدل الذكاء والعادات الوراثية للنحل.

ولقد اكتشفنا "القوانين" التي تحكم كافة الأنشطة البشرية والمجتمع قبل سنين من مجيء كتاب فانس باكرد "متسلِّقُ الهرم"، و"البرية الجنسية"، و"المُقنِعُ المختفي"، وكتاب كونراد لورنز "العدوان". إلا أننا لما نتنبَّه بعد للأثر العادي للبحث الاجتماعي: وكلما اتسعت قراءة الناس عن الشخص "العادي" طبقاً للبيانات الإحصائية، ازداد ميلهم إلى التماشي مع مبدأ "العادي".

إن علم الاجتماع هو نبوءة لتحقيق الذات! وحقاً، لقد كان زملائي الطلاب في جمعية الطلاب "بسي أوبسيلون" تتملكهم رغبة جامحة أن يظهروا "عاديين"، ومتماشين مع الوضع، ومسايرين للحال.

إن مثل هذا الأسلوب لتتبع الحقيقة البشرية لا يتوافق كما يبدو مع علم الإنسان [الإنثروبولجيا] المتأصل في الفلسفة. كما أن من الواضح أيضاً أن "لا أدرية" علم الاجتماع المتنكرة في هيئة علم السلوك كانت مُجبَرةً على صرف الناس عن النسيج التقليدي من الأخلاق الاستقلالية التي تدعم المجتمع.

ولن يكون شيءٌ أفضل تعبيراً عن هذا التحليل المنهجي للعوائق الأخلاقية من الرياضة الجنسية الصارخة المكرسة في بيئة الطلاب التي أنتمي إليها. فإذا كان التطابق أو: "مجاراة الآخرين" ينظر إليه على أنه الهدف المنشود لكل الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية للإنسان، فإن كل شيءٍ، بما في ذلك الحقيقة، سيصبح نسبياً. وكما يقول جورج سايميل [*George Simmel*] "إن إنساناً بلا شخصية، هو إنسانٌ ليس له ضمير أو وعي اجتماعي".

إن هذا النوع من علم الاجتماع يدعي أنه غير عقلاني، بل إنه معادٍ للعقلانية. إلا أن هذا في الحقيقة إنما هو حالة مُعْتَقَدٍ زائفٍ تختفي وراءه الأشْرَاكَ المُضَلِّلة البدائية للعلوم الطبيعية. وفي الواقع، أليس من العقلانية البالغة ألا يسخر الإنسان، أو يرفض أن يسأل الأسئلة الأساسية عن الإنسان: من أين أتى؟ ولماذا أتى؟ ولأي سبب؟ وهي الأسئلة التي لم يستطع أن يتجنَّب توجيهها كلُّ الفلاسفة الجادين ورجال الدِّين خلال التاريخ بأكمله.

إن علم الاجتماع الذي يثيره علم التربية الذي يبحث عن الاتساق بأصغر قاسمٍ مشتركٍ، أليس هذا نتاجَ نظرةً عالميةً، وهي الفلسفة الفردية

أو العرقية في تفسير التاريخ أو تفسير الغاية من العالم كَكُلّ؟ نعم إنها بالتأكيد كذلك، وذلك لأن هذا النوع من علم الاجتماع يعدُّ النتائج التي يريد الحصول عليها قبل التصنيع. وبالنسبة له، فإن الإلحاد ليس فرضية مقبولةً، بل هو أمرٌ بَدَهِي. إلا أنه إذا أصبح هذا مفهوم العالم عن الأمريكان، فإن الأمر سيكون سِيَّانَ أيضاً في أوروبا. كيف لنا أن نتماشى ونتعايش مع معتقدٍ زائفٍ مثل "العلمية" الماركسية إذا نحن رفعنا الإلحاد إلى طريقة حياة، ونحن بهذا سنعرِّضُ نظام القِيَمِ الغربية إلى آثار "اللاأدرية" التامة، وبالتالي حياد القِيَم؟

حوادث لا ينجو منها المرء...

مدينة هولي سبرينغز. ولاية ميسيسيبي. ٢٨ حزيران/يونيو ١٩٥١

لقد سافرتُ على طريقة "أركبني معك من فضلك"، ولستُ أحمل معي شيئاً أكثر من ملابسي للعمل كنادلٍ (أو على الأقل ماسحٍ للطاولات في المطعم)، من شمال ولاية نيويورك من خلال ولاية نيوجيرسي وولاية كارولينا الجنوبية إلى ولاية فلوريدا، عائداً بعد ذلك إلى ولاية جورجيا. وتوقعنا أن نصل إلى مدينة ممفيس في ولاية تينيسي في أي لحظة الآن. ولطالما حلمت أن أعبر جسر نهر الميسيسبي مشياً على الأقدام هناك.

وبعدئذٍ، ومن حيث لا ندري، ظهر أمامنا ظلّ شبحٍ لا ندري ما هو. واهتزتْ بارتعاش مفاجئٍ قدمُ السائق الذي كنت أجلس بجانبه عن دواسة البنزين. إلا أنه لم يكنْ هناك استخدامٌ للمكابح من قبل أيٍّ الطرفين.

وقرأنا في اليوم التالي خبراً رئيساً بعنوان: "صدامٌ وجهاً لوجهٍ" في الجريدة المحلية التي روتْ قصة السائق السكران الذي عبر الطريق السريع بعكس السير. وبعد فحصي في المستشفى شخَّصَ الأطباء حالتي كما يلي: "كسرٌ في الفكِّ العلوي للفم، تشوُّهٌ في الشَّفَةِ السفلى، وانخلاعُ تسعة عشر سناً وضرساً من الفم. وقد انخلعت ذراعي اليمنى من مكانها، وكانت هناك ندبةٌ عميقةٌ في ركبتي اليمنى، إلا أنني لم أعانِ من أعراض ارتجاجٍ في الدماغ، ولا من صدمةٍ نفسية.

لقد اصطدمت السيارتان من صنع شركة شيفروليه وجهاً لوجهٍ بسرعةٍ مجتمعةٍ بلغتْ تقريباً حوالي خمسة وتسعين ميلاً/ساعة. ولو أنني

قفزت من الطابق الخامس في مبنى مرتفعٍ لكانتْ احتمالات بقائي حياً مماثلةً لنتيجة حادث الاصطدام المذكور.

وبينما كان يحاول الطبيب الجرَّاح إعادة ترتيب وجهي الممزق إلى وضع قريبٍ من الطبيعي، تعجَّب بصوتٍ مرتفعٍ قائلاً: "كيف كان يبدو هذا الشاب قبل الحادث؟" وأومأت برأسي إلى الطبيب الجراح أن باستطاعته أن يجد جواز سفري في جيب بنطالي الممزق المصنوع من الجينز ليتعرَّف على شكل وجهي من الصورة الموجودة على الجواز قبل الحادث. ودقَّقَ الطبيب فترةً ليست بالقصيرة بين الصورة وبين معالم وجهي الممزق المبعثر، وأجال النظر بين الصورة والحقيقة المُرَّة، وأخيراً قال بصوت متردد: "إنه يمكنني أن أجري جراحةً تجميليةً بعد عدة سنواتٍ..."

وبعد أن أعطاني إبرة التخدير في الليلة الأولى من وجودي في المستشفى، هزَّ الطبيبُ الجرَّاحُ رأسه وقال بنوع من الاحتفاء: "يا عزيزي! إن المرء لا ينجو من حوادث مثل هذه! ولا شكَّ أن الله يخبئُ لك شيئاً في مستودع قَدَرِه."

وبعد تسعة وعشرين سنةً من هذا الحادث، وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر أيلول/سبتمبر عام ١٩٨٠ أدركتُ ما قاله ذاك الطبيبُ الجراح.

الصورُ تحدُّ الخيال

غرناطة . قرطبة . ٧ تموز/يوليو ١٩٥٨

لا غـرو أن الخـبراء الألمـان المـشهورين بخـبرتهم في الفـن الإسـلامي وهندسة العمارة الإسلامية، أمثال: إيرنست كهنل، وكاثرينا أوتو ـ دورن، وألفريد رنز، يرون أن من الصعوبة بمكان تحديد موضوعهم وتعريفه. وقد كانت النظـرة الإجماليـة لـ: "أوليج جرابـر" هـي أن الفنـانين الإسـلاميين كانوا اصطفائيين إلى حدٍّ كبير نظراً لخلفيتهم الشخصية واحتكاكهم مع الثقافات في كل من: سورية، والدولة البيزنطية، والفارسية، والقبائل التركيـة، واعتقـدوا أن هنـاك عنـصراً وحيـداً فقـط، وهـو الاسـتخدام التـزييني للخـط العربـي، هـو الـذي يمكـن اعتبـاره علامـة مميـزة خاصـة، وسمةً مـن سمـات الفـن الإسـلامي. ومـع هـذا، فـيمكن القـول: إنـه حتـى الأطفال، يكادون لا يخطئون في تحديد التحف الفنية الإسلامية على أنها تنتمي إلى فئة محددة من الفن.

ولا شك، بالطبع، أنه لا توجد حركةٌ فنية (بما في ذلك الفن القوطي *Gothic*) بـدأت مـن الـصفر. وهكـذا، فلـم يعـرف الفـن الإسـلامي "سـاعة الصفر"، إلا أنه امتص تلك العناصر أثناء تطورها. ومهما كـان الأمـر، فإن الإسلام دينٌ قادرٌ على ترجمة مظاهر محددة من الإيمـان إلى مبـادئ في علم الجمال.

ولا نعـدو الحقيقـة إذا قلنـا: إن هندسـة العمـارة الإسـلامية، وتحـسين المناظر الطبيعية، والديكور الداخلي، بغضِّ النظـر عـن تنوعاته الكـثيرة، تثير جميعها مشاعر إسلامية مكانية تتفاوت مـا بـين الأخاذة إلى المتكلَّفة وإلى الحميمة. ويمكننا، على سبيل المثال، تذوُّق هذا في مباني "الحمراء"،

وساحات وأفنية أبنية "غرناطة"، أو في المساجد التي تشتمل على هذه المزايا على غرار تلك الموجودة في "قرطبة"و"القيروان" و"القاهرة"و"اسطنبول"، وفي الأخيرة بشكل خاص في "السليمانية"،و"مسجد السلطان أحمد"و"روتم باشا"، ومسجد "سكولو محمد باشا". وينطبق الشيء ذاته على "الحمراء" ومنطقة "الحرم المكي".

إن هناك عدة عناصر مسؤولة بشكل أساسي عن النوعية الإسلامية المتميزة لهذه التجربة الفنية، وهي كما يلي:

مثالية التواضع في المظهر الخارجي، وهذا ما يحكم الأمكنة الإسلامية تماماً بمثل الطريقة التي ترتدي المرأة المسلمة الجميلة حجابها عندما تخرج من بيتها.

الديمقراطية [والمساواة] والبنية اللاهرمية في الإسلام والتي تحكم أيضاً تخطيط "المصليات" و"المساجد".

درجة التجريد العالية، والتي تنضبط بالمفهوم الإسلامي عن الله ﷻ، وأنه يَتَمَيَّزُ عن الشبيه والمثيل والندِّ والنظير ﷻ.

الأبعاد البشرية للتناسب الهندسي للعمارة، والذي يعكس الاهتمام الإسلامي بالتوازن والاعتدال، والأسلوب المعتدل في كافة المواضيع والأمور.

تهوية الغرف بشكل يخالف التهوية السحرية المستخدمة في عبادات الطقوس، والتي تثبت غياب كلٍّ من الطقوس الدينية، والسرِّ المقدس، والغموض والألغاز في الإسلام.

شكلُ الحدائق يتبعُ ما وردّ في القرآن الكريم من وصفٍ للجنة.

فإذا وجد الإنسان نفسه في مثل تلك الأمكنة تحرَّك في داخله شعور بالابتهاج والسرور والاطمئنان (بكل ما في الكلمة من معنى)،

فالذي لا يستطيع أن يصلي في المسجد، لن يتعلم كيف يصلي في الكاتدرائية.

وإن غياب أي نوعٍ من التمثيل البشري للأشخاص، أو للذات الإلهية... أستغفر الله، وحاشا لله، في البيئة الإسلامية هو أقلُّ، بسبب اتباع ما ورد وصفه في القرآن الكريم من كونه خوفاً من الأصنام والأوثان والبُدِّية [وهي الإيمان بالتقديس الأعمى]. كما أن التجريد في فن الزخرفة العربية المتداخلة اللانهائية يعين الذهن على التركيز على حقيقة الله ﷻ التي لا يرقى إليها وصفٌ، ولا يسمو إليها تعريفٌ، ولا يطالها فكرٌ ولا قلم، ولا يُسْبَرُ غورُها، بل ويتعذَرُ فهمُها...

التسامح كَنُكرانٍ للذَّات

كامبريدج . ماسييتشوتس . ٤ حزيران/يونيو ١٩٦٠

في منتصف امتحاناتي النهائية في كلية القانون في هارفارد، تمَّ عقد قراني، ولتبسيط الموضوع، أقول: تمَّ عقد قراني في الكنيسة المحلية للجامعة في هارفارد، وقد عقد لي قسيسٌ من الطائفة النصرانية الموحِّدة [التي تنكر عقيدة التثليث]، وأما ما طرحه عليَّ هذا القسيس من أسئلة وإرشاداتٍ قبل الزواج، فقد اقتصر على سؤاله لي "ما إذا كنتُ متأكداً من براءتي تماماً من أية ميولٍ جنسيةٍ شاذَّةٍ كامنةٍ أو غيرها!"...

وكان فوق إفريز مذبح الكنيسة عبارةٌ كتبتْ فيها أسماءُ كلٍّ من: بوذا، وكونفوشيوس، وعيسى عليه السلام، ومحمد ﷺ. وهذه اختياراتٌ من الأديان... فيها طُلْبَةُ كلِّ شخص!... ومما أثار عجبي: التسامح إلى حد إنكار الذات، ولكن ليس هذا التسامح كلياً. لقد تمَّ العبث بالتسلسل التاريخي بحيث يتم وضع اسم عيسى عليه السلام، في الوسط. وفوق ذلك، فإن هذا الترتيب يركِّزُ بصرياً على أن محمداً ﷺ كان آخر الأنبياء، وهو بالتالي خاتمُ الأنبياء.

وكان عليَّ بدلاً من التأمل في كل هذه الرمزية، أن أهتم بشكل أكبر بما تحمله طريقة عقد النكاح الإنجليزية القديمة. فعندما طُلِبَ منِّي أن أردِّدَ وراء القسيس: "أقبل أن تكوني زوجتي..." بدأتُ أتلعثمُ فوراً وأتأتئ...

لغةُ [كلام] الله؟

*Ghardia*غراديا ـ ٩ نيسان/أبريل ١٩٦٢

شاءت الأقدارُ أن أجلس إلى جانب رجلٍ من البربر *Mozabite* في حانة الفندق الوحيد في الواحة. وقد كان هذا الرجل يعاني من شدة تبريد المكيف (علماً بأنه كان يرتدي برنساً صوفياً ثقيلاً)، إلا أننا استطعنا أن نتجاذب أطراف الحديث قليلاً، وقد تجنبنا بحذرٍ شديد الخوض في نقاشٍ عن الحرب الجزائرية البائسة في الخارج.

وعندما فرغتُ من قولي لهذا الرجل: "إني فرغتُ للتوّ من قراءة ترجمة معاني القرآن الكريم بالفرنسية (وهو من ترجمة أو. بيسلي/أحمد تيداجني، القرآن الكريم، باريس ١٩٥٤)، لاحظت انزمامَ شفتيْ جاري وأنهُ أغلقْ فمهُ تماماً، بل وحتى بدا الشرُّ على وجهه. وانتبهتُ لنفسي مفكّراً: "إن هذا الرجل متمسّكٌ تماماً بتفسير *Mozabite* للإسلام، وقد رأى فيَّ رجلاً قد انهمك في تدنيس المقدسات ـ الهرطقة التي يرتكبها الأشخاص الذين يحرِّفون الرسالة الإلهية التي تلقاها محمد ﷺ من جبريل عليه السلام بالعربية، وليس هناك بديلٌ عن هذه اللغة."

ولما لاحظتُ ردَّ الفعل العنيف على جهدٍ وعمل متواضعين لتقديم ترجمةٍ فقط، بدأتُ أفهم أمراً آخر تنبهتُ إليه أثناء مشيي في الأزقّة الضيقة المتعرجة في غراديا. ولا شكَّ أنني سمعتُ من خلال النوافذ المفتوحة لمدارس تحفيظ القرآن الكريم، سمعت الأصوات الصاخبة المتهدِّجة للأطفال وهم يقرؤون آيات القرآن الكريم ويرددونها بالعربية... اللغة التي لا يستطيع هؤلاء الأطفال البربرُ تحليل رموزها إلا بصعوبة بالغة، إلا أنهم بالتأكيد لا يستطيعون التحدُّث بها.

ولا غرو أن هذا التصميم على حراسة القرآن الكريم والمحافظة على لغته العربية الأصيلة هو أمرٌ ليس بدائياً، بل إنه على النقيض من ذلك تماماً. إن من المعقول جداً أنه إذا قَبِلَ الفردُ أن القرآن الكريم يجسِّدُ الرسالة الإلهية التي أنزلها الله ﷻ، كما أُنْزِلتْ كاملةً وصحيحةً دون تحريف فإنَّ النص القرآني يفوقُ بدرجةٍ منقطعة النظير حالة أيِّ نصٍّ مكتوبٍ آخر، بما في ذلك أيّ جزء من النصوص المصنَّفة والتي تُعْرَفُ باسم : "العهد الجديد". والفارقُ بينهما هو الفارق بين "الأدب الأصيل" وغيره.

وبناء على هذه الخلفية، وبما علمناه من التجارب المريرة التي حدثتْ أثناء عملية ترجمة الإنجيل من اللغة الآرامية باستخدام اليونانية واللاتينية إلى كل من اللغات: الإنجليزية والفرنسية والألمانية، أليس من العجيب جداً إذنْ أن يحرص المسلمون على التعامل مع أصغر نصٍّ مهما كان من أصل القرآن الكريم باحترامٍ بليغ، فلا يلمسون القرآن الكريم إلا بأيدٍ متوضِّئة، وأجسام طيبةٍ طاهرة من النجس؟

كما ينبغي أن يدرك المرء حقيقة أن فلاسفة المسلمين، وهم يعرفون أرسطوطاليس، استنتجوا من قديم الزمن أنه، بما أن الله حيٌّ باقٍ على الدوام، وأنه كامل الصفات سبحانه، وأنه ثابتٌ مستقرٌّ في مكانه سبحانه، وأنه هو العليمُ الخبيرُ سبحانه، فيجب أن تكون رسالته سبحانه (كلماته وآياته) هي الأخرى أيضاً موجودةً أزليةً منذ القدم، وهي بكاملها محفوظةٌ حتى قبل أن توحى، وهكذا فقد ظهرت كما هي في التاريخ البشري. وقد قسمت قضيةُ خلْقِ القرآن الكريم، أمْ أنه غير مخلوق أساساً، قسمتْ العلماء المسلمين بالطريقة ذاتها التي شغلتْ علماء النصارى وقسمتهم قضية خلق العالم، أم أنه موجود أزلي.

ومع كل هذا، فليس من الضروري أن نؤمنَ ببساطة وسذاجة أن لغة الله ﷻ [اللغة التي يتكلم بها الله سبحانه]، هي "العربية". وقد تلقى رسول

الله ﷻ، وحي القرآن الكريم بهذه اللغة لسببٍ بسيطٍ، وهو أنه ﷺ: عربيٌ بُعِثَ بين العرب، ولم يعرف ﷺ غير تلك اللغة. وكذلك لم يكن هناك أي سببٍ موجبٍ آخر لأخذ موضوع ترجمة معاني هذا الكتاب العظيم على أنها تحريف وهرطقةٌ طالما أن الترجمة لا تُقدَّمُ على أنها "بديلٌ" يحلُّ محل القرآن الكريم، أو تكون مساويةً أو معادلةً له. ولهذا السبب بالذات، فإن الترجمات التي قدَّمها علماءٌ مسلمون تظهر عادةً بعناوينَ مشابهةٍ لما يلي: "معاني القرآن الكريم"، وهي تحمل جنباً إلى جنب النص العربي في الكتاب ذاته.

ويبقى أمامنا سؤالٌ محيِّرٌ، بعد العديد من محاولات الترجمة، هل سيستطيع أحدٌ أن يحقق إنجازاً مرموقاً لترجمة معاني القرآن الكريم ترجمةً أقربَ ما تكون إلى معانيه العظيمة؟!... وينفي الكثيرون إمكانية ذلك.

كُحولٌ لألمانيا...

الجزائر. ٣ مايو/أيار ١٩٦٢

كادَ عددٌ من أبناء بلدي الذين ينقّبون عن النفط في صحراء الجزائر الحجرية، كادوا أن يفقدوا أعصابهم، بل بلغ الحدُّ ببعضهم أنه هدَّد بإخلاء المعسكر. ولا عجبَ أن حرب التحرير تزحف نحوهم مقتربةً أكثر فأكثر، وبعد التراجع المتوقع للحرس الفرنسي ستكون هناك مجزرة.

ولذا، فقد أوعز إليَّ القُنْصُلُ العام الألماني في الجزائر، سيجفريد فون نوستيتنر، أن أرفع معنوياتهم بتقديم صندوقين من قوارير الويسكي: "الزيتُ لألمانيا".

ولقد اتجهت بالطائرة، خلال عاصفةٍ شديدة، ورافقني في الرحلة مدير شركة البترول الألمانية، وعبرنا سلسلة جبال الأطلس في طائرة من طراز دي سي ٣ مُتهالكةٍ من مخلفات الحرب العالمية الثانية. وكان صندوقا قوارير الويسكي أمامي على أرض الطائرة. ولم يكن الصندوقان مثلي مقيَّدين بحزام الأمان في مقعدي. وحاولتُ جهدي أن أبقيهما ثابتين في مكانهما دون حركة، إلا أنني عَبَثاً حاولتُ. فكلما تأرجحتْ الطائرة نزولاً وصعوداً ارتفع الصندوقان إلى مستوى مسند يد الكرسي الذي أجلس عليه وكأنهما يطفوان لحظةً، كأنهما في حالة انعدام الوزن، ثم يرتطمان بأرض الطائرة ثانية عندما تستوي الطائرة في الجو من جديد. وما أدركته جيداً: إن رحلتي دون قوارير الويسكي هي مضيعةٌ للوقت والجهد. فإذا لم نقدِّمْ الكحول، لم نرفع المعنويات...

ومع هذا، فإن الطائرة بأكملها قد أصبحت تفوح منها رائحةٌ قوية للويسكي، وكانت الحالة بأكملها سخيفة ومضحكة، حتى إنني وللمرة الأولى، لم أُصَبْ بالدوار من التحليق في الجو.

قوبلنا في معسكر العمل بمزيج من التحفظ والصمت والخوف والقلق، إلا أنه كان قد بقي لدينا من قوارير الويسكي ما يمكن أن يكفي الجميع بعد الذي كُسِرَ منها، على غرار ما يشبه الأفلام الغربية تماماً، وأكَّدتُ لمواطني دولتي أننا في العاصمة الجزائر نتحمَّل يومياً أموراً أكثر خطورةً من حرب العصابات في المدن. كما وعدتُهم أن أخرجهم من تلك البلاد إذا استدعتْ الضرورة ذلك.

وكما قلتُ آنفاً: لم أكن مقتنعاً تماماً بما أفعل. ولم أستطعْ إلا أن أتوقَّع مصير القوة الجزائرية من أبناء البلاد من *Harkis* الذين يحرسون هذا المعسكر. وقف هؤلاء الحراس حولنا هادئين غارقين في التأمل والتفكير، لم يلفحْهُمْ لهيبُ السُّكْر، وكانت ثقتُهم على أساسٍ من إيمانهم، وإيمانهم وحده، وهو الإسلام. بينما كانت معنويات العمال الألمان بحاجة إلى الكحول لرفعها وتحسينها...

وجدتُ الحلَّ...

الجزائر. ٢٨مايو/أيار ١٩٦٢

لقد شهدتُ خلال الأشهر التسعة الأخيرة، بحكم كوني ملحقاً في القنصلية الألمانية العامة في الجزائر، مشاهد إرهابٍ وجرائم شنيعة. وكادتْ لا تمرُّ ليلةٌ دون انفجارٍ، بل كنا نسمعُ مئةً أو أكثر من الانفجارات المدوية في بعض الليالي. ويمرُّ شهرٌ وراءَ شهرٍ، ونلاحظ أنه في مدينة الجزائر وحدها يسقط حوالي ألف قتيلٍ، ومعظمهم يُرْمَوْن من مسافاتٍ قريبة جداً. كانت جبهةُ التحرير الوطنية تقاتل ضد فرنسا من أجل استقلال الجزائر.

Pides Noris والفرنسيون والمستعمرون الإسبان في مستعمرة الجزائر يحاربون ضد باريس أيضاً، إلا أنهم كانوا يحاربون للحفاظ على إبقاء البلاد تحت السيادة الفرنسية. وكان جيشهم السريُّ المعروف باسم "منظمة الجيش السري" هو الذي يرسل شاحنات البنزين القابلة للاشتعال إلى الأحياء الجزائرية ويحاولون اصطياد الرجال الجزائريين وكأنهم أرانب. وكنت أشاهد من شقتي في حي "البيار" ما بقي من القرية الجبلية بعد مداهمتها والهجوم عليها باستخدام أسلحة النابالم التي استخدمتها القوات الفرنسية. وعندما كنت أبحث عن المرضى الألمان في مستشفى مصطفى، كنت أرى ضحايا جديدة تُحمَل إلى المستشفى في حالة إسعاف كل عشرين دقيقة، وكانت الإصابة واحدة لا تتغير في معظم الحالات وهي عيارٌ ناريٌّ في الرأس أُطْلِقَ من الخلف.

كانت هناك معاهدة لوقف إطلاق النار يحترمها الطرفان: فرنسا وجبهة التحرير الوطنية، كما تمَّ تحديد تاريخٍ للاستقلال. وبالتالي، فقد

كانت منظمة الجيش السري والتي تشتمل قياداتها على العديد من الضباط المرموقين في صفوفها، والتي كانت تسعى حينها بقلق شديد مُحَاوِلَةً استفزاز الجزائريين وإثارة غضبهم من خلال الإرهاب المتزايد ليقوموا بالثورة، وهكذا فهُمْ يخرقون اتفاقية وقف إطلاق النار مع فرنسا ويؤجلون الاستقلال إلى أجل غير محدد.

وقد بدأ فدائيو منظمة الجيش السري باستخدام هذا التصميم الشرير الخفيِّ لحلِّ تجمُّع الشباب الجزائريين المثقفين في الجامعات، والنساء الجزائريات، والذين كانوا حتى ذاك الوقت منطقةً محرَّمةً لا يستطيع أحدٌ الاقتراب منها، يُقْتَلون أثناء ذهابهم للتبضُّع وشراء الحاجيات.

ولما عاد أولاد جارنا إلى منزلهم مشدوهين قبل أيام، وتبدو عليهم علامات الانزعاج الشديد من التصرفات الوحشية التي شاهدوها تُرتَكب ضدَّ الجزائريين، حاولتْ أمُّهُم تهدئة مشاعرهم قائلةً: "هؤلاء مجرَّدُ عرب!..."

وقد حاولتُ خلال تلك الفترة، حيث كنت مسلحاً دائماً بمسدس مَصْلِيٍّ جاهزٍ للإطلاق، من طراز ولذِر بي كي عيار ٧,٦٥مم، حاولتُ عبثاً أن أبحث عن السرِّ الذي أتاح لهؤلاء الجزائريين المهذبين المنضبطين *stride* كثيراً من الاحتقار، والإساءة والعقوبة. وأخيراً وجدتُ الحلَّ أثناء إعادة قراءة القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١٥٣: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾.

كيف يضعُ المسلمون علامةً صغيرة...

بون ـ ١٧ تشرين أول/أكتوبر ١٩٦٤

كنت مسؤولاً خلال السنتين الماضيتين، على مستواي في القسم السياسي للمكتب الأجنبي، عن العلاقات الألمانية مع كل من: الهند، والباكستان، وسيلان، ونيبال، *Bhutan, Sikkim*.

وبغضِّ النظر عن عدد المرات التي تعاملتُ فيها مع أيٍّ من الهندوس أو البوذيين الهنود أو السيلانيين، لم أكنْ لأستطيع توقُّع ردودِ أفعالهم. ومن ناحية أخرى، فقد كنت أستطيع، على ما يبدو، أن أعرف بالضبط كيف ينبض قلب الباكستاني أو الهندي المسلم، أو حتى البنغالي. كانت ردودُ أفعال هؤلاء متوقعةً بالنسبة لي. ولم تكن هذه الظاهرة بسبب أي علاقاتٍ خفيةٍ روحيةٍ بين الشعبين الهندي والألماني. لقد كان هناك تفسيرٌ أكثر عقلانيةً من هذا التفسير: إن المسلمين يعتقدون بدينٍ، كديننا، يعتمد على كتابٍ لا يمانعُ أي تساؤلٍ معقول. وهم أيضاً "أهلُ كتاب".

وقد أكَّد البروفيسور الأستاذ محمد حميد الله، العالم الهندي المتعدد اللغات، أكد هذه النتيجة عندما أذاع عام ١٩٤١ أن دستور اتحاد المدينة الذي أصدرهُ محمد ﷺ في السنة الأولى من الهجرة كان أول دستورٍ مكتوب في تاريخ الدولة.

والشكر موصولٌ لابن إسحاق الذي حفظ لنا هذه الوثيقة المدهشة ووصلتنا بتمامها وكمالها، وهي تشتمل على اثنتين وخمسين مادة. وقد عالجت هذه الوثيقة التكامل الاجتماعي والاقتصادي بين المهاجرين من مكة، والعلاقات القانونية بين هذا التكتل الاتحادي اليهودي والقبائل

العربية، وقواعد التعاون المتبادل، والتحالف الحربي، والتحكيم، وحقُّ منح اللجوء (محمد حميد الله، أول دستورٍ مكتوبٍ في العالم، الطبعة الثالثة، لاهور، ١٩٧٥).

وبمثل هذه الخلفية، سيكون من العجيب ألا يجد كل من القانونيين الغربيين المدربين، والدبلوماسيين المسلمين، أرضاً مشتركةً لهم.

حبٌّ بدولارٍ فقط...

هونغ كونغ ـ ١٦ حزيران/يونيو ١٩٧١

توقفتُ خلال رحلتنا الطويلة إلى اليابان وكيوتو للمشاركة في المشاورات التي أجريت بين كل من الموظفين الألمان واليابانيين للتخطيط للسياسة الخارجية، توقفْتُ مع رئيسي الدكتور ديرك أونكين، في هونغ كونغ.

وأثناء تحليقنا فوق فيتنام، استطعنا أن نشاهد الهجوم الجوي ضدَّ خطِّ الزعيم الراحل هو شي مينه، وفي الأثناء ذاتها كنَّا مأخوذين بلمسةٍ من الروعة الحالمة حيث قدَّم لنا مضيفنا الجوي في طائرة الخطوط الجوية الفرنسية وجبة رائعة أعدَّها "رتز". وكانت مستعمرة التاج البريطاني في هذه المرحلة الحاسمة قاعدة عادية للجنود خلف خط الجبهة، "منطقة استجمام وراحة". وكأن أحداً ما نادى بصوتٍ واضحٍ ومسموع: "هنا يتَّحِدُ كلُّ مومسات الدول".

وكان لا بدَّ للسائح الغربي أن يصارع ويحاول إبعاد تلكم الفتيات عندما يمشي في شوارع مركز المدينة وكأنهنَّ يُشْبِهْنَ البعوض. ومما حزَّ في نفسي بشكلٍ خاص أنَّ مراهقةً صينيةً تعلَّقتْ بي متوسلةً توسُّل الذل والانكسار قائلة: "دولار واحد يا سيدي!". وإذا أرادتْ كسبَ المزيد، فلا بدَّ من عرض المزيد من الانحراف الجنسي، كما تفعل بعض أشكال السادية الصينية التي تتبعُ عمل قوم لوطٍ.

وأيما كان الأمر، وكما كان الحال، فقد كانت القوات الأمريكية، حتى في أيام ما قبل مرض الإيدز ـ فقدان المناعة ـ ، تعاني الكثير من الأمراض الجنسية التناسلية مثلما تعاني من ويلات الحرب الحقيقية.

وكلَّما أدى التدهور والتفسخُ الجنسي إلى مشاكل لدى عامة الناس، لاحظنا أن ردود فعل النصارى كانت متوقعةً. فمبدئياً، كان هناك تأرجحٌ واهتزازٌ وتنبيه باستخدام "مؤشر" الأخلاق، بل لقد اعتبر البعضُ أن الشاذين جنسياً ومدمني المخدرات كانوا فعلاً وحقاً ضحايا يستحقون انتقام الله. وبعد فترة، وعلى ضوء التفسيرات المعتدلة التي استحسنت تلك الأعمال وأيدتها، فقد تمَّ رفض تلك التحليلات واعتبرتْ "غير عقلانية". بل على النقيض من ذلك، فقد تمَّ تذكير النصارى بأنه يجب عليهم أن يظهروا الشفقةَ والرحمةَ لجيرانهم الذين جلبوا البؤسَ لأنفسهم.

إن المسلمين يرون الأمور بمعيار من العقل والوعي. فهم يدركون أن القواعد التي سنَّها الله وفرضها للسلوك البشري لم يجعلْها لنفسه، بل فرضها على البشر. وسواء تقيَّد البشر بهذه المعايير "الأخلاقية" و"الخلقية" أم لا، فلن يضرُّوا الله شيئاً. وكما وصف الشيخ عبد القادر الجيلاني، ووافقه فيما ذهب إليه "ابن عربي" فإن: "إن الله غنيٌّ عن عباده". إذا احترم البشر هذه القواعد الإلهية فإنهم ينفعون أنفسهم، ليس غير.

فإذا أخذنا حالة سائقٍ مخمورٍ يرتطمُ بشجرة، أو حالة شخص شاذٍّ جنسياً أصيب بمرض الإيدز فأصاب بعدواه زوجته التي لا تشكُّ فيه: فإن الآليةَ هي ذاتها. إنها ليست "عقاباً"، إلا أنها نتائج "طبيعية" لمناقضة الفطرة البشرية السليمة ومخالفتها، والتي نحن جزءٌ منها.

ومن خلال هذا المنظور، فإن من المناسب جداً أن نسمي قواعد السلوك الإسلامية، والتي تُسمى "الشريعة" هي "الطريق" السليمة الصحيحة للحياة البشرية. وهذا ما يؤكد للمسلم ضرورة الالتزام بهذه الشريعة والبقاء على منهاجها، وكلَّما قرأ المسلم في صلاته سورة "الفاتحة" سأل الله الهداية إلى "الصراط المستقيم".

في مضامير الأسقف آريوس...

فيينا ـ ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٤

قدَّم السِّير ريتشارد بورتون (١٨٢١ ـ ١٨٩٠)، المستكشف الإنجليزي، عرضاً مصوراً دقيقاً لمغامرته في كتابه: الرواية الشخصية عن الحج إلى المدينة ومكة، بعد وقت قصيرٍ من رحلته المضنية الخطرة إلى الحج إلى المدينة ومكة عام ١٨٥٣. ولا غرو أن هذا الكتاب ليس له نظيرٌ في غنى معلوماته عن منطقة الحجاز.

ولقد أثار هذا الكتاب عجَبَ الكثيرين في المجتمع الفيكتوري في ذلك الحين، وذلك لأن الكاتب بورتون كذب كثيراً على ما يبدو عندما تظاهر بأنه مسلم. إلا أن عدداً من النقَّاد الآخرين اتهموه على النقيض من ذلك: ألم يكنْ بورتون مخلصاً جداً بتصرُّفه كما يتصرف المسلم؟ ولا شكَّ أنه تظاهر بأنه اعتقد بهذا الدِّين، وأنه محبٌّ للتاريخ، واللغة، والحضارة الإسلامية إلى درجةٍ لم يسبقْهُ أحدٌ إليها.

واليوم، لا نملك إلا أن نقول إن بورتون لم يصبحْ مسلماً فحسب، بل لقد أصبح صوفياً متبعاً لطريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني، وهي حقيقةٌ لم يستطع المؤلف سوى أن يشير إليها في الطبعة الثالثة من كتابه عام ١٨٧٩. وفي ذلك الوقت، وبروحٍ صوفية موحِّدَةٍ، أشار بورتون إلى أن المسلمين (الذين يحترمون إبراهيم عليه السلام) كما هي الحال بالنسبة للنصارى الموحدين، أي: أتباع آريوس الذي يعتقد بأن المسيح عليه السلام غير مساوٍ لله ﷻ، وأنهم أقربُ إلى تعاليم عيسى عليه السلام من النصارى الذين اتبعوا التفسيرات المتأخرة التي قدَّمها القديس بولس والأسقف آثانسيوس. وكان المسلم على كل حال أكثر علماً، وأكثر تسامحاً، وأكثر إخاءً من كثيرٍ من النصارى.

ولاشكَّ أن بورتون قد وجد أنه من المستحيل التغلُّبُ على آلية الدفاع النموذجية التي يستخدمها الغربيون ضد حقائق الإسلام ويقللون من شأنه مما لا يتناسب مع تحيزاتهم التي يفضلونها. وإن هذا الاعتراض النفسي للفكر يعمل اليوم بالطريقة ذاتها التي عمل بها أثناء الحرب الصليبية، بغضِّ النظر عن التحول الحديث لوضعية الفاتيكان تجاه الدِّين الآخر.

تعليم التسامح...

صوفيا . ٢٦ تموز/يوليو ١٩٧٦

لدى عودتي من البطولة الثامنة للبالية الدولية في فارنا على شاطئ البحر الأسود البلغاري، وهي البطولة الأوليمبية غير الرسمية لعالم الرقص، اكتشفت في صوفيا كنيسة صغيرة تقبع تحت مستوى الشارع، وكأنها قد غرقت في خندق. ويُعْتَبَرُ هذا المبنى الغريب، واسمه القديس بطرس سامرجينسكا، أحد أهم ما يجذب النظر في العاصمة البلغارية. وقد بُني هذا المبنى عندما كانت هذه البلد جزءاً من الإمبراطورية [الخلافة] العثمانية. وقد فسَّر الدليلُ السياحي الذي كان يرشدني إلى معالم المدينة أن هذه الوضعية الغريبة للكنيسة كانت دليلاً على التمييز العنصري للمسلمين ضد الأقلية النصرانية آنئذٍ. إلا أنني أراها من الزاوية الأخرى.

إنني أعلم علم اليقين أن النصارى الإسبان، بعد المحررين، قد دمَّروا بشكل شنيعٍ كل مسجدٍ من مساجد المسلمين من ملقا *Malaga* إلى غرناطة، ومن صقلية إلى طليطلة. إلا أن البناء الرائع في قرطبة نجا، واكتفوا بتخريبه بشكل بشعٍ، لسبب واحد فقط، وهو أنه كان يمكن تحويله إلى كاتدرائية. وقد تعرَّض المسجد الكبير في الجزائر للمصير ذاته في القرن التاسع عشر.

ولقد علمت أيضاً أنه كان مضيعةً للوقت أن تبحث عن مئات المساجد التي وجدت في حقبةٍ من الحقب التاريخية في صربيا واليونان لما كانتا تحت الحكم التركي [العثماني]. ففي بلغراد لا يمكنك أن تجد سوى

مسجد صغير جداً لا تظهر فيه أية مؤشرات وزخارف معمارية، ويبدو أنه نجا من الدمار الذي حلَّ بسائر المساجد الأخرى.

حقاً، إنه تناقضٌ عجيب!... إن الفاتحين المسلمين لم يسمحوا فقط لأتباع النصرانية أن يستمروا في كنائسهم الموجودة، بل إنهم سمحوا لهم ببناء المزيد من الكنائس تحت ظل الحكم الإسلامي. فكيف إذن يمكن أن يستمتع السياحُ اليوم بجواهر مثل كنيسة كورا البيزنطية *Chora* الشهيرة (كاريا كامي)، واليونان الأرثودوكس والكاتدرائيات الأرمنية في اسطنبول؟ فلو كان التشددُ النصراني هو النموذج الذي اتبعه المسلمون فماذا يا ترى يمكن أن يبقى من الكنائس الصربية الموجودة على بحيرة أوهريد، أو جراكانيسيا، أو ديكاني، أو سوبوكاني، أو بيك، أو ستودانسيا، والرائعة الفخمة آيا سوفيا في اسطنبول؟

إن العلامة الفارقة بين التشدد النصراني والتسامح الإسلامي تعتمد على الأمر القرآني الصارم أن يتسامح المرء مع مؤمني أهل الكتاب، والذي تطور فيما بعد ليصبح قانوناً مفصلاً لحماية كل من الأقليات والأجانب. وتنص الآية ٢٥٦ من سورة البقرة بوضوح على ما يلي: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾.

إن التعددية الدينية ممنوعةٌ، كما هو واضحٌ من سورة المائدة، الآية ٤٨:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾

وهو أمرٌ فيه تنافسٌ سليمٌ بين المتقين، بين يدي ربهم. وأما في سورة الشورى فيقول ربنا ﷻ:

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾

ويمكن أن يفهم المرء هذا التسامح بشكل أفضل عندما يدرك أن المسلمين ينظرون إلى المسيح عليه السلام على أنه أحد أعظم الأنبياء في بني إسرائيل. فالقرآن الكريم ينص في سورة الشورى:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾

وقد كان باستطاعة النصارى في ظلِّ الحكم الإسلامي الحرِّ الذي يحكم حقوق الأقليات وامتيازاتهم، كانوا يتمتعون بحقٍّ تنظيم جاليتهم وممارسة دينهم في كنائسهم. وقبل ظهور مفهوم "المستنكف ضميرياً"، كان غير المسلمين مستثنين من الخدمة العسكرية بأن يدفعوا مبلغاً يقدَّرُ لهم بشكل عادل، يُعْرَفُ بـ: "الجزية". وكما كان حال أقليات "يهود" تحت الحكم النصراني، فإن "أهل الذمة"، وهم الذين يحميهم الإسلام في البلاد الإسلامية، لا بد أن يرتدوا زياً محدداً لهم. ولم يكن يحقُّ لهم الالتحاق بوظيفة حكومية رسمية، أو في الخدمة العسكرية، إلا أنهم احتفظوا بحقهم في المنافسة في السوق والتفوق في الفنون. بل كان يحق لهم أكل لحم الخنزير وتناول الخمور. بل وعلاوةً على ذلك، فإنهم بموجب مبادئ الفقه الإسلامي، كما هي الحال في القانون الروماني، فكان يجب أن تبقى العقود دون تحديد مذهب الشريك.

واحسرتاه!...فقد أدت الحروب الصليبية الشائنة غالباً بالتطبيق لا بالنظرية، إلى تردي مصير النصارى بشكل ملحوظ تحت ظل الحكم الإسلامي. ونتيجة لهذا، ففي بداية العصور الوسطى لم يكن يسمح لغير المسلمين أن يبنوا كنائس أعلى من بنيان المساجد المحيطة بهم، وهكذا فقد كان هذا الشكل العجيب للكنيسة المنخفضة عن مستوى الشارع لكنيسة القديس بطرس سامرجينسكا. كما منع فقهاء الشافعية النصارى من قرع نواقيس الكنيسة أيضاً.

ومع ذلك، فكم يا ترى يزن هذا التمييز بالنظر إلى الحقيقة التي تنص على أن الحُكَّام النصارى لم يعتبروا الأذان فحسبُ خروجاً على القانون، بل اعتبروا الإسلام بأكمله خروجاً عن القانون؟!...

الصيام بهدفٍ...

بلغراد - رمضان ١٩٧٧

كان المزارع الذي يعتني بحديقتي ألبانياً من منطقة كوسفو صربيا في جنوب شرق يوغسلافيا نحيل الجسم كالعود، وكأنه ذو تسعة أرواح كالهرِّ، وكان مسلماً محافظاً. وكأنه يريد أن يحترم اسمه الذي يتميز عن أسماء غيره من الناس "رمضاني رمضان"، فلذا كان يحافظ على صيام الشهر القمري رمضان بأكمله، إلا أنه لا يهمل أياً من واجبات عمله وحياته العادية. فبعد أن يُفطر على وجبةٍ خفيفة في اللحظة المناسبة عند المساء هي "الإفطار" كان يسير على قدميه ثلاثة أميال ليصل إلى المسجد الوحيد في بلغراد، قريباً من حديقة كاليمغدان، ليؤدي صلاتي العشاء والتراويح في جماعة المسلمين الألبان من بني جلدته وإخوانه من سراييفو، وموستار، أو من مدنٍ أخرى في الجمهوريتين الإسلاميتين من يوغسلافيا الشيوعية: البوسنة والهرسك.

وكنا ندعو رمضاني بين فترة وأخرى ليتناول معنا وجبة ما بعد الإفطار. لقد كانت تلك هي الفرصة الوحيدة إذ كان يرفض أن يتناول كوباً من القهوة معنا في الصباح، ومنذ أن يصبح قادراً على تمييز الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

وقد شاهدت مسلماً آخر محافظاً بمثل هذا الثبات، كان راكباً معي في الطائرة في رحلة إلى اسطنبول، وكان صائماً خلال الرحلة. وكان ينظر إلى ساعته بين الفينة والفينة، ولم يلمس وجبته، علماً بأنه كان يحميها، ويمنع المضيفة من أخذها حتى حان وقت الإفطار ليفطر عليها.

ليس من المهمِّ متى يبدأ الصيام، ولا متى ينتهي إذا كان الهدف من هذا التدريب هو تخسيس الوزن فقط، إلا أن الجسم أثناء فترة التشاف المطهرة يلمسُ بنفسه الوحدة مع الفقير الجائع في إفريقية، ويشعر بالإرادة الفولاذية من خلال تدريب القوة الروحية. إن كل هذه الآثار هي في الواقع سُقَاطةٌ [إضافية] ومكاسب غير متوقعة. فالمسلم، بشكل أساسي، يتقيد بقواعد صوم رمضان لأنها قد أرسيتْ وحدِّدَتْ له، وهو عبدُ الله، من قبل سيده ومولاه ربِّ العالمين.

المرء أعمى دون الوحي...

بلغراد ـ ٢٨ آذار/مارس ١٩٧٨

كانت عادتي أن أقرأ كتابين أناوب القراءة فيهما، فمرةً أقرأ "النص الصعب"، ومرة أبحث عن نص آخر أسهل منه. وإنني حالياً أمارس هذه الطريقة بالقراءة من الفلسفة التقليدية الكلاسيكية الإسلامية في الفترة الواقعة ما بين القرنين العاشر والثالث عشر، فأقرأ لفلاسفة مثل: ابن رشد في كتابه "تهافت التهافت"، في ترجمة أعدَّها سايمون فان دِنْ بيرغ (لندن، ١٩٦٩).

وقد تعارف مثقَّفو الغرب حتى خلال القرن التاسع عشر على أن ابن رشد يتعامل باحتقار، بل ويسيء إلى خصمه، العالم الجليل أبي حامد الغزالي في كتابه "تهافت الفلاسفة"، وذلك ليضيف فقرةً إلى كل فقرةٍ من دفاعه الذي يبدؤه بقوله: "إلا أنني أقول...".

وقد وقع الفلاسفة المسلمون في أوائل القرون الوسطى في حلقة الأسئلة ذاتها التي ابتدأها الفلاسفة الإغريق من اليونان. وبالتالي، فقد حذوا حذو كل من أفلاطون، وأرسطو طاليس، وبلوتونيوس وبروكلوس، خطوة بخطوة. وكما فعل هؤلاء، فقد قام كل من الفلاسفة الفرس والعرب بتقليل تساؤلاتهم عن أسئلة تتعلق عن خلود (أو خَلْق) العالم، والعلاقة بين الموجود والممكن، وطبيعة الروح، إلخ. إلا أن هؤلاء المفكرين المسلمين أدهشهم علم الكون: وما إذا كان الله، الصمدُ القيوم، الذي لا تؤثر فيه أو عليه أي قوة مهما بلغ مقدارها، أن يكون هو ذاته محرِّك كلّ شيء؟ ولماذا تتحرك الأجرامُ السماوية الهائلة وتدور في أفلاكٍ بالشكل الذي تدور فيه، وليس العكس؟ وكم هو عدد الملائكة؟

ولعلَّ أكثر الأسئلة الفلسفية لعصرنا إثارةً هو: "لماذا؟"، أو ما هو سرُّ

وجودنا لم يكدْ يُلْمَسُ حتى الآن. ولعلهم اقتربوا منه اقتراباً فقط عندما تعجبوا وأثاروا سؤالاً يقول: "هل خلق الله هذا الكون العظيم الشاسع لنفسه؟"هل ثبَّتَ هؤلاء الفلاسفة الأتقياء، الذين سحرتهم تلك الأفعى، أرسطوطاليس، فثبَّتوا أبصارهم على الماضي الفلسفي؟ أو هل اعتقدوا أن ذاك الأمر كان عديم النفع والفائدة، إن لم يكن كُفراً بواحاً، بأن يسهموا في بحثٍ يثير الكوامن والمشاعر، والله ﷻ، مستوٍ على العرش؟

لقد حفظ لنا التاريخ العديد من الكتابات الخلاقة المبدعة التي تنمُّ عن ذكاء وقدرةٍ بالغين، سطَّرها مفكرون مسلمون عمالقة أمثال: الفارابي، والرازي، والكندي، وابن عربي، وابن سينا، إلى جانب من أسلفنا ذكرهم سابقاً. ومع ذلك، فإن ما يؤثر علينا أكبر تأثيرٍ اليوم هو إدراكنا المحزن أن العقلانية الذكية عندما تستخدم للتعرف على الميتافيزقيا [ما وراء النفس البشرية] فإنها لا تؤدي إلا إلى تأملاتٍ سخيفة مضحكة. لقد استطاع أولئك الفلاسفة القدامى أن يبرهنوا أمراً واحداً: إننا لا نستطيع أن نطبق استخدام المنطق البشري للحصول على أي فكرٍ يمكن الاعتماد عليه في حقيقة عالم الغيب. فإذا لم يكن الماضي والمستقبل يعنيان أي شيءٍ بالنسبة لجلال الله ﷻ، وعظمته، وإذا كان سرُّ وجوده هو سرُّ خلوده، وإذا كان الحقُّ ﷻ موجوداً خارج الحدود المحسوسة للزمان والمكان، فما الذي يمكننا أن نعرف عنه إذن بتساؤلاتنا الذكية (أو اللامنطقية)؟ سبحانه وتعالى علواً كبيراً.

ومقابل لُغْزِ وجودنا، بل حتى الحقيقة التي يمكن أن ندركها ونفهمها، فإن الأشياء التي يمكن أن نشمَّ روائحها، أو نلمسها، أو نراها، ستبقى جميعها ملتفةً بغموض عجيب. وبمعنى آخر: "إننا عُميانٌ دون الوحي الإلهي!..."

شُرْبَةُ ماءٍ لا يعدلها وزنٌ...

بلغراد - رمضان ١٩٧٨

لقد قررنا أن نحاول الصيام هذا العام، كما هو مكتوبٌ على المسلمين تماماً. إلا أننا، وعلى النقيض من العادة المنتشرة في مختلف أصقاع العالم الإسلامي، لم نُرِدْ أن نحاول الاستيقاظ في الليل، على حساب نومنا وراحتنا، لنتقوى بشيءٍ من الغذاء على ما سنفقده من طعام خلال النهار (تُرى هل كان هذا على غرار ما تعودنا عليه من عدم تناول اللحم يوم الجمعة إذ كان الكاثوليك يتناولون المأكولات البحرية في تلك الأيام؟) وأيما كان الأمر، فمن المهمِّ جداً أن يرغم المرء نفسه على تناول أكبر كمية ممكنة من السوائل قبل أن يعاوِدَ الصيام. (فعلى الأقل، لا يمكن مقارنة الإنسان بالجمل فيما يتعلق بما يخزنه الجمل من احتياطي الماء في جسمه).

إن أول يومين في الصيام هما أشقُّ أيام الصوم وأصعبها: وهما يوما صُداعٍ مستمر. ولذا، فمن المستحسن أن يتابع المرء صيامه حتى ولو كانت القواعد تبيح له قَطْع صومه والتوقف عنه، كما هي الحال في أيام السفر.

ويجب أن يستغل المرء إلى الحد الأقصى وقت الاستيقاظ الطبيعي الذي تمنحه المنحنيات البيولوجية. ولهذا السبب، فقد قسمت عملي إلى أعمال "واجبة" وأخرى "مستحبة"، وأخرى "ممكنة" التنفيذ، وبدأتُ أولاً بالأعمال "الواجبة" حين وصل ضغط دمي إلى ذرواته الطبيعية، أي في الساعات المتأخرة من الصباح، وفي الساعات المتوسطة بعد الظهر. كما بذلتُ قصارى جهدي في تجنب تعريض حياتي وحياة الآخرين من حولي لمخاطر حركة المرور نتيجة لانخفاض مستوى السكر في الدم، أو نتيجة لحالة الإرهاق والتعب البالغين للجسم. ومع ذلك، فقد تضاعفت مخاطر التسبب بالحوادث المميتة نتيجة الإهمال والشرود الذهني آلاف المرات مما كانت عليه أثناء القرن السابع.

عندما تصوم في يوغسلافيا يذكّرُ المرءُ دائماً بأنه غريبٌ. فعلى سبيل المثال، يجب أن يرفض الصائم ما يمكن أن يُقدَّم له من القهوة التركية أو العصير والماء في وزارة الخارجية في كينزا مايلوسا. إلا أنك إذا رفضت بأدبٍ هذا العرض والضيافة أثناء شهر رمضان، فإنك واجدٌ بعض التفهّم، بل وشيئاً من الاحترام، وذلك فقط لأن هذا البلد الجميل لازال موطناً لحوالي مليون مواطنٍ مسلم.

وبعد أسبوع من الصوم، بما لا يقل عن ثماني عشرة ساعة يومياً إذْ صادف أن يكون شهر رمضان في فترة الصيف، يصل الصائم إلى حدٍّ يصبح فيه اقتصاد الحركة والكلام أمراً طبيعياً. وقد وجدتُ نفسي أتحركُ ببطءٍ، وأتكلمُ فقط عندما يكون الكلامُ ضرورياً، وأراقب كلاً من السرعة والتبذير أمامي بتأمُّلٍ دقيق، ولاحظتُ أنني أزداد كل يوم مزيداً من الاستقلالية، بل وربما مزيداً من الحكمة. وعندما أبدأ تناول وجبة الإفطار في المساء، فقد كان يبدو لي أن تناول حباتٍ من "الزيتون" عند بدء الإفطار بشكل تقليدي، وأتْبِعُهُ بشُرْبَةٍ من الماء، يبدو لي هذا وكأنه احتفالٌ له وزنُهُ الخاص. فكما ترى النبات العطشان إذا سقيته بالماء، فإن الجسم البشري أيضاً يمكن أن يستعيد نشاطه بكمية قليلة من الماء. ويصبح المرء في تلك الحالة مقدِّراً لوجبة من الخضار فقط، دون أية لحوم.

ويبدو كذلك يوماً بعد يوم أن معنويات الصائم تنمو باستمرار، تماماً مثلما تنمو ثقة المرء بترتيب أولوياته بشكل صحيح. وبنتيجة التحليل النهائي يمكننا أن نوجه السؤال التالي: ألا يعني هذا الصيام بشكل رئيسٍ تطوير المناعة ضدَّ الإغواء الذي يسمى: "الشرك"؟ وهو خطر تعظيم ما هو غير أساسي في حياة الفرد إلى حد العبادة...

آلام العضلات، والمعنويات الجديدة

إيدرين ـ ١٢ تموز/يوليو ١٩٧٨

توَّج سنان، الذي كان رئيس مهندسي السلطان سليمان منذ عام ١٥٣٩، توَّج إنجازاته العمرانية الرائعة بإنشاء مسجد السليمي في إيدرين، والذي تمَّ بناؤه بين عامي ١٥٦٧ ـ ١٥٧٤.

ومع ذلك، فلم يعرف سوى قلةٍ من الزوار أنه اخترع، أو أوجد ثلاثة أدراج مستقلة عن بعضها ضمن مئذنةٍ واحدة ضيقة. وتلتف هذه السلالم حول بعضها دون أن تتحد ببعضها على الإطلاق، اللهم ماعدا المدخل والمخرج المشترك.

وقد استثناني خادم المسجد من القواعد المتبعة عندما سمح لي بصعود المئذنة. ويا لهُ من عملٍ متعب!... كان الدرج مظلماً في غالب الأمكنة، وكانت الخفافيش التي تعشق الظلام، والطيور التي تحب الهدوء تفرُّ من أمامي (وأنا بدوري كنت أفزع منها جميعها). وقد تقدمتُ في السير ببطء وبوضعية من الحذر والانتباه الشديدين، وكنت أقدِّم القدم ذاتها في كل مرة. ولم تكن هناك طريقة أخرى للمسير في هذا المكان الضيق المتعرج المحصور. وبدأت ركبتاي ترتجفان بعد فترة وجيزة. إلا أنني لم أستطعْ حتى مجرد التفكير بتغيير الاتجاه إذ لم يكن بوسعي أن أدور في مكاني. كانت الحالة حرجة جداً، وكانت تشتمل على الكثير من الرمزية: لم أدْرِ متى سينتهي صعود هذا السلَّم، إلا أنني كنتُ موقناً أنني سأصل إلى نهايته. وقد اخترتْ اتجاهاً واحداً، وكان هذا القرار نهائياً لا رجعةَ فيه.

وعندما أنهيتُ تلك المهمة وعدتُ أدراجي كنتُ متَّسِخاً، مجهداً، منهوك القوى، ومتحيراً بعض الشيء، وقد كسبتُ مكسباً رائعاً: ألم وتصلب في الذراع والرجل، ونصرٌ معنويٌّ جديد!...

بطولة في الباليه ـ ومنافسة دينية

بلغراد ـ ٢٦ كانون الثاني/يناير ١٩٧٩

اعتدت ضمن حدود إمكاناتي كمحام ناشئ، وناقد للباليه، وسكرتير تنفيذي لنادي ميونيخ للباليه، اعتدت تنظيم سهرات الرقص السنوية في مسرح جارتنربلاتز. وكان البرنامج يعتمد دائماً على مساهمات فردية وغير مراقبة تمنحها مدارس الباليه الخاصة. كانت نيتي الحقيقية (إلا أنها متنكرة) هي أن أبين للآباء المساكين، ولطلاب الرقص أن هناك فارقاً نوعياً كبيراً بين مدارس الباليه، التي كان يتميز بعضها بأنه ممتاز، وبعضها الأخير تعيسٌ للغاية. وكنت آملُ أن المنافسة بين المدارس الممتازة والتعيسة تقنع المدارس التعيسة بالخروج من هذا المجال.

ولعل جيرهارد سيزيسني اتبع سراً الطريقة ذاتها عندما نشر نتائج استبيان آراء الأكاديميين بين المتدينين من كل من: الكاثوليك، والبروتستانت، والبوذيين، والمسلمين واليهود (*Die Antwort der Religionen, Reinbek 1971, 1st ed. 1964*) ومهما كان هدف الناشر، فقد كان من المؤلم أن تقرأ الإجابات المبهمة، الموجزة الساخرة التي قدَّمها اثنان من ممثلي النصرانية، وبخاصة عندما تمت مقارنة تلك الإجابات مع إجابات الأستاذ محمد أسد القصيرة، الواضحة والدقيقة، وإجابات كورت ويلهيلم عن اليهودية.

ولقد استطاع الأستاذ البروتسانتي إرنست وولف أن يملأ عدة صفحات لمناقشة العلاقة بين الحقيقة الحسية واللاحسية، دون أن يحتاج للإحالة إلى الله حتى ولو مرة واحدة.

كما شهدت كيف استطاع الأستاذ الكاثوليكي جوهان بابتست ميتز أن يطلق العنان لنفسه في الحديث بإطناب عن: "بما أن هذا الوحي الذي تلقيناه من خلال السيد المسيح، والذي يُعْتَقد أنه الحادثة المميزة للخلاص والذي يجد الإنسان فيه لسؤاله التاريخي عن الوجود جواباً لا يمكن تجاوزه وسبقه إلى الأبد، فيجب أن يكون هذا الجواب موثقاً أصيلاً، وماثلاً على أنه نموذجٌ ومعيارٌ يحتذى، ويمكن للبشرية أن تصل إليه وتتعامل معه خلال تاريخها بأكمله، وهذا ما حدث بالتمام من خلال "الكتب المقدسة"، وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا التركيز على حادثة كتابة الوحي تمَّ إدراكها وتحققها ضمن البشرية التي كان لديها كتابٌ يُعْتَبَرُ وسيلة ملزمة للتراث التاريخي." يا إلهي!... [ما هذا التعقيد]...

وبالمقابل، فقد قدم الأستاذ محمد أسد بشكل جميل ومعبر صياغة مادته على النحو التالي: "إن الإسلام لا ينظر إلى الحقيقة على أنها مزدوجة... ولذلك، فلا يستطيع أحدٌ أن يقابل "حقيقة أخرى" مع "حقيقتنا"، بل إنه يتكلم عن المظاهر المدركة وغير المدركة عن "الإجمالية" الواحدة والمتماثلة. وكذلك فقد قال: "إن علم الطبيعة بذاته فقط غير قادرٍ على كشف كل مظاهر الحقيقة... ولذلك، أنزل الله وحياً كي يمنحنا الهداية الضرورية التي لا يستطيع العلم أن يقدمها لنا ويمنحنا إياها، وهذا الوحي ينزله الله على أشخاص يختارهم ويصطفيهم لهذه المهمة الجبارة، وهم "الأنبياء والرسل". انتهى.

القسمة والنصيب ليست عذراً...

بون - ٢٧ شباط/فبراير ١٩٨٠

لقد علمتني السيرة الذاتية الساحرة التي كتبها محمد أسد بعنوان: "الطريق إلى مكة (فرانكفورت ١٩٥٥)، علَّمتني "القدَرِيَّة المشرقية"، وهي إذا ما فُهِمَتْ جيداً موقفٌ ليس نحو المستقبل، ولكنه نحو الماضي. إن قبول القسمة والنصيب ليس عذراً للانشغال بالتوافه. بل على النقيض من ذلك، إنها ببساطة إدراك أن الإرادة الإلهية هي وراء كل ما حدث سواء أحببناه أم لم نحبَّه.

وكان يعدلُ في الأهمية بالنسبة لي تقييمُ محمد أسد وهو أن ازدواجية الوجود، أو بالأحرى العدائية تجاه "الجسدية" الشخصية، والتي أدخلها القديس بولس إلى الكنيسة النصرانية ليجرِّد الإنسان من كرامته ككلٍّ متكامل كامل. ونتيجة لهذا فقد أعطيتْ "المانوية" عقداً جديداً للحياة متنكرةً بزيٍّ النصرانية، فاصلةً حتى في هذا الوقت ما يُدْعى "المقدس" عما يُدْعى "النجس" بطريقة غريبة تماماً عما تعتقده وجهة نظر المسلمين عن القداسة.

كما يلفت محمد أسد انتباه المرء إلى الحقيقة التي غالباً ما تُتجاهل من قبل الكثيرين أن محمداً ﷺ أحدث ثورةً في منظومة القيم الاجتماعية للمجتمع العربي عندما استبدل المفهوم السياسي الجديد لما نسميه "الأمة" بالعلاقات والروابط القبلية التي تُعْتَبَرُ الأهم (وهي القوميةُ اليوم)، اعتماداً على السيادة الدينية فقط. ولا تقلُّ التوجيهات التي أتى بها محمد ﷺ عن الصلاة بمفهومها الثوري عن ذاك المفهوم الذي ألمعنا إليه آنفاً عن الروابط الاجتماعية. فالسجود على الأرض بتواضع وتذلل وانكسار، ووضع الجباه والأنوف عليها، وهي أعزُّ ما لدى العربي البدوي القرشي الفخور بعزته وشرفه وكرامته أمرٌ لم يكن مألوفاً لديهم على الإطلاق، ومخالفٌ لكل ما تعارفوا عليه.

حفلة الدراويش...

قونية. ١٣ تموز/يوليو ١٩٨٠

لقد استمتعنا بالنظر إلى المنظر الرائع للقبة الخضراء التي شُيِّدتْ فوق ضريح مولانا الشيخ جلال الدّين الرومي، وهي نسخةٌ مماثلةٌ تماماً لقبة المسجد النبوي في المدينة المنورة. ولقد استطاع هذا النظام الديني الذي أسسه الرومي، والذي يُعْرَف بـ: "الدراويش الدوارين" (الطريقة المولوية)، على الرغم مما أعلنه أتاتورك آنئذٍ أنها طريقة خارجة عن القانون في ١٣ كانون أول/ديسمبر ١٩٢٥، مثلما حدث للجزويت اليسوعيين الذين منعهم البابا عام ١٧٧٣ لمدة إحدى وأربعين سنة.

ويُقدَّم الدراويش اليوم كعرضٍ فولوكلوري مُسَلٍّ. ومع ذلك، فإن الجمهور يكتشف بسرعة أنه يشارك في ممارسة ازدهرت على جانب الإسلام. كما يتضح فوراً أن حركة الدوران المستمر للدروايش ليست رقصة نادرة غريبة، بل هي وسيلة للتأمل الديني.

إن أستاذي الذي علَّمني عزف القيثارة (الناي) المصنوع من القصب هو ذاته درويش متحمس. وقد حاول أن يحثني على الدراسة، مع المحافظة على ترتيب الأولويات، وألا أبدأ بدراسة القرآن الكريم، ولكن أبدأ بدراسة الأعمال الكاملة لشيخه المثنوي، وهو ديوانٌ ضخمٌ وغني من الشعر الصوفي الديني.

وقد أعجب أستاذي نيسن *Neysen* بالوجد الذي بثَّهُ الرومي، وبأناشيد الحب الكوني لأنها كانت تقيم جسوراً مع كل المعتقدات الأخرى مزيلة الخلافات بينها. والحق يقال: إن "المولوية" تقود أتباعها نحو توحيد متفائل تصبغه باللون الإسلامي وظلال وحدة الوجود. فهل هذا هو ما تعنيه "الطريقة"؟

القديس بولس، المهرطق

اسطنبول - ٢٠ تموز/يوليو ١٩٨٠

لا يمكن للمرء أن يتوقع جواباً إذا سأل: "كم كان طول عيسى المسيح عليه السلام؟" أو: "ما هو اللون المفضل لعيسى عليه السلام؟ أو: "هل أحب عيسى عليه السلام العسل أم الثوم؟" أو: "أي فردةٍ من الحذاء لبس أولاً عندما لبس حذاءه في الصباح؟" بل، يمكننا أن نكون متأكدين أن هذه الأسئلة وأمثالها هي أمور محظورٌ السؤال عنها في حياة إنسانٍ بمثل أهمية عيسى عليه السلام. إلا أن ما أريد أن أثبته هنا أننا نعرف كل هذه الأمور، بل والمزيد من التفاصيل عن حياة رسول الله محمد ﷺ. وأما من وجهة نظر الإنجيل، فإن عيسى عليه السلام، يظهر على أنه علمٌ من الأعلام البارزة له ظلالٌ غامضة. ويعزو البعض هذا الخلاف بين الشخصيتين إلى صعوبة توثيق حياة شخصٍ عاش قبل بعثة محمد ﷺ بستمئة سنة.

ولعلَّ هناك تفسيراً أفضل من هذا وهو: إن الأحاديث العديدة التي بُذِلَتْ جُهُودٌ مُضْنِيَةٌ في جمعها وترتيبها وتصنيفها وتمييزها عن الإسلام في بداياته نقلها ورواها ثِقَاةٌ عُدُولٌ شهودٌ ونقلوها؛ الواحدُ عن الآخر بمثل العدالة والضبط والثقة حتى وصلت إلينا في متونٍ رائعة من كتب مجاميع الحديث. وأما قصص الإنجيل، فهي إلى درجة كبيرة، قصص وروايات تمَّ جمعها في وقت متأخر، وغالباً ما تعتمد على "إشاعات" متداولة بين الناس فقط. فنادراً ما نقرأ في الإنجيل ما قاله عيسى عليه السلام ذاته، بل على النقيض من ذلك، نقرأ تفسيراتٍ وتأويلاتٍ لما أراد أن يقوله عيسى عليه السلام.

وبما أن العهد الجديد هو مصدر ثانوي، وليس أساسياً للمعلومات، فإنه لا يرتقي بحال من الأحوال إلى ما يرتقي إليه القرآن الكريم. بل

يمكننا مقارنته مع مجاميع الأحاديث الضعيفة، غير الصحيحة، والمشكوك فيها فقط. وإذا أردنا أن نعطي مثالاً واضحاً جداً فيمكننا القول: إذا تمَّ تطبيق مبادئ البحث الإسلامي على العهد الجديد، فإن كافة الرسائل التي كتبها القديس بولس سيتم حذفها منه؛ وذلك لأنه لم يرَ عيسى عليه السلام، ولم يلْتقِ معه، ولم يكلِّمْه على الإطلاق.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار التأثير الانتشاري بأن تفسير القديس بولس للأحداث التي أحاطت بحياة عيسى عليه السلام وأثرها على تطور الفكر العقدي للنصرانية، فيجب أن ينتسب النصارى اليوم إلى بولس فيقولون إنهم "بُولُسيون" (إذا أردنا مقارنتهم مع يهود النصارى القدامى). والحق أقول: إن الهرطقة المسيحية اليوم، وهي إعادة تفسير المسيح عليه السلام على أنه "إله"، وفرضية، أو نظرية "التثليث"، وتحويله إلى "جسد"، كل هذه بدأت مع بولس.

الأخلاق التجارية

اسطنبول - ٢٢ تموز/يوليو ١٩٨٠

بينما كنا في زيارة للسوق المغطى في اسطنبول (كابا كارسي) نتفرج على معروضات نوافذ المحلات التجارية، توقفنا لحظةً عند محل للتحف لا يوجد صاحبه فيه. وعرض علينا البائع الموجود في المحل المجاور أن يبيعنا أي شيء نريده من معروضات محل جاره. ولم يحاول أن يجذبنا إلى دخول محله الذي يبيع فيه التحف أيضاً، وأن يحاول بيع بضاعته الخاصة.

وفي مكان آخر، دفعنا القيمة النقدية كاملة مقدماً لتفصيل معطف جلدي وخياطته ثم إرساله بالشحن إلى عنواننا في ألمانيا. وسوف نستلم المعطف علماً بأننا لم نَرَ التاجر بتاتاً من قبل، بل ومن المحتمل أيضاً ألا نقابله ألبتة في المستقبل أيضاً.

وبعد فترة، طلبت زوجتي من بائع مجوهرات تقييم سعر "ماسَةٍ" فاخرة نقية. وقد اختفى صاحب المحل لمدة نصف ساعة حيث ذهب ليستشير صاحباً له أكثر خبرةً منه في الألماس. ولم نقلق لأننا كنا متيقنين أننا سنستردُّ الماسة ذاتها، وليس غيرها.

كيف يمكن تفسير هذه الأخلاق التجارية، حيث يتعامل التجار بالحب والسلام بدلاً من قطع رقاب بعضهم بالمنافسة الشديدة؟ ترى هل كان هذا بسبب الشفافية الموجودة في هذا السوق، أم أنها بسبب مقاييس الأخلاق العالية للنظام السابق للشعور بالذنب؟ أم أنها نتيجة لما يتبعونه من الأسلوب القدري في الاقتصاد التجاري؟ أم أنها ثمرة الشعور بالإخاء في المعاملة والتطبيق؟

إن هذه الأخلاق الإسلامية هي حقيقية، بل ومن الصعب شرح النظام الاقتصادي للإسلام على أنه بديلٌ يمكن تدريسه بشكل ثابت. ليس هناك نُدْرَةٌ في الأدب عن هذا الموضوع بالذات (وخاصة عن البنوك غير الربوية)، إلا أنه لا يوجد مثالٌ إسلامي عاملٌ حيٌّ واحدٌ عن الاقتصاد الإسلامي. ولعل أحد الأسباب الرئيسة لهذا الغياب هو فقدان نظام تجاري إسلامي شامل واضح المعالم تماماً. وكما هو الحال بالنسبة للقانون الأساسي لجمهورية ألمانيا الاتحادية، ودستور الولايات المتحدة الأمريكية، فإن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يوفّران الإطار العام لاقتصاد السوق بناء على الملكية الفردية والمسؤولية الاجتماعية. وأما القوانين الأكثر تخصصاً فهي محدودة بشكل رئيسٍ لكل من العقود والضرائب، وهي مصنفةٌ على أنها تحريم للربا الفعلي، والفائدة، والصفقات التجارية التي تشتمل على عامل من عوامل المقامرة (مثل النظر في البضائع التي هي بضائع المستقبل).

ولهذا، فيجب أن نجد روح السلوك الإسلامي التجاري في الأوامر القرآنية المتعلقة بالأخلاق. وهي لا تختلف في مبادئها عن الاقتصاد النصراني. بل يمكن أن يحدث الإسلام إصلاحاً في العادات التجارية فحسبُ، إذا كان هناك إصلاحٌ على الإطلاق، من خلال إصلاح الفرد البشري. والمهم هنا هو ليس النظام، إنما المهم هو العقلية الاقتصادية والأخلاق التي يتحلى بها المنتجون والمستهلكون المسلمون، والمقاولون، والبنوك، الذين يعتبرون جميعاً مسؤولين اجتماعياً عن هذا الإصلاح.

ثلاث مرات، وليس أربع

اسطنبول . ٢٩ تموز/يوليو ١٩٨٠

كان الجو حاراً جداً في اسطنبول أثناء مكافحتنا للحرِّ الشديد فيها خلال ازدحام المرور وحركة السير، وقد ركبنا الباصات، وسيارات الأجرة، ومشينا على أقدامنا التي تؤلمنا لنزور بعض الأصدقاء الذين لم نستطع الاتصال بهم هاتفياً.

وقرعت زكية، وهي والدة زوجتي، جرس الباب المرة الأولى، ثم الثانية، وبعد برهة انتظار، قرعت الجرس للمرة الثالثة. ولم تَحِرْ جواباً. ودون أي تأخير أو تردد، استدارتْ، وقد حالتْ دون السماح لي بقرع الجرس للمرة الرابعة متعلِّلةً بقولها: "إننا لا نفعل هذا". وقد وصلتْ إلى هذه النتيجة، وهي تكاد لا تعرف أنها تَتَّبِعُ قاعدةً أرساها النبيُّ ﷺ، وكان تصرُّفُها هذا مطابقاً للعادات المتبعة في العالم الإسلامي. إلا أن ردَّ فعلها هذا يمكن اقتفاء أثره إلى حادثة سجلها لنا التاريخ من خلال الكتاب الرابع والسبعين في كتاب الحديث الشهير: "صحيح البخاري" على أنها "آداب الاستئذان".

وحسب ما ورد في الحديث رقم ٢٦١، الذي رواه أنس بن مالك ﷺ، أن رسول الله ﷺ، "كان إذا سلَّم سلَّم ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً" وأنه ﷺ قال: "إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجعْ". فإذا لم يُفْتَح الباب فيفترض، وهو محِقٌّ، أن أصحاب الدار إما أنهم غير موجودين، أو أنهم لا يرغبون استقبال الزائر في هذا الوقت.

وهذا ليس إلا مثالاً واحداً من الأمثلة الكثيرة التي تدل على أن سلوك النبي ﷺ أصبح طريقة الحياة الطبيعية للشعب المسلم بأكمله. وكلما تعمقت في دراسة صحيح البخاري وصحيح مسلم خاصة من أحاديث رسول الله ﷺ، ازدادتْ عيناي تفتحاً على ملاحظة المزيد من علم الاجتماع. والذي لا أرغب فيه ولا أحترمه هو أن اعتبار الإسلام ثقافة.

الطريق إلى مكة

بون ـ ١٨ آب/أغسطس ١٩٨٠

اقتربنا من نهاية القرن العشرين، وباستطاعتنا أن نؤكد أنه لم يستطع شخصٌ ما خلال المئة سنة الماضية أن يساهم في شرح الإسلام والدعوة إليه في الغرب أكثر مما فعله النمساوي محمد أسد (والذي عُرِف سابقاً باسم: ليوبولد ويس، الذي انحدر من أصل يهودي). ولم يكن أثره هذا فقط بسبب الاحترام الذي قدَّمه الناس لحكمته البليغة ولسعة معرفته واطلاعه الواسع، بل لمؤهلاته الأخلاقية كذلك.

ولد محمد أسد عام ١٩٠٠، وعاش حياة حافلة بالمغامرات التي وفَّرتْ له الكثير من الفرص التي كشف فيها عن مواهبه الكثيرة التي استخدمها. فعندما كان في الرابعة عشرة من عمره هرب من بيت والديه ليلتحق بالجيش النمساوي الذي شارك في الحرب العالمية الأولى. وعندما بلغ التاسعة عشرة من عمره، عمل كمساعد للدكتور مورناو، ثم بعدها مساعداً لماكس رينهارديت، وكان كلاهما عملاقاً معروفاً في صناعة الأفلام السينمائية.

وعندما بلغ محمد أسد الثانية والعشرين من عمره، أصبح مراسل الشرق الأدنى لإحدى أكبر الصحف الألمانية المرموقة "فرانكفورتر زيتونغ". وبالتالي، فقد اعتنق الإسلام عام ١٩٢٦ وأصبح صديقاً لكل من الملك [عبد العزيز] ابن سعود، والشاعر العلامة محمد إقبال.

ولقد انتهت الحرب العالمية الثانية حيث كان محمد أسد في الهند. وعندما تأسست باكستان أصبح محمد أسد معاون وزير لشؤون الشرق

الأدنى في وزارة الخارجية لتلك الدولة الفتية، حيث تمَّ إرساله لاحقاً إلى نيويورك كممثل دائم إلى الأمم المتحدة.

وليست هذه الأمور سوى بعض أهم الأدوار التي قام بها محمد أسد خلال فترة حياته التي تُعْتَبَرُ بمجملها حياة زاخرة ومتكاملة تكامل فيها الفكر مع العمل، والفلسفة مع الدِّين، وعلم الجمال مع السياسة بطريقة إسلامية بارعة رائعة. ويعتبر محمد أسد بحقٍّ أحد رجال النهضة الإسلامية المعاصرة.

وقد أصبحت كتب محمد أسد جميعها، وبلا استثناء، من الكتب التقليدية الهامة، كل في مجاله. ففي كتاب "الإسلام على مفترق الطرق"، الذي أصدره محمد أسد عام ١٩٣٤ ساهم محمد أسد في استرداد العزة والكرامة والاعتزاز بالذات للعالم الإسلامي الذي قدَّم الاعتذار تلو الاعتذار بسبب فقده للثقة بنفسه تحت الهجوم الضاري للتفوق التقني الغربي. وقد كتب محمد أسد ما يلي في الهند قبل أكثر من خمسين سنة ببُعْد نظرٍ مدهش: "من المحتمل... أن الاضطراب الاجتماعي والاقتصادي المتناميين، وكذلك سلسلةٌ جديدة من الحروب العالمية التي لا تُعْرَفُ أبعادها حتى ذلك الحين، وكذلك الإرهاب العلمي، ستؤدي جميعها إلى خداع الذات المادي للحضارة الغربية بطريقة شنيعة ومخيفة سخيفة ومنافية للعقل، تدعو أهل تلك الحضارة أن يبدؤوا من جديد بتواضع وصدقٍ في الطلب، البحثَ عن الحقائق الروحية، ويتوافق هذا عندئذٍ مع الدعوة الموفقة الناجحة إلى الإسلام التي يمكن أن تصبح أمراً ممكنا وواقعاً ملموساً..."

وأما سيرته الذاتية التي كتبها بشكل مبدعٍ رائع: "الطريق إلى مكة"، عام ١٩٥٤، وجاءت على شكل وثيقة تحرِّك المشاعر وتهزُّها لتروي قصة اعتناقه للإسلام. وأما كتابه: "مبادئ الدولة والحكومة"، فيعترف

محمد أسد دون أي تردد، أنه لم تكن هناك دولة إسلامية حقيقية فعلية بعد الخلافة الراشدة لكل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، رضي الله عنهم جميعاً، الخلفاء الراشدون الأربعة الذين أداروا دفة الحكم من المدينة المنورة. كما أكد محمد أسد أيضاً أن القرآن الكريم والسنة المطهرة يشتملان على مبادئ وأطر عامة دقيقة جداً عن تنظيم الدولة الإسلامية والمجتمع. وكانت استنتاجاته بعيدة الأثر، وجاءت على النحو التالي:

إن مجمل القانون الإسلامي الذي تطور على مدى ثمانية قرون من الزمن هو أوسع بكثير من الأمور الأساسية المُلْزمة (الشريعة).

يمكن أن ترى الدولة الإسلامية كثيراً من المزايا النموذجية للديمقراطية البرلمانية وسيادة القانون من خلال إطار الدستور (والتشريعات) التي تعكس المبادئ الأساسية، بما في ذلك المعاهد الأمريكية للرئيس والمحكمة العليا.

إن الصحوة الإسلامية ليست بالضرورة إعادة تأسيس حكومة إسلامية دينية.

وقد أدى محمد أسد واجبه في المدينة المنورة، حيث استطاع خلال عدة عقودٍ من الزمن ترجمة الجزء الأول من (صحيح البخاري: السنوات الأولى للإسلام، ١٩٣٨) كما شرحه وفسره، وكذلك فقد ترجم معاني القرآن الكريم بأكمله (رسالة القرآن الكريم، ١٩٨٠). وقد كانت ترجمته ضرباً من العمل الأدبي الراقي، والعلمي وحادثة تاريخية بحدِّ ذاتها، حيث استخدم لغة عصر شيكسبير للغة الإنجليزية. ولا شك أن محمد أسد مدين للمصلح الديني المصري المعروف الشيخ محمد عبده (مؤلف رسالة التوحيد المشهورة، ١٨٩٧). ولقد سلك محمد أسد منهج الشيخ محمد عبده دائماً في بحثه عن أكثر التفاسير "مُطابَقَةً" للمعقول والمنقول، والتي تعبر عن الفهم المباشر، كما طبَّق عليها أحدث الإضاءات اللغوية ومفاهيم العلوم

الطبيعية، ولم يظهر محمد أسد أي احترام كاذب لكل من الممارسات التقية والشخصيات الهامة التي ...

وقد اختار هذا الرجل العظيم، استماتة في الدفاع عن شخصيته وروحانيته، اختار أن ينتقل مرة أخرى، وقد تجاوز الثمانين من عمره، من المدينة المنورة إلى طنجة، ومن هناك إلى البرتغال وإسبانيا، مثبتاً للجميع أن محمد أسد سيبقى صادقاً مع نفسه: ناقداً، يقظاً، حيَّاً.

تحرُّرُ المسلم...

بون - ٢٥ آب/أغسطس ١٩٨٠

إن فكرة "التضحية"، أو تقديم القرابين برجلٍ، أو امرأة، أو حيوانٍ، وأن المُضحِّي يمكن أن يشتري "المغفرة" و"العتق" هي فكرةٌ قديمةٌ (ووثنيةٌ) كأقدم ما يكون. كما أنها اعتقادٌ سبق، بالتأكيد، الاعتراف بالله "الكريم الرحيم". وعندما حاول المتشددون في عقيدة النصرانية تعليل صَلْب السيد المسيح عليه السلام، على أنه "موتٌ قربانيٌ ضروريٌ" للفداء والتضحية، فقد استمروا في جدلهم ضمن هذا المبدأ الوثني للتضحية والقرابين. وكانت حجتهم: "حتى يتمكَّن الربُّ من المغفرة (!)، فإنه يحتاج (!) التضحية بالذات؟ تُرى، إذا سمحتم لي بالسؤال، من أجبر الله بتعريف مثل هذه الاحتياجات، وبتحديد مثل هذه الشروط؟ أليس مجرد هذا التفكير كُفْرٌ بواحٌ صريحٌ؟

إن الفكرة والصورة التي يقدمها القرآن الكريم عن الله ربِّ العالمين، حتى من خلال السور التي قد تقفُّها "النصرانية" كسورة الفاتحة، وآية الكرسي، وفيهما أقلَّ ما يكون مما يمكن أن يدعيه الإنسان، وأكثر ما يمكن أن يصف به النصارى العاديون مفهومهم وفكرتهم عن الله تعالى. ولعل أهم ما في القرآن الكريم أنه لا يقبل أي شفاعة في العلاقة بين الفرد وربِّه ﷻ، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾. ولا يمكن لخليفة، أو إمام، أو عابد صالح أن يشفع لشخص آخر (بما يمكن أن يكون بمفهوم "الوسيط" في مبادئ النصرانية).

وبمعنى آخر، فمنذ بداية القرن السابع الميلادي، تحرر المسلمون من الوصاية التي تتضمنها إدارة "السر المقدس" أو "القربان المقدس"، ونقلوا إلى العلاقة الكاملة، المباشرة والموجودة بينهم وبين الله؛ علاقة تتناسب مع إنسان العصر الحديث، الإنسان البالغ العاقل الراشد الكامل.

خاتم الأنبياء

بون ـ ٢٧ آب/أغسطس ١٩٨٠

لا بد أن يتطور المفهوم الصحيح عن الله "الواحد الفرد الصمد الذي لا شريك له" في آخر المطاف، في طور التطور الفكري للإنسان. فتعدد الآلهة لا بد أن يتحول ذاتياً إلى علاقة هرمية لمجموعة من الآلهة وذلك إذا أدركنا فقط أن كل غازٍ منتصرٍ فاتحٍ يفرض إله (أو آلهة) قبيلته على الذين غزاهم وانتصر عليهم وأخضعهم لسلطانه. نعم، لقد كانت مرحلة حاسمةً في عملية التعرُّف على أعلى الآلهة سلطاناً وقوة.

ولقد عِيبَ على تقدُّم اليهودية نحو فكرة التوحيد أنها استمرتْ بالنظر إلى "يَهَوَه" (الربّ، الله) على أنه إلهٌ قَبَلِيٌّ.

ولقد صحَّح عيسى عليه السلام، هذه الشبهة أو المفهوم الخاطئ. إلا أن رسالة "ابن الله" [أستغفر الله، وحاشا لله أن يكون له ولد] أصبحت مخفيةً عندما اتخذ أتباعُهُ علاقته بربِّه [خالقه وبارئه] على أنها علاقةٌ "حرفية" بكلِّ ما في الكلمة من معنى.

لذا، كان لا بد أن يأتي رسولٌ آخر يدعو الناس إلى المفهوم الصحيح عن الله "الواحد الفرد الصمد الذي لا شريك له"، والذي هو ربُّ الخلق جميعهم. وإن هذا التقدم الأخير هو الإسهام الهام الذي قدَّمه الإسلام للتطور الروحي للبشرية. والحقُّ يُقال: "إن الكمال والحقيقة اللتين لا يمكن أن تُدْخِل أي تحسينٍ عليهما يجعلان محمداً ﷺ: "خاتَم الأنبياء جميعهم".

هل يمكن أخذ جزء من الإسلام فقط حسب الرغبة؟

بون ٢٠ أيلول/سبتمبر ١٩٨٠

قد يُغْرَى المرء، بعد أن كان سابقاً خبيراً ومتمرساً باللاأدرية التي أوجدها الفيلسوف "لودويغ ويتغينستين"، قد يُغْرَى بأن يقترب من الإسلام بشيء من التخيُّر. ويحاول المرء بخاصةٍ أن يميز في القرآن الكريم بين الأفكار الدينية الثابتة الخالدة الصحيحة، وبين القواعد التي اندثرتْ وعفا عليها الزمن للحياة اليومية. ويحاول المرء أن يكون معتدلاً، متجنباً للغلو والمغالاة، ولذلك فهو يُسقِطُ المظاهر "القديمة البالية" التي نُسخَتْ بمرور الزمن...

أيصلي المرء خمس مراتٍ كل يوم؟ أيصوم المرء شهراً كاملاً في السنة؟ أيترك الإنسان المسكرات ودفع الربا أو قبوله؟ ربما لن يكون هذا أمراً سيئاً، ولكنه صعب التطبيق في المجتمع التقني المعاصر.

فإذا بدأ الإنسان يجاوب بهذه الطريقة، فإنه قد بدأ يحذف، أو يمنع بعض النصوص من القرآن الكريم مختاراً منه الجزء الذي يعجبه فقط، ومنخرطاً فيما يمكن أن يكون قبولاً اختيارياً لإرادة الله.

إنه قد عُرِفَ عن الذين يعتنقون الإسلام أنهم ينشرون معنى هادئاً آمناً للتوجُّه السليم؛ ويبدو أنهم في تناغمٍ سعيدٍ مع أنفسهم وذواتهم وبيئتهم. ولكن، كيف يمكن للمرء أن يتذوق ما يمكن أن يفعله الإسلام ما لم يكن استسلامه له مطلقاً وكاملاً؟

مسلمٌ رغماً عني...

بون. ١١ أيلول/سبتمبر ١٩٨٠

لقد مرَّ عليَّ زمنٌ حتى الآن، وأنا أحاول جاهداً بكل ما وسعني للوصول إلى الدقة والاختصار، ولقد حاولتُ أن أكتب بطريقة منظمة كافة الحقائق الفلسفية، التي هي بنظري، يمكن تأكيدها دون أي شك. وكانت نتيجة هذا الصراع الطويل الذي استغرق حياتي كلها ضمن الحدود البشرية المتاحة للتوصل إلى الحقيقة لتكون هدية غير تقليدية لولدي ألكسندر[1].

وبصدد هذه المحاولة، فقد تبين لي أن الموقف العادي للشخص الملحد هو موقفٌ لا يدلُّ على ذكاء، وهو أن الإنسان لا يمكن أن ينعتق من قرارٍ يلزمه بالإيمان، وأن كل ما نجده حولنا مما يحيط بنا هو مخلوقٌ، وهذا أمرٌ واضح، وأن الإسلام، دون أدنى شك، يجد نفسه أشدَّ ما يكون تناغماً مع الحقيقة المطلقة الإجمالية. وهكذا، فقد أدركت، مع صدمة المواجهة، أنني خطوة بخطوة، ورغماً عني، بل ودون وعي لما يمرُّ بي من شعورٍ وتفكيرٍ تقريباً، أنني أصبحتُ - بحمد الله وتوفيقه - مسلماً [أكثر فأكثر].

ولم يبقَ لي إلا خطوة واحدة يجب عليَّ اتخاذها وهي: أن أعلن اعتناقي للإسلام بشكل رسمي.

(١) لقد أصبحت هذه الهدية الآن نشرة تقع في (١٦) ست عشرة صفحة فقط بعنوان: "اتجاه فلسفي إلى الإسلام" (الطبعة الألمانية الثالثة، ميونيخ، ١٩٩٧، وأما الطبعة الإنجليزية: كولونيا ١٩٨٣، والرقم العالمي الموحد للكتاب هو: ٤-٠٠٢٥-٨٢١٧-٣).

لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ

بون. ٢٥ أيلول/سبتمبر ١٩٨٠

لقد أكرمني الله بالنطق بالشهادة، وأصبحت هذه الفكرة حقيقة ماثلةً للعيان. وقد نطقت بها في المركز الإسلامي في كولونيا قائلاً: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ".

وقد اخترتُ "مراد" اسماً لي.

واعتباراً من هذا اليوم فأنا مسلمٌ.

لقد وصلت...

لماذا لا نكرر الأمر أربعاً؟

بون. ٢٦ أيلول/سبتمبر ١٩٨٠

إذا كان بالإمكان تصور الثالوث المقدس، فلماذا لا تسبقه "الرباعية"؟ وإذا كان "المولود الأول" [البكر]، أو ما يسمى: "نظرية الصدور أو الفيض في خلق العالم"، هو من الطبيعة ذاتها التي تنتمي إليها "العلة الأولى"، ولماذا لا تساهم نظرية صدور ثانية في تلك الطبيعة؟ ترى هل كان يمكن أن تتطور فكرة "التثليث" لو كان "آباء الكنيسة" [القساوسة الرهبان] غير عالمين بفلاسفة ما بعد أفلاطون مثل بلوتونيوس وبروكلوس، اللذين ميَّزا في أعمالهما *Liber de causis* بين كل من: "الوجود" (الأب)، و"السبب" (روح القدس)، و"الروح" (الابن؟): إنها رباعية الصدور، وهي أقرب ما يكون إلى الغنوطسية [مذهب العرفان، وإن المادة شر، وإن الخلاص يأتي عن طريق المعرفة الروحية] كالنصرانية؟...

الدراويش الدوارون في قونية

بون ـ ٩ تشرين أول/أكتوبر ١٩٨٠

يُقَدِّمُ الدراويش الدوارون من قونية في صالة بيتهوفن في بون وكأنهم مجموعة رقص استعراضي. وبالتالي، يتوقع كثير من الجمهور مجموعة من الراقصين الدوارين الديونيسيين الشهوانيين، العربيدين، أو على الأقل مجموعة من الأشخاص "الطقسيعربديين" [وهي الطقوس السرية التي كانت تقام في أعياد آلهة الإغريق واليونان وتتميز بالغناء النشوان والرقص العربيد]، بدلاً من أن يتوقعوا احتفالاً تأملياً جمالياً سيقدَّم لهم. وأما الممثلون ـ وهم أناسٌ مدنيون مهذبون وعُبَّادٌ متزوجون ـ على خلاف ذلك تماماً، فهم يمثلون أقصى درجات شعر التدين التقليدي والموسيقى التركية.

ويبدأ احتفالهم عادة بأنشودة فارسية للمديح الإلهي للشاعر جلال الدين الرومي، يقدِّمها حافظٌ مكفوفُ البصر اسمه "كاني كاركا" بصوتٍ جليلٍ مهيبٍ جهيرٍ عميق. ويدخل دراويش المولوية وهم يرتدون ملابسهم الرمزية التقليدية دون أي صوت: وتمثِّلُ طرابيشهم القمعية اللبادية [المصنوعة من اللباد] حجارة القبور والأضرحة، وتبعثُ أثوابهم السوداء الطويلة ظلام القبور في النفوس، وأما معاطفهم "البوليرو" (وهي سترة فضفاضة يبلغ طولها الخصر) وتنانيرهم فتذكِّرُ بالأكفان؛ أكفان الميت.

ويبدأ الدراويش أولاً بثلاث دوراتٍ بخطواتٍ عادية متثاقلة. وكلما مروا بشيخهم في مكان الشرف والصدارة الذي يقفُ فيه (العمود)، يحنونَ رؤوسهم بالتبادل مع الدرويش التالي. كما أنهم ينحنون انحناء شديداً عندما يقبِّلون يد الشيخ، وينحني الشيخ بدوره قليلاً ليقبِّلَ طرابيشهم.

وفي ذلك الحين فقط يبدأ الدراويش التفافهم، وهم ابتداءً يعقدون أيديهم

على صدورهم واضعين الأكفَّ على الأكتاف. وبعد ثوانٍ فقط، يبسطون أيديهم حيثُ يبسطون الكفَّ الأيمن مرفوعاً إلى السماء، والكفَّ الأيسر يقلبونه باتجاه الأرض. (كل شيء من الله، من السماء. وكل شيء يتلقاه الدرويش يعطيه بحبٍّ وسماحة نفس إلى أخيه الإنسان). ويدور الدراويش بهدوء وسكينة في الوقت ذاته، بل وحتى بإيقاعٍ لا يكاد يبين الجهدُ فيه، سواء أتوقَّفَ الدرويش في مكانه أم استمر في الحركة. وقد يعرِّفُ ناقد الباليه بأن حركة الدراويش هي لفتاتٌ إلى اليسار، من الداخل، خلال العدِّ من واحدٍ إلى أربعة، والاستعداد (تغيير الرجل التي يقف عليها) يستغرق ثلاثة أجزاء، ثم أرجحة الساق اليمنى لإتمام الالتفاف على الجزء الرابع.

ويتابع الدراويش هذه الحركات مدة تتفاوت ما بين ٢٠ ـ ٢٥ دقيقة رائعة يكاد المرء لا يصدق ذلك، ولا يظهر عليهم العَرَقُ، أو الدَّوْخةُ، أو انبهارُ النَّفَس وانقطاعه. وقد وُصِفَتْ هذه الألغازُ بعض الأحيان بأنها "الفراشات البيضاء"، وأحياناً أخرى بأنها "الكواكب التي تدور في مركز روحي". ولا عجب أن يشعر المشاهدُ وكأنه ينوَّمُ تنويماً مغناطيسياً وهو يراقب التفافاتهم ودورانهم الهادئ بموجات منتظمة؟ ويبدو المرء الآن وكأنه يقترب من اختراق طريقة مادية شديدة التنقية بأنه يستحثُّ علم جمالٍ دينيٍّ باسمِ الإسلام.

وقد تمتَّع شيخ هؤلاء الدراويش القديم سلمان طوزون، بسبب مكانته الهائلة بوقفةٍ استثنائيةٍ على المسرح تأخذ الألباب. وكان دورانه ناعماً جداً، بطيء الحركة، وكأنه في نشوةٍ أو حلم، إلا أنه مع كل ذلك يجذبُ الأبصار والأنظار إليه. وأدرك الجمهور الآن، كل رجلٍ وامرأةٍ فيه من الحضور، أن هذا الاحتفال ليس منظراً مؤلماً مألوفاً لراقصٍ طاعنٍ في السنِّ يرفض الإحالة على التقاعد. وإن ما نشهده هنا هو شخصيةٌ دائمة الشباب مبنية على الزهد والتنسك والعبادة.

مناعة الإسلام

بون. ٢٦ شباط/فبراير ١٩٨١

عندما يقارن المسلمون بين المخاطر التي يجلبها العالم الشيوعي وبين تلك التي يفرضها الغرب، يُلاحَظ أن كثيراً منهم هم أكثر خوفاً من التدمير الروحي الغربي، منهم من خطر انسحاقهم المادي من قبل الشيوعية. ولعل هذا كان نتيجة ملاحظاتهم الصحيحة من أنه لم يكن باستطاعة الاتحاد السوفييتي [السابق]، ولا باستطاعة الدبابات الروسية في أفغانستان أن ينجحوا في اقتلاع الإسلام من قلوب الأفغان.

وليس من الإمكان تدمير الإسلام بشكل قاتل بالطريقة ذاتها التي يمكن بها تدمير النصرانية، وذلك باعتقال الأساقفة والرهبان، ومنع نفوذ إدارة القديسين، أو مصادرة كتبهم المقدسة. والحق يقال، إن هناك آلافاً من المسلمين الروس السوفييت من حَفَظَةِ القرآن الكريم. وعلاوةً على ذلك، فبإمكان المسلمين أن يصلوا فرادى، إذا اضطروا لذلك، في أي مكان طاهرٍ، أينما كانوا. ولعل هذا أحد أسرار مقاومة الإسلام خلال فترات طويلة من الزمن نسبياً تحت الحكم الديكتاتوري الاستبدادي. كما أن هذا هو السبب أيضاً في الحقيقة المذهلة لنجاة ملايين المسلمين الصينيين من القبضة الفولاذية لماو تسي تونغ، والثورة الحضارية، بل العجيب في الأمر أيضاً أن المئات من العائلات الإسبانية المسلمة لم تنجُ فقط من بؤس المحررين، بل استطاعت النجاة أيضاً من حكم فرانيسكو فرانكو.

واحسرتاه، إن الإسلام ليست لديه المناعةُ المساوية لمثل هذه المناعة حيال العمل التنصيري الأقل انفتاحاً والأقل تنظيماً: الإضعاف الماكر

لقوته، وليس باستخدام جهدٍ نصراني خاص، ولكن بالأثر الهادئ السريع الانتشار للحضارة التقنية الغربية.

إن للمجتمع الغربي الصناعي أثره السامَّ على كافة الأديان، بما في ذلك دين المجتمع الغربي ذاته، وذلك بالدعوة إلى قيَمٍ وأفكارٍ ومبادئ تعتمد على افتراضات مادية بحتة. إن كلاً من: التفكير بالمنفعة، ومحاولة زيادة الربح إلى الحد الأقصى، والولع بزيادة الإنتاج بشكلٍ مستمر، وأسطورة التقدم اللامحدود، وغرور علماء الطبيعة الذين تحولوا إلى فلاسفة، واللاأدرية المفرطة، وحيادية القيم لدى المثقفين، والدافع الغربي الكامل لعقْلَنَةِ كل مظهر من مظاهر الحياة، كل هذا معادٍ للدين أساساً وضارٌّ به. وإن مجتمع الفنيين الذي يعيش فيه الغرب بعبادات الطوائف الفردية وأخلاقياته التي تتمثل بموقفه في دعهم يفعلون ما يشاؤون، ما هو في الواقع إلا في خطر لتدمير كامل للقواعد الأخلاقية التي بُني عليها هذا المجتمع ذاته ونما وترعرع عليها وهي: القيمُ وأوضاع السلوك التي تأصلت في إيمان آبائنا وأجدادنا بالله تعالى.

وتُعْتَبَرُ تركيا أحد أهم الأمثلة على هذه العملية فيما يتعلق بإبعاد أبناء شعبها عن الإسلام. وقد اعتبر "أتاتورك" ديانة مواطنيه عائقاً للتمدن الحضاري، مدعياً وزاعماً أن الإسلام يتوجَّهُ نحو التخلف. ولا شك أن الإسلام في المدن التركية قد دُفِنَ تحت ما يمكن تسميته بعبادة التقدم، والازدهار، وإيجاد "الحل العلمي" للمشاكل. ويكاد هذا الأمر يكون صحيحاً على الأقل بالنسبة لما يُدْعى "المثقفون" من الطبقات العليا والمتوسطة في المناطق المدنية. وإن هؤلاء يمكن أن يعبدوا "العلم" أكثر مما يعبدوا "خالقهم" ﷻ.

ومهما كان الأمر، فإن بعض هؤلاء "المتنورين" من العلمانيين الأتراك يولَعُون بأنهم يدعون ما يلي: "إنني لستُ مسلماً ملتزماً، إلا أنني في قرارة

نفسي أومن بالله. وإن هذا الإيمان الطبيعي الذي أكنُّهُ يفوقُ أداء الصلاة خمس مرات كل يوم." وإن سماع مثل هذه العبارة من "مسلمين" أتراك أصبح أمراً عادياً مألوفاً في تركيا، وخاصة من أولئك الذين لا تتعدى معرفتهم عن ديانة آبائهم أن تكون مقتصرة على المظاهر الفضولية والهامشية التي انتقلتْ إليهم شفوياً عن طريق جدَّاتهم.

ولو أن أتاتورك لم يقللْ أهمية التعليم الديني ويجعلها أعمالاً سريةً محظورة، لكان من المحتمل أن المثقفين الأتراك يُحتمل أن يدركوا أنه حتى "الصوفيون" يعتقدون أن الدِّين هو أمر قلبيٌّ فقط. إن هؤلاء "المتمدنين" المسلمين الذي لا يتبعون إلا أهواءهم ربما يدركون أن الإسلام، وهو الاستسلام المطلق للإرادة الإلهية، يتضمن أيضاً الانصياع لهديه، وأوامره، ونواهيه، وشريعته.

وبناء على هذه الخلفية، فمن السخرية أن نرى "وكالة الشؤون الدينية" اليوم تحاول بشكل محموم كبْحَ الآثار السلبية لإهمال الإسلام لفترة طويلة، والذي كان، بشكلٍ واضحٍ، مؤذياً وضاراً لمطلب الأمة في البحث عن الهوية في العصر الحديث. كما أن الأئمة والمدرسين الذين تدربهم الدولة وتدفع رواتبهم، يتم إرسالهم اليوم إلى بلدان مثل ألمانيا وهم يحملون واجباً صعباً طال تأجيله وتأخيره في محاولة للسيطرة على الشبكة الواسعة غير الرسمية للمدارس القرآنية، والمساجد، والجماعات الصوفية التي ظهرت بين العمال الأتراك كردٍّ فعلٍ على سياسة أتاتورك العلمانية.

القانون الدولي للمسلمين

بون. ١٢ آذار/مارس ١٩٨١

يتضمن مصطلح "القانون الدولي" اعترافاً على مستوى العالم، إلا أن "قانون الأمم" اعتبر سارياً طالما أنه كان معتبراً ومحترماً ومطبقاً على مستوى "الأمة" أو الشعب ذاته. وكان يجب علينا أن نتعلم ثانية في الآونة الأخيرة أنه يمكن أن يكون هناك قانون دولي خاص لمناطق معينة حتى ولو كان مخالفاً للتطبيق الواقعي *(contradicto in adiecto)*.

إن الإقليمية في "قانون الأمم" ليست في الحقيقة مجرد ظاهرة تمَّ التعرف عليها في أمريكا اللاتينية وفي العالم الشيوعي حيث بلغت أفكار "طبقة العمال" (البروليتاريا) ذروتها مع ما يسمى عقيدة بريجينيف. ولم يستطع العالم الإسلامي المشاركة في تطوير القانون الدولي مع الأمم النصرانية حتى نهاية الحرب *Crimean*.

وفي الحقيقة، فحتى هذا اليوم لن يكون غير هذا، من منطلق المبدأ، وذلك لأن الشريعة الإسلامية لا تُقِرُّ كلاً من القانون "الطبيعي"، وإمكانية إقامة معاهدات سلام بين الدول الإسلامية وغير الإسلامية. ومع ذلك، فبدلاً من تغذية الفكرة العاطفية للأسرة الدولية، فإن القانون الإسلامي يؤكد على الفارق بين "دار الإسلام" (الأمة الإسلامية)، و"دار الحرب" (غير المسلمين الذين يحاربون الإسلام). كما يعدل هذا في الأهمية أيضاً أن النظرية القانونية الإسلامية أن المسلمين يشكّلون أمةً واحدةً هي الأمة الإسلامية، ولذلك فهي ترفض فكرة تعدد "الدول".

وبالتالي، فإن القانون الإسلامي، حتى يوم الناس هذا، يرفض أن يعامل العلاقات الموجودة بين الشعوب الإسلامية على أنها علاقات بين الدول.

وكما يرى هانز كروز (Hans Cruse) في كتابه: (Islamische Volkerrechtslerhere, 2nd ed., Bochum, 1979) فإن أقل ما يقال عن الفقه الإسلامي: إنه استطاع التعايش مع الحقائق المرة للصراع الدولي.

وأخيراً، فإن العلماء المسلمين، كنظرائهم من الغربيين، علموا أن العقود والمعاهدات يجب أن تُحْتَرَم ويوفى بها بغضٍّ النظر عن ديانة الطرف الآخر. وليس هناك أي فارقٍ عملي في أن المحامين المسلمين يبنون أحكامهم على (pacta sunt servanda) وحي القرآن الكريم بدلاً مما تواضع عليه عامة الناس من قانون دولي. والذي يجب أن ينظر إليه في الواقع هو أن المسلمين، بغضٍّ النظر عن القوانين المحلية، يتقيدون ويلتزمون بالمعاهدات الدولية (التي يحترمها ويلتزم بها غير المسلمين بغضٍّ النظر عن القانون الدولي).

لقد وضع الفقهاء المسلمون بذكاء وبراعة أدباً إسلامياً يمكّنهم من التسوية بين قسوة الحقيقة والواقع والنظرية القانونية المعقدة. وبهذا، وهكذا فقد عللوا التطور (غير المقبول) لعلاقات سلامٍ مستمرة بين الدول الإسلامية وغير الإسلامية على أساس هدنة ضمنية مطولة (مسموحة).

فضيحة من الطراز العالي

اسطنبول ـ ١ آب/أغسطس١٩٨١

كان اليوم هو يوم عيد الفطر، وهو العيد الإسلامي الذي يحتفل فيه المسلمون في نهاية شهر رمضان. وقد أراني هذا اليوم ثلاثة وجوهٍ للإسلام. لقد شاركت في الصباح الباكر بأداء صلاة العيد، وهي صلاة طويلة تفصل شهر الصوم عن الاحتفال بالعيد لمدة ثلاثة أيام لعيد الحلويات. كان مسجد "تسويقي" غاصاً بالمصلين. وقد أتى كثيرٌ من المصلين بسجاداتهم الخاصة للصلاة عليها، ولكنني صليت على قطعة نظيفة من ورق الجريدة اليومية الصباحية لهذا اليوم، كحال كثيرٍ من المصلين أمثالي الذين صلُّوا في الجزء الأمامي من المسجد.

وقد زرنا في صلاة الظهر مسجد السلطان أيوب في الشواطئ العليا للقرن الذهبي. ولقد كان هذا المبنى منذ تشييده على قبر السلطان أيوب الذي يحمل اسمه، قد تمَّ اختياره بشكلٍ رائع أثناء الحصار التركي عام ١٤٥٣، وأصبح محاطاً بأعلامٍ وتقاليد حتى أصبح موقعاً رائعاً يصلح أن يكون مكاناً لأخذ الصور التذكارية الرائعة.

ولعل ما أشاهده هنا أقرب ما يكون في الإسلام إلى المواقع التي يقدسها النصارى. وما الذي يمكنني أن أقوله عن عادة تعودها الزوار للشرب من أربعة نوافير مياه موجودة في الزوايا الأربعة للسور الذي يحيط بشجرة في منطقة قريبة من المسجد، حيث يبدأ الشاربُ بفتح صنابير مياه النوافير الأربعة أولاً، ثم يغلقها واحدةً تلو الأخرى؟ كما أن العشاق، والآباء، والطلاب، والجنود، الذين يتمنى كلٌّ منهم تحقيق أمنية عزيزة وغالية، يحاول إطعام ألف يمامةٍ ويمامةٍ، حيث يقدِّم لها كيلوغراماً من

الذرة الهندية، إلا أنه يحتفظُ بعدد من حبوب الذرة هذه ينثرها في الهواء بعد أن تتحقق أمنيته. كما يصطحب بعض الزوار من السوق القريبة حيوانات يذبحونها لله تعالى ويأخذونها إلى مطبخ قريب حيث يطعمونها الفقراء والمساكين المعوزين (وهذا المطبخ ملحقٌ بمسجد السلطان أيوب).

وبالطبع، لن يكون هذا الحشد الكبير من زوار مسجد السلطان أيوب مكتملاً دون وجود عدد من الصبيان الذين يرتدون الزيَّ والبذلات العسكرية برتب الألوية والأدميرالات والأمراء. وسيتم ختانُ هؤلاء الصبيانِ في اليوم التالي. (ويُكَرَّم الصبيان بهذه الطريقة كما تُكَرَّم أخواتُهُنَّ البنات يوم زفافهن).

ولا شكَّ أن أهل السنة والجماعة يخالفون مثل تلك الاحتفالات الشعبية ويضعون حداً فورياً عنيفاً إذا استطاعوا لأمثالها لما فيها من مخالفات شرعية لتعاليم الإسلام الحنيف. وهم لا يقبلون أيضاً الاهتياج في الترويج للتجارة وعرض البضائع واستغلال الناس في الأسواق القريبة من المسجد النبوي، وذلك حفاظاً على الذوق والأدب الرفيع الذي يتماشى مع اللون المحلي غير المرغوب فيه من الاحتفالات والأفراح الشهيرة.

وقد حضرنا في المساء عرضاً للأزياء. وقد كان أحد الأثواب الجذابة جداً والمصنوع من قماش الحرير الأسود أمراً مخزياً في الحقيقة وذلك بسبب تصميمه الفضي الذي يحتوي على آيات من القرآن الكريم مكتوبة بالعربية بشكل غريب جداً. ولقد جذب جمال الخط الذي كُتبت به تلك الآيات كثيراً من الناس الذين صفقوا ببراءة، إلا أنهم سيهولُهُم الأمرُ إلى حدٍّ كبير لو فهموا ماذا تعنيه تلك الكتابة. إلا أنه [وللأسف الشديد] بعد جيلٍ واحدٍ من زمن أتاتورك أصبحت الكتابة العربية أجنبيةً تماماً مثل اللغة الصينية بالنسبة للشعب الذي تعوَّدَ أن يقرأ العربية. فهل هذا يا ترى ما يعنيه "التقدُّمُ"؟

ابنُ خلدون، وليس "ماركس"

بون ـ ٢٨ نيسان/أبريل ١٩٨٢

إن أولئك الذين لا يزالون يعتقدون أن الإسلام يعيق التقدم، خيرٌ لهم أن يقرؤوا كتاب "المقدمة" لابن خلدون، وهو مقدمته لسَفْرٍ رائعٍ من كتب تاريخ العالم "كتاب العِبَر"، الذي كتبه عام ١٣٧٧ (وترجمه إلى الإنجليزية فرانز روزنثال، برنستون ١٩٦٧). وإذا لم يكن لابن خلدون، قاضي القضاة في القاهرة سوى هذه المقدمة التي تقع في ١٤٠٠ صفحة لكفاه فخراً أن يدخل التاريخ، تاريخ الفكر العالمي، من أوسع أبوابه. وقد أصبح ابن خلدون قبل خمسمئة سنة من "كارل ماركس" و"ماكس ويبر" المؤسس الحقيقي لكلٍّ من علمي الاجتماع وفلسفة التاريخ، حيث اقتضى أن يكون التاريخ أكثر من مجرد "معلومات".

لقد كان ابن خلدون صاحب أول محاولة لاكتشاف أن القوانين التي تحكم دورات التاريخ، وأن قيام الحضارات وسقوطها، وأن كتابة التاريخ يجب أن تتم بعد تقديم مصادر تراثية إلى تفحُّصٍ محايدٍ، ناقد، شكوك. وقد قاد هذا الأسلوب ابن خلدون إلى دراسة التفاعل بين المناخ والسلوك، وبين التخصص المدني والسمات الحضارية.

ولقد كان ابن خلدون، وليس كارل ماركس من أعلن أن: "الربح هو القيمة الناتجة عن العمل البشري"، وأن: "تفاوت أحوال الناس هو نتيجة اختلاف طرق كسب معيشتهم". ولقد أوضح ابن خلدون قبل "توماس مان" بوقت طويل أن: "الاعتبار يستمر، في أفضل الأحوال، أربعة أجيال في نسبٍ واحدة". وقد أعلن ابن خلدون قبل قرون من فريدريك نيتشه أنه: "إذا كانت الأمة متوحشة يمتد سلطانها الملكي فترة أطول". كما لاحظ ابن خلدون

قبل فريدريك هيجل أن: "السلالات الحاكمة لها دورة حياة طبيعية مثل الأفراد تماماً". كما قرَّر ابن خلدون أيضاً قبل جان جاك روسو أن العلاقة بين الحاكم والمحكوم مبنية على عقد (اجتماعي) ينتهي (بالمصافحة ويمين على الولاء). كما أن ابن خلدون بيَّن قبل ظهور نظرية الشرعية المعاصرة (ضدَّ معتقد فرقة الشيعة) أن: "يحكم شؤون الأمة (كخليفة) أعلاها نسباً". وكأن ابن خلدون توقَّع ظهور شخص مثل ديفيد هيوم، حيث أكد أنه: "لا يمكننا معرفة كيفية طريقة تأثير الأسباب على الأشياء". وقد علَّم ابن خلدون قبل عدة قرون من ظهور كارل فون كلاوتسويتس أن: "ليس هناك تأكُّدٌ كامل من النصر" وذلك لأن "النصر في الحروب يأتي من الحظ والفرصة". كما تتبع ابن خلدون قبل فريدريك شيلر وعمانويل كانط الأحكام الجمالية على العناصر البصرية حيث أرجعها إلى تصنيفات فلسفية، دون أن يهمل دور الآليات النفسية. (فقد أدرك أن الإنسان مثلاً لا يسعه إلا أن يدرك أن الصيغة البشرية لا بد أن تكون متناغمة).

وإنني متأثرٌ بالمنهج العقلي لابن خلدون لدراسة كل من علم الوجود والصوفية. وكطالب للشريعة، رفض ابن خلدون إمكانية استنباط الإضاءات الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) من الذكاء والإدراك الحسي. "العقل هو حقاً المقياس الصحيح... ومع ذلك، فيجب ألا يستخدم العقل فقط لمعرفة "وحدانية الله"، و"الدار الآخرة"، و"حقيقة النبوة"، و"الصفة الحقيقية للذات الإلهية... ويمكن للمرء أن يقارن هذا مع حالة إنسان يرى الميزان الذي يوزن فيه الذهب، ويريد أن يزن به الجبال." فهل بإمكان أحد آخر أن يعطي تعبيراً أفضل من هذا التعبير؟

ويشكُّ ابن خلدون لدى الحديث عن الصوفية أنهم يريدون أن يجربوا بشكل اصطناعي، قبل الموت، ماذا سيدركونه حقيقة بعد الموت. وكان حكمه صارماً وجاء على النحو التالي: "إن كل المعرفة الخارقة للطبيعة،

أو العمل الفوطبيعي الذي يقوم به الصوفيون هو عرضيٌّ بحت". كما اكتشف ابن خلدون أن بين الخبراء الماهرين في الصوفية هناك: "مجانين وبلهاء هم أشبه ما يكونون بالمجانين من العقلاء." واعتقد ابن خلدون أن: "كل ما نراه من الظواهر والخوارق والكرامات لا أساس لها تعتمد عليه، وأنها غير قابلة للتطبيق العملي."

إلا أننا يجب ألا ننسى أن ابن خلدون لم يكن عبقرياً شاذاً، ولم يكن أيضاً منحرفاً أو زائغاً عن طريق الحق. لقد كان ابن خلدون ناتجاً حقيقياً للثقافة الإسلامية في أبهى وأجلى صورها.

السُّنَّةُ والشيعة

بون. ١٩ أيار/مايو ١٩٨٢

تلقيت من السفارة الإيرانية ترجمة بالألمانية للدستور الجديد للجمهورية الإسلامية. وكما هي الحال في كافة المراسلات الرسمية فبدلاً من أن تستخدم السفارة الصيغة التقليدية للردود المهذبة فقد "استغلت السفارة هذه الفرصة" للتعبير عن تمنياتها الثورية بأن ينتصر المظلومون على الظالمين. إن هذا الدستور الإيراني يعتبر نفسه أساس استمرار الثورة الإسلامية في الوطن وفي الخارج، وأنه تكليفٌ لتشكيل مجتمع عالمي ديني واحد.

ولم يسمع العالم بأسره مثل هذه الأشياء منذ إصدار البيان الشيوعي أول مرة عام ١٨٤٨. فالمادة ١٥٤ تُجْبِرُ الجمهورية الإيرانية على دعم الكفاح العادل للمظلومين ضد الذين يظلمونهم في كل مكان في العالم. وحسب ما ورد في المادة الخامسة، فنظراً لإخفاء المذهب الشيعي الاثني عشري، فقد أسندتْ قيادة هذا الجهد العالمي خلال الوقت الراهن إلى آية الله الخميني.

ومع أن هذه الوثيقة هي بشكل أساسي أداة قانونية، فإن هذا الدستور لا يُغْفِلُ أن يسجل فيها الرغبة أن يبعث "الله" تعالى الإمام المنتظر الغائب في أقرب فرصة ممكنة. وبنتيجة مأساة طهران للأسرى الأمريكيين عام ١٩٧٩ (عندما احتجز موظفو سفارة الولايات المتحدة الأمريكية كأسرى بمعرفة وموافقة ضمنية رسمية للحكومة الإيرانية)، وبنتيجة الخصوصيات الغريبة للحرب الطويلة التي نشبت بين العراق وإيران، وبسبب الهجمات الانتحارية للفدائيين الشيعة في لبنان، فقد أصبح العالم بأسره، بما في ذلك الشعوب الإسلامية، يرقب السحر المتزايد لظاهرة الدولة الفارسية المعاصرة: نهضة الدولة الشيعية الأصولية المتعصبة،

وهي أول حادثة أصيلة من نوعها منذ أن حكم الفاطميون مصر قبل ألف سنة من هذا التاريخ.

ويدرك كثير من المسلمين الدور الهام الذي قام به الفرس في الإسلام منذ نشأته. فقد كان سلمان الفارسي ﷺ، المستشار المالي لرسول الله ﷺ [واحد من أبرز صحابة رسول الله]، وكذلك فقد برز كثير من المؤرخين والعلماء والمفكرين والفلاسفة كالفارابي، وابن سينا، والغزالي، والزمخشري. كما أدرك المسلمون أيضاً خصوبة إنتاجهم من حيث الخيال الديني الذي كان الطابع الخاص للفرس وبلاد فارس خلال التاريخ. بل، لم تُعْرَفْ دولةٌ أخرى في التاريخ باحتضانها وإيوائها لمختلف الأديان والمعتقدات: عبَّادُ الشمس، وعبَّادُ النار، والغنوطسية، والأفلاطونية، والزرادشتية، والمانية، والمزدكية، والفارسية، والدروز، والنسطوريون، وأهل الحق، واليزيديون (الذين اشتهروا باسم شنيع وهو: عبَّادُ الشيطان)، والأليفيون *Alevis* والبابيون (البهائيون)، والشيعة السبعية والاثني عشرية، وهذا فقط غيضٌ من فيضٍ.

ومع ذلك، فبغضِّ النظر عن النقد الشديد الذي قد يوجهه المسلم السني (وهم الغالبية من المسلمين) للآراء الدينية والممارسات العملية للشيعة، فقلَّما نجد من يكفِّرهم. إن من يمكنه أن يعلنَ هذا هو مصدرٌ واحد فقط "الله"، وهو أعلى وأعلم. وقد أخبرنا رسولنا محمد ﷺ: "من كفَّرَ مسلماً فقد كفر" (صحيح مسلم: الكتاب الأول).

إن تعارض وجهات النظر بين غالبية أهل السنة من المسلمين، وبين الشيعة ترجع أصولها إلى الحالة السياسية التي تطورت بعد فترة قصيرة من وفاة رسول الله ﷺ. فالشيعة يخالفون بشدة أهل السنة إذ إنهم يرفضون السماح لعامة المؤمنين بالتعامل مع النصوص الدينية بالمستوى ذاته والفهم التام والإدراك الكامل لكافة النصوص القرآنية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى استنتاجهم بأن وظيفة الخليفة امتياز يتمتع به آل بيت النبي محمد ﷺ.

إن مضامين هذا الأسلوب الاصطفائي للنُّبْل الإسلامي إذا لم تكن كهنوتية فهي ذات أثر واسع. فعلى سبيل المثال، يرفض الشيعة قبول الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول معتبرينهم "غير مستحقين" لأهلية الخلافة (وهم الذين سبقوا علياً ﷺ، ابن عم النبي ﷺ وصهره زوج ابنته فاطمة)، كما يرفضون كل القرارات والأحكام والآثار الواردة عنهم. بل إن الأسوأ من هذا أن المذهب الشيعي يقلِّلُ من مثالية مبدأ المساواة في الإسلام، وكذلك من شأن عالمية الإسلام وانتشاره في أصقاع المعمورة. بينما نلاحظ أن الهدوء والاتزان والاعتدال وضبط النفس ("الصبرُ في حالة الغضب والعدوان") هي السمات المميزة للمثالية "السنيَّة" لأهل السُّنة، وهي تخالف تماماً وبشدة الاعتراضات والرفض الثوري للمذهب الشيعي الغاضب العنيد البنيوي، الذي يجد أقصى تعبيرٍ له في الجَلْد [التعذيب بالضرب المبرح للجسد حتى الإدماء] على الملأ. ومن الصعب جداً أن يفهم الإنسان ويتصور كيف يتطابق الإسلام مع هذه المبالغة، علماً بأن القرآن الكريم قد وصفه في سورة البقرة، الآية ١٤٣:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾

حثَّ الإسلام المسلمين أن يكونوا واقعيين. فإذا كانوا كذلك فإنهم لن يستطيعوا أن ينكروا حقيقة أن ما يجري حالياً في الجمهورية الإسلامية في إيران من وجهة النظر الغربية يحدُّ انتشار الإسلام وقبوله في الغرب، وأقول هذا على الأقل طالما أن "أهل السنة" و"الشيعة" يُنْظَر إليهم خطأً على أنهم متساوون.

إن رغبة إيران الجامحة لخدمة هذا الدِّين توفِّرُ لنا مثالاً عن كيفية استخدام مصطلحات ماكس ويبر: "الأخلاق التي تركِّزُ على التحريض" يمكن أن تكون مخرِّبةً وغير منتجة في عالمٍ يفضِّل الأخلاق التي تركِّزُ على نتائج الأعمال.

المؤتمر الأول لنيقية *Nicaea*

إزنك ـ ٢١ تموز/يوليو ١٩٨٢

إن كل من يزور "إزنك" سواء أكان نصرانياً أم مسلماً، ممَّن يُكِنُّ المشاعر الخاصة بالإيمان بالقدر المحتوم للقرارات التاريخية، لا بدَّ أن يقف مشدوهاً عندما يزور إزنك، وهي المدينة التي كانت تُعْرَف باسم نيقية *Nicaea*، وهي ليست بعيدة عن اسطنبول. وبعد فترة قصيرة من احتلال الصليبيين بشكل كامل للقسطنطينية عام ١٢٠٤، فقد لعبت هذه المدينة النائمة التي يكثر فيها الغبار دور "عاصمة المنفى" للإمبراطورية البيزنطية. إلا أن الأهم من ذلك أن هذه المدينة شهدت خَتْمَ القَدَرَ الديني للبشرية عام ٣٢٥. وبإمكان المرء حتى الآن أن يحدد المكان الذي اجتمع فيه غالبية الأساقفة الذين حضروا المؤتمر الأول لنيقية (١٩ حزيران/يونيو ـ ٢٥ آب/أغسطس عام ٣٢٥) وتبنوا بشكلٍ صارمٍ العقيدة النيقاوية الأصلية التي نصت على أن "اللّه" "الآب"، و"عيسى" المسيح عليه السلام "الابن" متحدان في طبيعة واحدة [أستغفر اللّه العظيم، وحاشا للّه أن يكون ذلك].

وأما العقيدة المناقضة لذلك، وهي التي تمسك بها ودعا إليها آريوس، راهب الإسكندرية (٢٦٠ ـ ٣٣٦) فقد بقيت هي الموقف الرسمي تحت حكم الإمبراطور قسطنطين الأكبر (٣٣٧ ـ ٣٦١). وفي الواقع، فحتى بعد الإدانة الثانية للآريوسية [المسيح غير مساوٍ للآب (اللّه) في الجوهر] عام ٣٨١، فقد كان الاعتقاد السائد أن عيسى عليه السلام وهو مخلوقٌ إلهي، لم يكن مساوياً للآب (اللّه) أو خالداً، استمرَّ قوياً بين الناس، وبخاصة بين القبائل الجرمانية [الألمانية]. إلا أن هذه المأساة مُسِحَتْ من الوعي النصراني الغربي، وكذلك أيضاً التعاليم النسطورية التي نادى بها بطريرك

القسطنطينية (٣٨١ ـ ٤٥١) التي ادعت أن "الله" [حاشا لله تعالى]، و"عيسى" عليه السلام وجدا معاً وبشكل مستقل في شخص واحد، هي أمر مخالف للقانون حسب ما ورد في مؤتمر إفسوس *Ephsus* عام ٤٣١.

ولا يمكن أن نعدو الحقيقة إذا قلنا إنه خلال الخمسمئة سنة الأولى من بداية النصرانية، كان من الممكن أن يكون المرء نصرانياً مؤمناً دونما حاجة أن يقبل موضوع أن يكون المسيح عليه السلام متحداً مع الآب [أستغفر الله]. ومن وجهة النظر الإسلامية فإن النصارى الآريوسيين والنسطوريين، كانوا، وسيبقون مسلمين.

وفي الحقيقة، فإنه لو لم يعارض قليل من الأساقفة النصارى عام ٣٢٥ (حوالي ١٢٥ شخصاً تقريباً) ويقاوموا موضوع المتطرفين لماهية كل من عيسى المسيح عليه السلام، والله تعالى، فإنه لم يكن هناك فارق ديني أساسي بين كل من: اليهود، والنصارى، والمسلمين. ولا يتمالك المرء نفسه من الارتعاد عندما يتأمل ويتفكر بمسؤولية قَدَرِ البشرية الذي تحمَّل مسؤوليته هؤلاء الأساقفة (باستخفاف؟) في نيقية.

الكنيسة ليست مسجداً

بورصة ـ ٢٢ تموز/يوليو ١٩٨٢

بورصة هي العاصمة العثمانية القديمة توفِّرُ كلاً من التزلُّج (على جبل أولو داغ)، والسباحة (في بحر مرمرة) في وقتٍ معاً. إلا أن أحد عجائبها هو المسجد الجامع (أولو جامع) الذي يوجد في وسط المدينة. إن الجدران الداخلية لهذا المسجد ما هي في الحقيقة سوى معرض للخط العربي، وهو فنٌّ ارتقى فيه الأتراك إلى أروع الأساليب الدقيقة الجذابة الشكل.

ويدهشك في المسجد أيضاً نافورة الماء الهامسة حيث يجتمع الناس حولها. وهنا يرتاح السيَّاح المتعبون بعد أن يؤدوا ركعتي تحية المسجد، ويقوم الطلاب بهزِّ جذوعهم بلطف إلى الأمام والخلف وهم يقرؤون القرآن الكريم، بينما يذهب بعض الزوار الآخرين للوضوء من ماء المسجد.

ويجد المرء قريباً من المحراب دائماً بعض المسلمين المستغرقين في التفكُّر والتأمل والعبادة والتسبيح والتهليل للحي القيوم الذي لا تراه العيون. بينما يلاحظ المرء بعض الأشخاص الآخرين الذين يأخذون قسطاً من الراحة فيضطجعون لفترة قصيرة من الراحة قبل صلاة العصر.

وأما الزوار الغربيون الذين تعودوا على الكنائس التي تستخدم للعبادة الدينية فحسب (وتُغْلَق أبوابها بعد ذلك) فقد يتعجبون مما يرون. فلا بد لهم أن يتعلموا أن المسجد لا يحتوي على "مذبحٍ" ولا على "وعاء

خبز القربان" (وكلاهما مُحاطٌ بهالةٍ من التحريم والحظر)، وهو مكانٌ يجب أن تتوفر فيه فقط النظافة بحيث يجتمع فيه الناس ويتعبدون الحي القيوم. فإذا أدرك هؤلاء هذا الأمر فإنهم سوف يدركون بشكل ملحوظ الوظيفة المتكاملة للمسجد على أنها مراكز اجتماعية ـ سياسية، وغالباً ما تحيط بها "المطابخ" و"المكتبات"، و"الحمامات"، و"المدارس" أو "المقابر".

أمرٌ يصعبُ تصديقه!

بون ـ ١٩ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢

استقبلني الوزير المفوض في سفارة المملكة العربية السعودية أثناء إعداد معاملة تأشيرة الحجاج. إلا أنه، على خلاف ما كان يسأله الدبلوماسيون الأجانب اليوم، لم يسألني عن قرار حلف الشمال الأطلسي (ناتو) عن وضع صواريخ نووية متوسطة المدى في أوروبا. بل إن تركيزه الخاص انصب على مشكلة تختلف تماماً عن هذا: ترى ما هو دور كل من عيسى عليه السلام، ومحمد ﷺ وماذا ستكون العلاقة المتبادلة بينهما قبل يوم القيامة بقليل، وبعده؟ وكان مضيفي يعرف كل ما يمكن أن يعرفه المرء عن هذا الموضوع من حديث المصطفى ﷺ عن هذا الموضوع التأملي بشكل عام.

والذي يسحرني ويثير إعجابي في هذه الآونة بالذات، ما أراه من الحقيقة المدهشة، فها نحن هنا في القرن العشرين، لا تزال بلدٌ يهتم دبلوماسيوها بإعطاء القضايا الدينية أهمية فوق أهمية القضايا السياسية.

هذا بالفعل أمرٌ يصعب تصديقه؟

مجتمع الكحول. النيكوتين. الخنزير

رحلة لوفتهانزا ٦٢٤. ١٨ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢

لدى اقترابنا من جدة على رحلة الخطوط الألمانية لوفتهانزا ٦٢٤ قادمين من فرانكفورت لاحظت أن معظم الركاب الألمان، وخاصة النساء والأطفال كانوا يحملون أشجار عيد الميلاد ضمن ما يحملونه معهم في الطائرة، وقد طلبوا بشكل مسعور طلبات كثيرة من المسكرات والمشروبات الكحولية المتنوعة، وما أسرع ما شربوها قبل أن تحطّ الطائرة على أرض المطار في جدة. إنهم يدركون أنه بدءاً من هبوط الطائرة على أرض مطار جدة ستبدأ الفترة المزعجة لمنع تعاطي المشروبات الكحولية في المجمعات السكنية التي يقيم فيها أزواجهم وآباؤهم في المشاريع الإنشائية الكبيرة.

ما هذه التظاهرة الصاخبة الواضحة عن الحقيقة المحزنة التي نعيشها في الغرب في بيئة تدميرية للذات البشرية المحمَّلة بالكحول، أو يمكن التعبير بشكل أفضل عنها بأنها بيئةٌ محمَّلةٌ بالكحول ـ والنيكوتين ـ والخنزير. لقد كانت تجربةٌ تمنيت فيها لو أني حجزت في هذه الرحلة مع خطوط جوية تمنع كل المشروبات.

ترى كم من المعاناة مثل: حوادث المرور القاتلة، والطلاق، وتليف الكبد، يمكن أن يتم تجنبها لو أن الناس التزموا بتعاليم القرآن الكريم فيما يتعلق بحظر الكحول! (وإنني أنا شخصياً، وعلى كل حال، لم أكن لأفقد أسناني في الحادث المروري الشنيع الذي تعرضتُ له في أمريكا عام ١٩٥١ لولا شرب الكحول).

لقد مرَّ عليَّ وقتٌ أتاحت لي خبرتي كخبير في تذوق أنواع الخمور والحكم عليها باستخدام البراعم الذوقية فقط، بحيث أعرف دون أي خطأ، مختلف أنواع الخمور والمشروبات الكحولية المختلفة، بل حتى عندما اعتنقت الإسلام، كنت أجد صعوبة كبيرة أن أتصور كيف يمكنني أن أنام دون أن أحتسي قارورة من النبيذ الأحمر مع العشاء. إلا أنني الآن، أستطيع أن أنام أفضل من أي وقت مضى في حياتي لأنني عندما أستلقي أشعر أن كبدي وجهاز الدوران في جسمي يمكنهما أن يرتاحا أيضاً.

لا يستطيع الغربيون أن يصدقوا أن أية حفلة يمكن أن تكون مسلية وممتعة ما لم يكن فيها خمور ومشروبات كحولية. ولكن، عليهم أن يشاهدوا حفلات الزواج الإسلامية النموذجية!

إن غالبية السياسيين الغربيين يدركون النتائج الخطيرة لمشكلة تعاطي المشروبات الكحولية في الغرب فهناك كثير من المشاكل أهمها: تدني الحالة الصحية لدى عامة الناس، تقليل إنتاجية العمال، مخاطر أمنية في العمل وعلى الطرقات، وإضاعة المصادر الاقتصادية. إلا أنهم يخفقون في إعداد العزيمة الضرورية اللازمة لمحاربة هذا النوع من "أفيون الشعوب". وكأنها كانت المصلحة الذاتية، ودون مخاطر، بل ودون أية مظاهر عامة، عندما حرَّم النبي ﷺ في المدينة كلَّ المسكرات [بناء على نزول آيات تحريم الخمر]! ومع ذلك، فقد أراق أهل المدينة كل ما يملكونه من الخمور على الطرقات مبرهنين أن "غير المألوف" يمكن أن يصبح "مألوفاً" إذا وجدت الشخصية القيادية المثالية.

الأخوة الإسلامية

جدة ـ ١٨ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢

لاحظت أن المسؤول السعودي الشاب في الجوازات السعودية ينظر في تأشيرة الحج، ويتأكد من وجوه الحجاج القادمين كلٌ بدوره، ويكرر هذه العملية عدداً كبيراً من المرات، حتى إنه بدأ القلق يساورني أن عمله هذا ليس ضمن الأعمال البيروقراطية. ثم إني لاحظتُ الدموع تنهمر من عينيه. لقد قفز هذا المسؤول الشاب من مقعده، وانحنى من فوق الكاونتر وعانقني على أنني "أخٌ في الإسلام".

نعم! لقد شاهدت الكثير من هذه الدموع، ولاحظت الوجوه التي كانت تشعُّ منها الفرحة والسعادة من أهل المشرق المسلمين الذين يعترفون بي أخاً مؤمناً لهم في الإسلام. ولو كانت هذه المشاعر والانفعالات ما تزال قائمة بين النصارى لأدركوا سبب فشل الأعمال التنصيرية بين المسلمين، بل إن المسلم قد يكون فقيراً معدِماً، أو أمياً لا يعرف سوى سورتين من القرآن الكريم: الفاتحة والإخلاص، بيد أنه رغم كل ذلك يشعر بالعزة والشموخ بمعرفته القليلة المتواضعة تلك ويتفوق بذلك على غير المسلمين، وبخاصة أولئك الذين يغرون الناس بكل طريقة ممكنة ليقنعوهم بأفكار شركية بأن ينسبوا لله ولداً، حاشا له سبحانه "ابن الله"، أو "أم الإله" [حيث يقولون عن مريم عليها السلام]، أو "التثليث"، أو "الخلاص من خلال التضحية الذاتية الإلهية"، و"القربان المقدس".

ويستشهدُ المسلم الفقير الأمي بقوله: "لا إله إلا الله"، ويستمتع بعقيدته وأنه قطع عهد "الجاهلية"، علماً بأن كثيراً من الناس لم يقطعوه.

الحج إلى مكة

مكة. ٢٠ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢

لقد ارتدينا إحرامنا الأبيض البسيط ودخلنا إلى المسجد الحرام، ووجدنا أنفسنا نقابل الكعبة المشرفة لزادها الله تشريفاً وتعظيماً! وهي تقبعُ في وسط ساحة المسجد الحرام الداخلية الواسعة. ولعل هذه لحظة من لحظات العمر يصعب حتى على المسلم أن يحلم أو يفكر فيها قبل حدوثها! ويصاب الناظر بخيبة أمل كبيرة عندما ينظر لأول مرة إلى مَعْلَمٍ طبيعي أو ذي هندسة عمرانية خاصة تعرَّف عليه من خلال الصور والأفلام. إلا أن الأمر مختلف في هذه الحالة.

لن تجد أي ضجيجٍ تجاري وتسويقي حول هذا المسجد، بل وليس هناك أي جوٍ من التقديس الحارِّ أو السحري الهالة. كل ما يحيط بهذا المسجد مضيءٌ، ومحترمٌ، وتلاحظ فيه أعلى مقاييس علم الجمال.

ويلاحظ أن حشود الحجاج الكبيرة ليست صاخبة ولا طاغية بأي حالٍ من الأحوال. بل على النقيض من ذلك، تراهم يؤدون صلاتهم بتساوق وانسجام: يؤدون الصلاة بصمتٍ تام يحمي خصوصية كل شخصٍ من المصلين. ويطوف حول الكعبة المشرفة عشرة آلاف حاج وزائر بصمتٍ وهدوء وسكينة. ولعلك تلحظُ آثار ذلك على النفس كأنه "تنويمٌ مغناطيسي".

لقد استمتعنا بالشعور الرائع الذي شعرنا فيه بالترحيب بنا وأننا آمنون تماماً بين إخواننا المسلمين. وأدركنا حقيقة ماذا تعني عبارة "السلام عليكم" حيث إنها كانت متحققةً تماماً في هذا المكان. لقد لمسنا هناك

العزة، والكرامة، والجمال، والبهاء، والإيمان والنظرة العالمية الحقيقية إلى الأمور. لقد شعرنا بأننا ذراتٌ من هذا الكون الفسيح المترامي الأرجاء. نعم! تختفي في مكة الفوارق العنصرية! وخلال الصلاة فقط كنت أتمكن من رؤية الأقدام الملونة من غيرها لأدرك أن كافة الألوان والأجناس البشرية من كافة القارات مجتمعة هناك.

إن الكعبة المشرفة، وهي بشكلها ذي الأبعاد الثلاثية، وببساطتها الواضحة المعبرة، هي الجواب الذي يقدِّمه الإسلام للبحث عن رمز بصريٍّ حيٍّ عن الكمال الإلهي. فإذا كان الله تعالى، كما يقول ابن سينا، "أعلى درجات البساطة، فإذن فإن هذا المكعب الفارغ، غير المزيَّن، يمثِّل عَظَمَتَهُ أفضلَ من أي هندسة عمارة يمكن تصورها وإدراكها بالعقل البشري". وتمثِّل الكعبة المشرفة "نقطة ساكنة"، كما أنها تُعْتَبَرُ "قِبْلَة" يتَّجِهُ إليها المسلمون في صلاتهم، وهي المرساة الرمزية لدينٍ عالمي يدرك بشكلٍ منقطع النظير أن الله تعالى ليس في "الغرب" كما أنه ليس في "الشرق"، وأنه تعالى لا يحدُّه زمانٌ ولا مكانٌ.

وإلى جانب هذا الحلِّ المعماري لما نسميه "بيتُ الله"، نجد الكاتدرائيات القوطية أو الكنائس الباروكية التي سادت في القرن السابع عشر الميلادي ثم أصبحت كحلية صغيرة تافهة لا معنى لها.

وبعد أن أكملنا طوافنا سبعة أشواطٍ حول الكعبة المشرفة حيث كانت السماء تتلألأ بالنجوم، وقفنا عند "الحجر الأسود"، الذي وضعه محمد ﷺ بيده الشريفة في ركن الكعبة المشرفة، فأصبح منذ ذلك الحين مكاناً شريفاً يقبِّله المسلمون ويذرفون عنده الدموع. ولعل هذه العادة ...

يجب ألا يغِّذي أحدٌ مثل هذا الشكّ عندما يرى الحجاج في مكة المكرمة، حتى ولو كان الناس قد اتخذوا في الجاهلية أصناماً آلهةً من الحجارة يعبدونها في الجاهلية في شبه جزيرة العرب. وكما أن "الرموز" قد

تحرر النفوس من الأفكار التي تحملها، فإنهم ليسوا بالضرورة يعبدون هذا الحجر الكريم. بل إن كل تكبيرةٍ تردِّدُ "الله أكبر"، كما ورد في ترجمة لورنس العرب، هي إنكارٌ حيٌّ للعبادة أو الإجلال المزعومين لحجر أسود بسيط لا يضرُّ ولا ينفع.

مباشرة إلى إبراهيم عليه السلام

مكة المكرمة - ٢٠ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢

اتجهنا بعد ذلك مباشرة إلى السعي مع مطوفٍ سعودي، نؤدي هذه الشعيرة الأزلية، وهو سبعة أشواطٍ سريعة نوعاً ما، بين جبلين صغيرين هما الصفا والمروة، وكلاهما داخل المسجد الحرام. وكم آلمَ المطوفَ أن يسمع ما نردده وراءه من ألفاظ الدعاء المأثور بلهجاتٍ غريبة مزعجة!

ولم يمضِ إلا وقتٌ قليل حتى أنهينا كافة مناسك "العُمْرَة"، ولكي نعود إلى حياتنا وأعمالنا العادية المألوفة، قصَّ أحد الأولاد الموجودين بضع شعراتٍ من رؤوسنا، حيث يمكننا أن نعود إلى ارتداء الملابس العادية، ونتحلل فنخلع ملابس الإحرام.

وفي اليوم التالي، كنت أتوق أن أكون وحدي في هذا المسجد الحرام الجليل المهيب. استيقظنا مبكرين جداً (حوالي الثالثة صباحاً)، قبل أن ينادى "الأذان الأول". إلا أن هذا كان غير مُجْدٍ على الإطلاق، حيث كان يستوي الليل والنهار، يتدفق الناس خلالهما دون توقف ولا انقطاع، فترى مئات المسلمين يطوفون حول الكعبة المشرفة، أو يقفون في طابور ينتظرون دورهم ليقبلوا "الحجر الأسود" أو يلمسوه على الأقل. وهم بعملهم هذا يؤكدون مدى العلاقة الأزلية مع ملايين المسلمين الذين سبقوهم إلى هذا المكان (ومع الذين سيفدون إلى هذا المكان في المستقبل بحول الله)، وكذلك يؤكدون ارتباطهم، وعلاقتهم، وانتماءهم أيضاً إلى رسول الله ﷺ. بل إنهم لما أرادوا إعادة الكعبة المشرفة بعد السيل الذي هدمها كان شرف إعادة "الحجر الأسود" إلى مكانه في الركن الشرقي

المخصص له في الكعبة المشرفة لمحمد ﷺ. وإن هذا الوعي التاريخي هو أمر نموذجي لدينٍ يعود تاريخ الحج فيه إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام، قبل حوالي ٣٨٠٠ سنة تقريباً، شريطة أن الحاجَّ يُلِمُّ بقدرٍ كافٍ من المعلومات التاريخية والرمزية التي يجب أن يعرفها عن أعمال الحج ومناسكه.

إن الكنائس النصرانية لا تعرف عدد التقاليد اليهودية والوثنية التي أدخلوها في دينهم. إلا أن الإسلام لا يدعي أن هناك عموداً فقرياً لأصول مناسكه. وإن محمداً ﷺ لا يدعي أنه أنشأ وأسس ديناً جديداً، بل كانت مهمته ودعوته ﷺ بكل بساطة إعادة بناء الدِّين الأول والأوحد وإتمامه وهو: الخضوع والاستسلام التام لله، أو: الإسلام الأزلي لله رب العالمين.

على مقربةٍ من قبر النبي ﷺ

المدينة المنورة. ٢٣ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢

لو شهد أحدنا الاحتفالات الحماسية المولوية الليلية التي يقيمها بعض المسلمين الأتراك في ذكرى المولد النبوي الشريف، لا بد أن يقف إجلالاً واحتراماً وإكباراً للقرار الذي اتخذه العلماء المسلمون في المدينة المنورة بخاصة ليضمنوا ألا يؤدي أحدٌ أي عبادة أو صلاة مواجهاً قبر النبي ﷺ، بل لا يسمحون لأحدٍ أن يطلق العنان لدعائه وعبادته وصلاته إلا ضمن الحدود المتعارف عليها بالسلام على النبي ﷺ دون رفعٍ للصوت، أو تمسُّحٍ بالقبر أو جدرانه وما يحيط به.

ولا يمكن أن يختلف عاقلٌ مع هذا القرار إذا أدرك ما حدث مع السيد المسيح، عيسى عليه السلام، فقد بدأت محبَّتُه بالإفراط بالإعجاب به، ثم انتهت إلى تأليهه حتى العبادة.

وأما في الإسلام، فقد تمت مراقبة هذا الموضوع وضبطه بشكل دقيق للحيلولة دون حدوث مثل هذه المغالاة.

حادث في الفندق

المدينة المنورة. ٢٤ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢

لقد صادف في هذا العام أن يجتمع كل من الأمسية "الكاذبة" لعيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام، يوم الجمعة، وذكرى المولد النبوي الشريف، وهو اليوم الأكيد لمولده ﷺ. ولدى دخولنا إلى فندق المدينة - شيراتون لتناول طعام الغداء هناك، استقبلنا شابٌّ باكستاني يعمل نادلاً في المطعم هناك بابتسامة عريضة ورحَّب بنا قائلاً: "عيد ميلاد سعيد". وقد حُقَّ لهذا الشاب أن يفعل ما فعل وذلك لأن فندق المدينة - شيراتون يقع خارج حدود الحرم المدني، وبإمكان "غير المسلمين" النزول والإقامة فيه، وأن يظنَّ أننا "نصارى".

وعندما سمعت ترحيبه بنا، التفتُّ إليه وقلت: "على فكرة! نحن مسلمون ولله الحمد". وقد ذُهِل ذلك الشاب الباكستاني وزملاؤه مما سمعوه منا. ولم تمضِ سوى برهة بسيطة حتى أتى إلينا مدير الفندق ورجانا رجاء حاراً أن نقبل دعوته على الغداء "على حساب الفندق" كتعويض واعتذار عن تلك الإهانة الكبيرة التي لحقتْ بنا من قبل النادل الباكستاني. وكأن المسلمين لا يطالبون باحترام عيسى المسيح عليه السلام نبي الله، وليسوا كذلك مطالبين بالإيمان بالوحي الذي أنزل عليه!!

ويبدو أن المسلمين، بشكل عام، لا يعلمون سوى القليل عن "العهد الجديد" [الإنجيل]، تماماً كما هي معرفة النصارى بـ: "العهد القديم" [التوراة].

نبذةٌ عن حجاب النساء

المدينة المنورة. ٢٥ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢

اتجهنا في المساء مشياً على الأقدام نحو مسجد الرسول ﷺ على الرخام المزيَّن الكثير الزخرفة بالنسبة لذوقي المتواضع، وقد أردنا أداء صلاة المغرب. وكان لزاماً علينا أن نفترق أنا وزوجتي. فقد كان عليها أن تختفي بين جمعٍ يضمُّ المئات من النساء اللواتي يرتدين زياً موحداً تقريباً، حيث كانت جميعهن تقريباً يرتدين النقاب على وجوههن، ويرتدين العباءات السوداء التي يضعنها فوق رؤوسهن.

وبعد ذلك، عند انتهاء الصلاة، وأنا مدركٌ لتغيُّر دور كلٍّ منا، سأقف أنا عند أحد أعمدة مصابيح الكهرباء لأنتظرها كي تأتي إليَّ هناك وتصطحبني لنعود إلى مكان إقامتنا. (وكان البديل الوحيد لهذا أن أتعرف على زوجتي بشيء من المخاطرة في بلدٍ لا يخاطب الرجال فيه النساء من غير أهلهن إلا حسب اللزوم فقط).

وبدأت أفكر وأتأمل بزائنات هذا الأمر وشائناته وأنا واقفٌ بانتظارها. لماذا تنتقب النساء بالكامل؟ وهذه العادة ليست عادة عربية، بل رومانية وإيرانية [فارسية] من حيث الأصل. لقد اعتقد نساء الطبقة الاجتماعية الراقية أنهن يميزن أنفسهن و"طبقتهن" الاجتماعية إذا ارتدين هذا الحجاب الساتر لهنَّ. وإن هذا الحجاب يُبْعِدُهُنَّ قليلاً عن النساء العاديات والطبقة الاجتماعية الدنيا من أبناء الشعب، بل إن هذا الحجاب سيجعلهن أكثر "ندرةً" في المجتمع وأكثر قيمة. كما أن هذا الحجاب استثمر في الوقت ذاته لتعزيز الشعور بالغيرة لدى أهل المشرق. وأيما كان

الأمر، فمن الحق أن نقول إنه إبان حياة النبي ﷺ وخلال فترة الخلافة الراشدة بعد وفاته مباشرة لم تكن النساء المسلمات محجبات بالكامل [فيما أعلم وقد أكد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على تغطية كامل الوجه]، كما هي الحال اليوم. كما أن النساء اللواتي يؤدين فريضة الحج ينبغي عليهن ألا ينتقبن ويغطين وجوههن بالكامل [إلا عند مرورهن أمام رجال أجانب عليهن]، وهذا ما فعلته سابقاتهن من النساء اللواتي عاصرن النبي ﷺ وحجَجْن معه.

فمن ناحية، فإن النساء السعوديات يتطوعن بلبس الحجاب عن رغبة، وليس الأمر دون منطق سليم، ليتقيدن بتعاليم القرآن الكريم. إذا كان الهدف من تغطية شعر المرأة، وصدرها، وذراعيها هو المحافظة عليها من أن تصبح سلعةً للجنس، وللحفاظ على الزيجات من إغواءات لا تعرف الخجل، ولتجنب منافسات عروض الأزياء وملكات الجمال التي لا طائل تحتها ولا فائدة منها بين النساء، فلماذا تبقى هذه النقاط القوية لتركيز الرغبة الجنسية على العينين والفم والكعبين معروضة على الملأ؟

ومن ناحية أخرى، فإن تاريخ الموضات والملابس يوفّر لنا المزيد من الأدلة على أن الحجاب يمكن أن يكون جذاباً إلى درجة استثنائية، وأن النقاط التي تشغل بال الذكور جنسياً تتغير بين فترة وأخرى، كما أثبتت التجربة تاريخياً عندما تمَّ تقصير التنورة التي تلبسها المرأة خلال القرن التاسع عشر، وصدق من قال: "إن فضيحة اليوم هي مللُ الغد".

وقد يحلو للمرء أن يجادل بأن السؤال الذي يطرح نفسه هو: "أين نضع الخط الفاصل؟" ليس له كبير معنى. إن هناك حدَّاً لخلع الملابس بين الناس، أليس كذلك؟ فإذا قبلنا بهذا فقد رسمنا ذلك الخط الحقيقي: "هل نريد حجاباً كاملاً أم جزئياً؟"، حيث يأتي هذا السؤال في الدرجة الثانية بالأهمية.

يجب استنباط الحل الإسلامي لهذه المشكلة من مبدأين رئيسين: المحافظة على المقاييس والاعتدال، والموازنة بين الهدف والوسائل. وبالتالي، فإن غالبية النساء المسلمات يتحجبن بشكل معقول وملائم حسب ما أمرت به السنة المطهرة.

فبتركِ الحجاب الكامل يؤكدن أن زيجاتهن ليست بسبب عدم وجود "فرصٍ" أخرى لهن في هذه الحياة. سيكون هذا الأمر مخجلاً إذا أخلص الأزواج المسلمون لبعضهم فقط لأنهم لا يقارنون أزواجهم بغيرهم من الناس، أليس كذلك؟ وكذلك فإن المرأة المسلمة تختار حجابها وستر نفسها وهذا ليس علامة عدم نضوج لها أو لزوجها، بل إنه على العكس من ذلك تماماً، إنه علامة نضج وتطور واستقرار.

الاستغراق في الصلاة

المدينة المنورة. ٢٦ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢
زيارة الوداع لمسجد النبي ﷺ

لقد استغرق إخلاء المسجد من المصلين اليوم بعد أداء الصلاة أكثر مما يستغرقه بشكل عادي بكثير. ويبدو لي أن هناك زحاماً يعيق حركة الناس عند المدخل الرئيس للمسجد. حقاً، فقد كان عند منتصف الدرج تماماً رجلٌ مستغرق تماماً في صلاته! وقد يكون هذا المصلي جاء متأخراً لأداء الصلاة، أي قبل أن ينفتل الإمام من صلاته مسلماً على اليمين وعلى اليسار، ولذا، فقد كان يحاول أن يقضي ما فاته من ركعات الصلاة مع الإمام. ولقد كان من استغراقه في الصلاة أنه نسي كل ما حوله تماماً!

وقد لاحظت أن كل من أراد المرور من تلك المنطقة التي يصلي فيها المصلي حاول بكل وسعه الابتعاد عن مكان سجوده كي لا يزعجوه، ويقطعوا عليه صلاته. وكذلك فلم أسمع انتقاداتٍ حادةً من قبل المارَّة الذين تسبَّب بتأخيرهم عن الخروج من المسجد. حقاً، لقد كان يؤدي واجبه التعبدي ليس إلا. ولا شك أنه لا يُحْتمل قطعاً أن يحدث مثل هذا المشهد في كنيسة القديس بطرس في روما حينما يأتي زوارها النصارى إليها ويزدحمون فيها. ويبدو أن الخلاف بين الأمرين هو أن طقس القربان المقدس هو الطقس الوحيد فقط الذي يؤديه الراهب ويتمتع بهذه الخصوصية في العبادة. وأما في الإسلام، فهناك عبادة رسمية واحدة تتكرر كل يوم للمسلمين جميعاً. فالإمام "يؤمُّ" الناس في الصلاة فحسبُ كي يضمن المصلون أداء الصلاة في وقت واحد وبتوقيت موحد.

وتتمتع الصلاة في دين الإسلام بأعلى مرتبة في الحياة والعبادة. وقد خصصت كتب الفقه الإسلامي الجامعة، ككتاب منهاج الطالبين للإمام النووي، وغيره من كتب الفقه الأخرى المعتمدة في القرن الثالث عشر، الفصول الأولى منها للصلاة. وأما في الكتب المتقدمة، كموطأ الإمام مالك ﷺ فقد خصص ما لا يقل عن أربعة عشر فصلاً من الأبواب والفصول الأولى في كتابه عن شروط الصلاة وأحكامها بشكل خاص. وبناء على هذه الأحكام، فينبغي على كل مسلم أن يحترم بشدة صلاة المصلين فلا يزعجهم، ولا يقطع عليهم تركيزهم ويشوش عليهم أفكارهم. كما أنه يحدد مكانٌ للمصلي، سواء أتمَّ تعليم ذلك والإشارة إليه أم لا، (وهو على قدر قياس سجادة الصلاة حيث يتمكن المصلي من السجود براحته، أو في المكان الذي يضع فيه نظارته قريباً من مكان سجوده) بحيث لا يتجاوزه المارون بين يدي المصلي في أي حال من الأحوال، تقريباً. وبناء على هذه "المدنية" التي يمكن ملاحظتها في أي بلد من البلدان الإسلامية، فمن السهل نسبياً للمسلم المصلي أن يجتهد في التركيز باستغراق وعمق على صلاته، سواء أكان يصلي في محطة للبنزين، أو على رصيف أحد الشوارع، أو حتى على سقالة بناء مرتفعة.

إن قوة الإسلام يُنظر إليها في الغرب غالباً على أنها "لغزٌ" محير. ومع ذلك فيمكن التعرف على هذه القوة لهذا الدِّين العظيم بمنتهى السهولة والوضوح، إنها ناتجة ونابعة من قدرة المسلم على الصلاة.

همومٌ عن صحة الصلاة

بدر. ٢٧ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢

مررنا بموقع معركة بدر في طريق عودتنا من المدينة المنورة إلى جدة، وهو الموقع الذي يبدو أنه تقرر فيه مصير الإسلام بأكمله عام ٦٢٤، حيث اعتمد الأمر على نتائج تلك المناوشة. وكان سائق الحافلة (الباص) التي نركب فيها غالباً ما يقدر مواعيد الصلاة بناء على "الشمس". فإذا تجاوزت الشمس كبد السماء، لم تعدْ هناك مخاوف أن تتزامن الصلاة مع "عبادة الشمس"، وعندها يوقف سائق الحافلة حافلته، ويدعو كافة الركاب للنزول لأداء صلاة الظهر.

وبينما كنا نصطف في صف واحد طويل لأداء الصلاة على جانب الطريق، التفت إلي الشخص الواقف بجواري في الصلاة، وهو من جنوب إفريقية، ومن أصول هندية، وأشار إلي بلطف بالغ: "لا تنسَ أن تخلع نظارتك الشمسية". إذ إنني إن لم أخلعها لن أستطيع تحقيق السجود بشكل صحيح بحيث تلامس جبهتي وأنفي الأرض أثناء السجود، كما هو مفروض على المصلي.

وقد رأيت أن هذا الأمر رائع لعدة أسباب:

أولاً: إن رجلاً مسلماً لا أعرفه على الإطلاق، يبدي قلقه ومخاوفه بطريقة أخوية رائعة خشية ألا تكون صلاتي صحيحة. وبدون أن يُدِلَّ عليَّ بتقواه، فقد اتَّبع أحد أوامر الإسلامية الأساسية وهو: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

ثانياً: لقد أثبت لي بما لا يدع مجالاً للشك أن المعرفة الدقيقة لأحكام الصلاة هي أمرٌ عام بين المسلمين من أي جنسية كانوا، وبأي مهنة من مهنة الحياة يعملون.

ثالثاً: ركّز هذا الأخ المسلم على أن الصلاة في الإسلام هي عبادةٌ تستغرق كلاً من القلب أو الروح والجسد، وهي بهذه المناسبة، تتطلب المزيد من الدقة في التفاصيل إلى حد يتسبب للمسلم الجديد بآلام في عضلاته أحياناً[1].

إن صلاة الفرد المسلم العاقل، هي كشخصيته، وكنظرته إلى جميع أمور الحياة، متكاملة تماماً. وإن "الرضى والتسليم والخضوع" لأمر الله يتضمن "السجود" دون أدنى شك، والعكس صحيحٌ أيضاً.

(١) يبدو أن الأطباء ملمون بهذا الموضوع. بل إن الطبيب الذي فحصني عام ١٩٨٣ لاحظ أن ممارستي للصلاة كانت في الواقع لي بمثابة تمرينات رياضية ممتازة.

الإسلام وارتفاع أسعار النفط

جدة - ٢٨ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢

لقد ربح العرب في تاريخهم مرتين وحصلوا على ضربة حظ: الأولى في القرن السابع، عندما استطاع الإسلام أن يجعل العالم بأسره يدور في فلك مكة المكرمة، والمرة الثانية بعد عام ١٩٧٣، عندما ارتفعت أسعار النفط ارتفاعاً كبيراً. فعندما أمر الله ﷻ عبده ونبيه العربي ﷺ بقوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ٩٦/١]، فقد أعطاه هدية دائمة ذات قيمة بالغة. إلا أن اكتشاف النفط (الزيت) كان بركةً من نوعٍ آخر مزيجٍ من عدة أمور.

فبالنسبة لشخصٍ يعيش في الحجاز، فإن هاتين الحادثتين قد تشكّلان له أحلاماً كبيرة بالانتماء إلى "الشعب المختار" من العرب. ومع ذلك، فإن صديقي الشاب السعودي رفيق بنوي وزملاءه لم يتأثروا بالغنى الحادث. فلقد كانت عزَّتُهم - وتراثهم البدوي الحرّ - مستقلاً تماماً عن حسابات البنوك. إنهم لم تسحرهم معدلات أسعار الدولار، وأسعار الحرية الجنسية التي تتفاوت حسب الطلب والتي يقوم بالإعلان عنها والدعاية لها هربرت ماركوس *(Herbert Marcuse)*. لقد آثر هؤلاء مناقشة أمور الدِّين وقضاياه، بل كان بعضهم يتصل هاتفياً بالبعض الآخر كل صباح ليتأكد أن زميله قد استيقظ لأداء صلاة الفجر.

وأما في الغرب، فغالباً ما يتعجب أحدنا إلى متى سيصمد التزمُّت النشط في وجه الهجمة المادية الضارية؟ ولا يستطيع أحدنا أن يتصور أنه في حالة الفساد بسبب الغنى والثروة يمكن أن يتحطم تماماً.

وبالطبع، فإن السعوديين لم يمروا بكافة مراحل النهضة الصناعية، بل إنهم دخلوا مباشرة وبشكل مفاجئ في عصر التقنية الذي جاء بعد مرحلة التصنيع. ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل ستزيد أم ستنقص هذه الظاهرةُ المخاطرَ التي تواجه الدِّين، والتي يسببها مستوى الحياة الرغيدة الغنية؟

وقبل أن يتأمل المرء كثيراً في هذا السؤال، لا بد أن يدرك المرء "ماركسية" هذه الطريقة! ترى، هل أصبحنا متشبعين بالمادية واستغرقنا فيها بحيث لم يعد بوسعنا تصور فكرة مثيرة يمكن أن تكون أكثر من بناء فوقي فقط (ماركس "يوبيرباو")، أو انعكاس فقط للحالة الاقتصادية الراهنة؟

إن الإسلام في الحقيقة هو أكثر من وظيفة طبقة من الطبقات أو متوسط دخل الفرد. إنه "دينٌ" يمكنه توفير مناعة ممتازة ضد وثنية الثروة والراحة والدعة والغنى. بل إن المسلم الجيد الملتزم لن يعدِّل أولوياته أو يرتبها طبقاً لمعايير السوق ومتطلباته. إنه يقاوم الإكراه لزيادة الإنتاج والحصول على أعلى نسبة من الربح. وفي الوقت ذاته، فإن المسلمين لا يحتقرون، ولا يقللون من أهمية الملكية الفردية الخاصة، والتجارة، والربح، والثروة. كما أن المسلم الجيد، كما هي الحال في النظام الكاثوليكي *(Opus Dei)* يشعر بمنتهى الراحة في عالم الاقتصاد دونما حاجة أن يُذِلَّ نفسه ويستعبدها ليجعلها مطيعة لمبدأ "الفائدة" (الربوية).

وبناء على هذه المعطيات، فإن الأمل معقودٌ على أن الإسلام سيتجنب المبالغات التي وقع فيها كل من "الغرب" و"الماركسية - اللينينية"، وسيظهر على أنه البديل الأفضل ذو الوجه البشري الحقيقي.

إعلان استسلام العقل

آخن (كنيسة آيكس . لا *Chapelle . la . Aix*) . ٥ شباط/فبراير١٩٨٣

تحداني أحدهم أثناء الاجتماع السنوي المسلمين الناطقين بالألمانية في مسجد بلال في آخن أن أوفّق بين وظيفتي كمدير للمعلومات في حلف شمال الأطلسي مع التزامي بمبادئ الإسلام. إلا أنني لا أرى صعوبة بمطابقة هذين الدورين. بل في حقيقة الأمر، إذا كُتِب للإسلام أن ينمو وينتشر ويزدهر في الغرب على الإطلاق، فلا بد على الغرب أن يكون آمناً، قبل كل شيء، من الهجمات التوسعية السوفييتية المرعبة. وإن هذا الخطر الخارجي الأكبر، حتى على العالم الإسلامي، يحاول هذا التحالف الأطلسي احتواءه وتحييده.

ولا شك أنني أعترف أن الاتحاد السوفييتي [سابقاً] كقوة عالمية عظمى، لا يُشكّل سوى تحدياً ومشكلة أيديولوجية فكرية أقل للإسلام، من الإلحادية والمادية والتقنية الغربية مجتمعة. إن الوجودية "العلمية" الغربية تأتي بشكل هادئ صامت تمشي مشي القطة بحيث لا يستطيع أحد أن يسمعها (إذا استعرتُ عبارة الكاتب روبرت فروست)، بينما نلاحظ أن "العلمية" السوفييتية الإلحادية تفرض بشكل قاسٍ وشديد بمختلف أقسام دبابات الجيش الأحمر، كما كانت الحال في أفغانستان. ومهما كان الأمر، فإن أي نهضة روحية في الغرب، بما في ذلك الاستعداد لاختيار الإسلام كبديل، تفترض أولاً وقبل كل شيء وجود أمنٍ فعلي ضد التدخل السوفييتي. ولذلك، فإن الاهتمامات السياسية لحلف شمال الأطلسي والشعوب الإسلامية تتلاقى حالياً.

كما يُتوقَّع مني أيضاً أن أشرح "طريقي إلى مكة". حسناً، إليكم ما قلته آنذاك:

"عندما قرأت القرآن الكريم للمرة الأولى تأثرت به فوراً، بل إنني ذُهلتُ بما قرأتُ في الآية ١٦٤ من سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

وقد فهمتُ هذه الآية خطأً على أنها قاعدة أخلاقية (وعلى أنها مخالفة تماماً لمبادئ النصرانية)، بدلاً من أن أفهمها بشكل صحيح على أنها حقيقة دينية: أي أن كلاً من الرجال والنساء سيواجهون ربهم وخالقهم مباشرة، ودون أدنى احتمال لوجود وسيط بينهما. ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، وهذا أمر في منتهى الدقة بينته آية الكرسي ٢:٢٥٥. كما أن الآية السابقة ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ تتضمن معنى أساسياً آخر وهو: رفض وإنكار مفهوم "الخطيئة الأزلية الموروثة". فإذا لم ينطلق أحدنا من فرضية أننا جميعاً بحاجة ماسة "للنجاة"، فلن يبحث أي منا عن "المنقِذ"، وبالتالي فلن يجد منقذاً له؛ ولذا، فإن هذه الآية الكريمة من القرآن الكريم سلَّطتْ كثيراً من الضوء على الآلية التي يمكن أن تؤدي إلى خروج النصرانية عن السكة وانحرافها عن المسار الصحيح.

"وبعد أن فهمت هذا، أدركت أيضاً أن الإسلام لم يكن رجعياً تقليدياً بالمفهوم المتعارف عليه بين الناس، بل على النقيض من ذلك، فقد دفع عجلة البشرية إلى الأمام باستمرار، متجاوزاً المرحلة التي آل إليها الأمر بعد عيسى عليه السلام وإذا استخدمت مصطلحات كل من هيجل وماركس: لقد أوقف الإسلام النصرانية على قدميها بعد أن كانت تقف على رأسها بوضع مقلوب.

"فالماديون يقولون إنهم لا يعرفون أي شيء بالتأكيد إذا لم يكن مدركاً وملموساً ومحسوساً، إلا أنهم ينتقلون بشكل عام ليؤكدوا أنه

من "المحتمل" عدم وجود أية حقيقة بعد "الملموسات". وإن هذا الأمر ليس من الذكاء في شيء، بل إنه أمر منحازٌ جداً لا يمكن تسويغه أو تبريره بأي شكل. بل من الصدق تماماً أن نثبت على مقولة: إنه، بناء على الاستعلام العقلي البشري، لا يمكننا تأكيد الاحتمالات الغيبية.

"وبعد اعتقادي بهذه الفرضية فترة من الزمن، أدركت فجأة بإحساسي الدفين أن حدود ما يمكن أن نعرفه ليست حدود الحقيقة. وهذا هو القرار الذي دفعني إلى الإيمان. لقد أذهلتني تماماً، وإلى حد كبير، درجة قدرتنا المحدودة لتصور وإدراك أي أمر من الأمور بشكل له مصداقيته، حتى وصلت إلى درجة تفضيل حالة العزَّة المتواضعة على حالة الاعتزازِ الغبي، وهي الحالة التي يتمسك بها الماديون ممن يعتقدون بأنفسهم الجرأة والذين [يظنون] أنهم مكتفون ذاتياً، والذين يعيشون جميعاً وغالباً في عزلةٍ ذاتية ضيقة متجمدة.

وهكذا، فقد اخترتُ بوحيٍ من فكري وعقلي وطائعاً مختاراً أن أسلم أمري، وفكري، وعقلي، إلى الحقيقة الكبرى التي أشعر بأنني ذرة صغيرة منها. وأسلمت لله رب العالمين: الله أكبر كبيراً، وهو أكبر مما يمكن أن نتصور.

"وإنني إذ أقول ما قلت، لا أريد أن أقود أي شخص إلى منزلق شديد الزلل لتعريف "الله" عز وجل. فإذا استطعنا تعداد أسماء الله الحسنى وصفاته التسعة والتسعين، فإننا لن نستطيع وصفه ﷻ بلغتنا البشرية القاصرة المحدودة، إذ إنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وكما أننا محدودون بمفرداتنا ومصطلحاتنا اللغوية، فإننا لا نستطيع، حتى بما نقرؤه من كلام الله، أن نعبِّر عن ذاته العظيمة التي ليس كمثلها شيء".

ولو أنني قلت المزيد لانتقصتُ من قدر الموضوع.

تقدُّمُ الإسلام

بون. ٤ حزيران/يونيو ١٩٨٣

إن أفضل ما يمكن أن يحدث للإسلام في ألمانيا في هذا الوقت قد حدث فعلاً: لقد كتب أستاذ بروتستانتي للأديان اسمه الدكتور بوول شوارزنو "دليلاً قرآنياً للنصارى" ـ شتوتغارت ـ ١٩٨٢، وأبرز فيه حقيقة القرآن الكريم، حتى في النقاط التي خالف القرآن الكريم فيها الإنجيل.

وقد أدرك شوارزنو، بناء على ما يدين به لمبادئ التحليل النفسي للكاتب سي. جي. جونغ، أن القرآن الكريم يعكس نماذج أصيلة متوافقة مع ما يسمى: "اللاشعور الجماعي". ويقوده هذا إلى تأكيد حقيقة نقاوة القرآن الكريم، وصدق وحيه، وحقائقه التاريخية، وأنها ليس لها أية علاقة بمضامين أية نصوص تاريخية أخرى: أي أنها خالدة على مرِّ الزمان، وأنها الحقيقة الخالصة. وقد شبَّه الكاتب القرآن الكريم بقطعة من الكريستال النقي المتعددة الأسطح والتي تدور لتعكس النور الإلهي بانعكاسات لا نهاية لها.

وباختصار، فقد توصل الأستاذ شوارزنو إلى الاعتقاد الراسخ بأن الإسلام هو الدّيْنُ الأزلي، والتوحيد الأزلي، ولذلك فهو أقدم الأديان على الإطلاق، كما هو أحدثها على الإطلاق أيضاً. (وإذا لم يكن هناك أي شيء آخر فإن هذا يكفي أن يجعل هذا الأستاذ النصراني مسلماً حقيقياً!).

وبالطبع، فإن الأستاذ شوارزنو لا يقبل عقيدة "التثليث"، والتي تتضمن اتحاد طبيعة المسيح عليه السلام مع الله تعالى، قائلاً: "إن عيسى عليه السلام الحقيقي،

كما عرفه التاريخ، لن يقبل أبداً وعلى الإطلاق الإعجاب، والمغالاة التي وصلت إلى حد التأليه لشخصه الكريم عليه السلام" كما يضيف الأستاذ شوارزنو في هذا المجال أن "العهد الجديد" قد تمَّ تحريفه من خلال تفسيراتٍ كاذبة، إن لم يكن من خلال عمليات التزوير.

ترى، هل يمكن أن يحدث أفضل من هذا الأمر لدين الإسلام في هذا العام؟

نظيف، أنظف، الأنظف!

بون. ١٦ آب/أغسطس ١٩٨٣

كلما حقَّر، أو كره شخصٌ ما شخصاً من عرقٍ آخر، أو من دينٍ آخر، يكاد يشعر بأن الشخص الآخر "يشتمُّ منه" تلك الرائحة البغيضة من الكراهية. وباختصار: إن العدو له رائحة كريهة.

لقد شعر الألمان بهذه الكراهية تجاه كل من البولنديين واليهود، حتى عندما يمكن البرهنة على ذلك إحصائياً أن النظافة الألمانية تنطبق أكثر على الأرصفة النظيفة، والنوافذ النظيفة، بدلاً من الأسنان النظيفة. ويتعامل الألمان حالياً بالتمييز العنصري مع الأتراك الضيوف العمال في ألمانيا. إنهم "مختلفون"، ولذلك فهم "مشبوهون". وباختصار: لا بد أنهم "وسخون".

ليس لدى الأتراك مناعة أيضاً ضد هذا الفخِّ النفسي. فإن الأتراك بدورهم الآن يترفعون بأنوفهم عندما يرون العرب الأغنياء "القذرين" من السياح يحتلون كافة المقاعد على مقربة من أفضل الفنادق على امتداد [مضيق] البوسفور.

إن هذا النوع من التخيل الواهم العنصري هو بشعٌ ولا شك، وخاصة إذا كان المسلمون هم المقصودون والمستهدفون بذلك، وذلك لأن الإسلام ركَّز أكثر ما يكون على "النظافة". فإذا قلنا إنه يجب على المسلم أن يؤدي الصلاة، فإننا نعني بالمثل أنه يجب عليه أن يتطهر وينظف نفسه. بل إن الفقه الإسلامي يقضي أن يغتسل الزوجان، ويغسلا الشعر على أجسامهم في كل مرة يجامعان فيها بعضهما.

ويمكنني أن أقول بصدق إنني انزعجت مراراً من رائحة أناس يجلسون إلى جانبي في حفلات الأوبرا الغنائية في باريس، أو في مركز لنكولن في نيويورك، أو في المسرح الوطني في ميونيخ، إلا أنني لم أنزعج من رائحة كريهة على الإطلاق في مسجد من مساجد المسلمين.

هل يمكن أن يعني هذا أن المسلمين هم الألمان الأنظف؟

المسلمون المحليون

بون. ١٤ أيلول/سبتمبر ١٩٨٣

نظمَّتْ المدرسة الدبلوماسية لمكتب الخارجية في بون، للمرة الثانية، ندوةً عن مظاهر الإسلام. وفي عام ١٩٨٠، حضر الأستاذ محمد رسول. وفي هذا العام فإن المنظمة الاتحادية *F.O*. قد جمعت ثلاثة أشخاص من المسلمين المحليين: الأستاذ محمد أمان هوبوم، والأستاذ رولف عبد الله بهريندت، وأنا أيضاً [مؤلف هذا الكتاب]. وقد أعددت محاضرتي بناء على مخطوطة الكتاب الذي أعده للنشر حالياً بعنوان: "دورنا في الفلسفة الإسلامية"، والمزمع نشره في عام ١٩٨٥ (الإصدار بالإنجليزية: كولونيا ١٩٨٥، الرقم العالمي الموحد للكتاب: ٢ ـ ٠٠٤٣ ـ ٨٢١٧ ـ ٣).

وقد تسببنا ببعض الإحراجات عند الغداء حين رفضنا تناول أي طعام يحتوي على الخنزير. وهل لا يزال الناس هنا يتجاهلون الحقيقة القائلة إن تناول لحم الخنزير [ومشتقاته] ليس ضاراً بالجسم فقط إذا كان اللحم مترخناً [مصاباً بدودة شعرية تعيش في أمعاء هذا الحيوان]، بل إنه علاوة على ذلك يحتوي على كمية كبيرة من الكوليسترول والدهون الضارة، ويبطئ عملية الأيض في الجسم [التحولات الغذائية] (مع وجود احتمال كبير للإصابة بسرطان الأمعاء)، وغالباً ما يتسبب بالإصابة بخراجات ودمامل، وأكزيما، وروماتيزم [آلام في المفاصل]؟ ألا يكفي أن نعلم أن فيروسات مرض الأنفولنزا الخطير تتمكن من العيش خلال فصل الصيف باستضافة الخنزير لها في جسمه؟ على ما يبدو، لم يدرك الناس هذه الأمور إدراكاً كاملاً بعدُ، حتى الآن، إذ إنه في عام ١٩٨٣، قد تمَّ إنتاج ثمانين مليون

رأس خنزير، ووصل إنتاج لحم الخنزير أعلى مستوى له مسجلاً أفضل الأرقام القياسية للإنتاج في السوق الأوربية.

إذا عاش المرء دون تناول لحم الخنزير ومشتقاته فترة من الزمن فستتطور لديه كراهية شديدة لرائحة هذا اللحم، بل قد يصاب بالغثيان والشعور بالقيء من رائحته الكريهة. وأما إذا تناول هذا المرء لحم الخنزير بالخطأ، بل حتى إذا تناول شيئاً من دهن الخنزير أو شحمه، فيحتمل أن يصاب بآلام معدية شديدة.

ومن الغريب جداً أن نعلم أن محمداً ﷺ، النبيَّ الأميَّ، الذي لم يعرف القراءة والكتابة قد توقَّع هذا كله؟ فلا بد أن يكون من أخبره عالماً بالأمور كلها [وهو العليم الخبير]...

حيلٌ لغوية

بون ـ ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٣

غالباً ما يُتَّهم الأصوليون الإسلاميون بأنهم لا ينحازون قيد شعرة عن معاني القرآن الكريم وأنهم يتقيدون بنصوصه حرفياً إلى حد كبير مبالغٍ فيه. إلا أنه اتهام باطل، وتشويه واضح لسمعة الأصوليين المسلمين أن يدعي المرء ببساطة أنهم يتغاضون عن الحقيقة القائلة بأنه لا يمكن فهم الجزء الأكبر من القرآن الكريم كما هو النص حرفياً. وإنهم يدركون تماماً أن الحقيقة الميتافيزقية لا يمكن نقلها إلينا، إذا أمكن ذلك على الإطلاق، إلا من خلال قوالب لغوية وتشبيهات مشتقة من إدراكاتنا المحسوسة (والمحدودة جداً).

وإذا سلَّمنا بأن النصوص الكونية والدينية من القرآن الكريم هي، دون شك، من المتشابهات، فهذا أمرٌ، وأما أن نشجِّع الانطباع الكاذب بأن كل شخص قادر على فهم هذه المتشابهات تماماً، فهذا أمرٌ آخر تماماً. وقد أنكر الأصوليون هذا الاحتمال إنكاراً يقطع كل شك.

ولا بد أن نتوجه بالشكر لكل من رواد التحليل اللغوي مثل: فريتز ماوثينر، ولوديوغ وتينغينستاين، فقد أصبح هذا الأمر الآن أمراً معروفاً بين الناس وهو أن كل تفكيرنا، وأحلامنا، ومشاعرنا (بما في ذلك "الحدس" أو من خلال "الإشعاعات")، التي تحدث، إنما تحدث ضمن الإطار والربط اللذين توفِّرهما لنا لغاتنا. وبالتالي، فإنه ما من شك على الإطلاق أيضاً في أن كل كلمة، حتى ما نسميه المصطلحات "المجردات النظرية"، إنما هي مجرد منتج من منتجات المدركات الحسية التي تتم تقنيتها إلى "المفردات" اللغوية. إننا لا يمكننا أن نقول ما لا نستطيع التفكير به، ولا يمكننا أن

نفكر بما لا يمكننا قوله، وإن هذين النشاطين كليهما يدوران حصراً حول مدركاتنا المحسوسة وهي "الحقيقة".

وبناء على هذه الخلفية، فإن الأصوليين مقتنعون تماماً بأن الحقائق الميتافيزيقية [الغيبية] لا يمكن نقلها والتعبير عنها إلا كجزء من الوحي، إما على شكل "متشابهات" أو على شكل "تشبيهات"، وأنه ليس هناك أية طريقة ثابتة ومعتمدة من خلال المنطق أو من خلال الصوفية يمكنها اختراق صور نصوص الوحي.

ولعرض هذه الحقيقة بكلام مبسط، فإذا كان احترام الحدود الضيقة للإدراك البشري المحسوس علامة من علامات الذكاء، كما يفعل العلماء المعاصرون، فلا يمكن اعتبار تطبيق مثل هذا الشك الحذر تجاه أي تفسير ميتافيزيقي [غيبي] لمعاني القرآن الكريم علامة من علامات الغباء المطلق، كما يفعل الأصوليون. وإن الأصوليين إذا ما واجهتهم نصوص من القرآن الكريم مشكلة عويصة متشابكة من النصوص الغامضة، أو المحيرة، أو الرمزية، والتي ترد بمصطلحات ومفردات فلسفية، فإنهم سينتقدون بشدة الميتافيزيقية، واللاأدرية الدينية، أو الإسمانية (مذهب فلسفي يقول بأن المفاهيم المجردة أو الكليات ليس لها وجود حقيقي، وأنها مجرد أسماء فقط). كما أنهم يعترفون بأن كلاً من الطريقة الفلسفية والرؤى الصوفية للأمور الميتافيزيقية الغيبية، من المحتمل أن تكون مجرد ثرثرة وحماقات تافهة لا معنى لها ليس إلا، وذلك بسبب عدم قدرتنا على إنتاج المفردات الذاتية الخاصة بها ولإدراك معانيها.

فإذا نظرنا من هذه الزاوية، ألا يمكننا أن نرى أن الأصوليين هم الأبعد نظراً والأوضح رؤية في الحقيقة، وأنهم هم الفقهاء الذين يفقهون الأمور على حقيقتها؟

هناك أمر غريب حولها!..

بون. ٢٩ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٣

حاول كثيرون تتبع سيرة النبي محمد ﷺ، ما بين عامي ٥٧٠ ـ ٦٣٢ ميلادي. إلا أن هناك كتابين للسيرة مثاليين: أحدهما السيرة الشهيرة التقليدية لابن إسحق بعنون "سيرة رسول الله ﷺ، كما أوردها ابن هشام في السنة المئتين للهجرة (والتي ترجمها الكاتب إيه. غوليوم ـ أكسفورد ١٩٥٥)، والسيرة التي كتبها مارتن لنغ بعنوان: "سيرة محمد [ﷺ]، بناء على المصادر القديمة"، نيويورك ١٩٨٣."

فإذا تركنا جانباً الميل لمشاهدة المعجزات والميل لمعرفة ما يمكن أن تسهم به الشراكات السياسية، فإننا نجد أن محمداً ﷺ، قد برز في التاريخ من خلال مصادر سيرته الرائعة على أنه له شخصية رجل الدولة القيادية التي لها رونقها وجاذبيته المتميزة، ولها إرادتها القوية، وقدرتها، ومهارتها الاستراتيجية التكتيكية الفريدة.

وقد أظهرت الفترة الواقعة ما بين هجرته من مكة إلى المدينة، وعودته إليها ليفتحها سلماً بعد عقدٍ من الزمان تقريباً، تبين حنكته وقدرته الاستراتيجية التي تجعله في مصاف المخططين الاستراتيجيين العظماء، لنذكر منهم على سبيل المثال معه ﷺ، كارل فون كلاوسويتس. وقد استخدم نبيُّنا محمد ﷺ، كلاً من الحرب الاقتصادية والنفسية، كما استخدم مفاوضات الرقابة على السلاح كوسيلة أو أداة للسياسة الخارجية. وقد كان لمعاهدة الصلح التي قبلها في الحديبية، والتي أذعرت أصحابه، انقلاباً دبلوماسياً من النوع الأول، وأدرك أهل مكة خلال فترة

وجيزة أنهم وقعوا بأيديهم على استسلامهم وهزيمتهم القريبة. كما أن الدستور الذي أرسى قواعده محمد ﷺ، لم يكن ليقلَّ في الأهمية عن تلك المعاهدة أيضاً، وقد أملاه محمد ﷺ، على شكل معاهدة اتحادية فيدرالية بين المسلمين من جهة والجالية اليهودية من جهة أخرى.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار كلاً من النجاح الذي أحرزه محمد ﷺ، في المجال التجاري، وحكمته كقاضٍ ومُحكِّمٍ، وبراعته ﷺ كمحدِّثٍ بليغ ذي أسلوبٍ بياني رائع ساحر يأخذ بالألباب، فليس بوسع المرء أن يصف أو أن يشرح كيف يمكن أن يكون لهذا النبي الأمي العربي الذي لم يعرف القراءة والكتابة أن يمتلك مثل تلك الصفات والمزايا.

لا شك أن هناك أمراً خارقاً غريباً حول ذلك.

ولا شك أن هناك وحياً إلهياً حول ذلك. (ومنه ما جاء في سورة النساء: ١١٣): ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾.

التعددية الإسلامية

لوتزيلباخ ـ ١٦ شباط/فبراير ١٩٨٤

نشر الكاتب أحمد فون دينفير قبل عام رسالة مختصرة بعنوان: "رسائل معنونة إلى إخواني"، والعنوان الجانبي لها هو: "نحو مجتمع إسلامي". وقد جمع الكاتب بين دعوة ثورية أن يعيش الناس حسب ما قرره الإسلام ـ أو أن يعطي المرء الأولوية في حياته لما يفرضه عليه إيمانه ـ وقد عرض مقترحات أساسية واضحة ومتينة تبين كيف يمكن أن يتوصل المرء إلى هذا الأمر، خطوة بخطوة، للوصول إلى درجة الكمال الفردي ضمن المجتمع الإسلامي ذي النسيج المترابط (والذي يمكن تسميته لهذا الغرض بالأخوة الإسلامية).

إن مثل هذه المبادرات لها تراث قوي. لقد استطاع شباب المسلمين خلال التاريخ الإسلامي إنشاء مجتمعات "فاضلة"، وغالباً ما كانت تلك المجتمعات سرية بُنيت على أساس من الفتوة.

فإذا أخذنا بعين الاعتبار كلاً من مبدأي القصور الذاتي والأنانية، فإنه لم يكن من السهولة بمكان أبداً تحقيق الزخم الديني. إلا أن إغناطيوس ليولا وفلاديمير إيليش لينين استطاعا أن يزحزحا العالم من خلال إنشاء ما يسمى: "الكوادر". وبالمثل، فإن تحسين فرص الإسلام للوجود في الغرب يحتاج إلى أكثر من الالتزام العام الذي يقدمه أشخاص قلة، إنه يحتاج كذلك إلى مهارات تنظيمية ولوجستية معاً.

ها نحن اليوم نجتمع في حلقة صغيرة في "بيت الإسلام"، في قرية "هيسين" جنوب فرانكفورت، لنناقش كيف يمكننا تحقيق اعتراف

رسمي بالإسلام في ألمانيا. إن هذا الاعتراف هو مطلب أساسي لا بد من الحصول عليه لتقديم تدريس الدين الإسلامي في المدارس ولجمع "ضرائب الكنيسة" من خلال الإدارة المالية للولاية.

والمطلب الأساسي المطلوب توفره لتحقيق هذا المطلب والتقدم هو أن يوحد المسلمون أصواتهم ويتكلموا بصوت واحد. ونحن ندرك أن السلطات الألمانية ترغب التعامل مع شريك واحد فقط، وهناك تكمن نقطة الاحتكاك.

ولا شك أن المسلمين، كالعرب مثلاً، هم شعبٌ يعمل بمنتهى الاستقلالية. وهم يمارسون تعددية لا تسمح بها أية كنيسة، ولا يمكنها أن تعيش. وقد يكون هذا التنوع ناتجاً عن غياب القرابين في الإسلام، وهكذا أيضاً غياب القساوسة والرهبان. (لقد تمَّ التعامل مع القرابين والمكاتب الدينية غالباً لتعزيز الانتظام والتأديب). وعلى أية حال، فحتى تحت قيادة الخليفة (أي: حتى بعد الحرب العالمية الأولى بفترة قصيرة)، فقد عرض الإسلام نماذج رائعة للتسامح في الأمور القانونية والتفسيرات الدينية.

ويجب، بالطبع، أن نرى عاملاً يسهم في هذه الحالة في الأمر الذي يتعلق بموضوع "المقاطعة، أو الفصل من الدين" حتى ولو كان يتمسك فقط بأبسط الأمور الأساسية من الإسلام ويدعي بأنه مسلم. ويعتبر الأمر نادراً جداً، كما هي الحال في باكستان، أن فرقة ضالة خارجة عن الإسلام وهي الأحمدية، [القاديانية] اعتبرت رسمياً خارجة عن الإسلام.

لقد اعتبر المسلمون دائماً أن اختلافاتهم المتنوعة هي بمثابة قوة لهم وليست ضعفاً، وسواء أكان ذلك المذاهب الفقهية الأربعة، أو الفرق والملل والنحل كالمذهب الشيعي مثلاً وغيره.

وكذلك الحال في الغرب، فقد انقسم المسلمون إلى فرق أخرى بناء على انتماءاتهم العرقية واللغوية. ونتج عن هذا غالباً أطيافٌ مختلفة من

المنظمات والمؤسسات الإسلامية، والمراكز الحضارية التي تعيش جميعها تحت المظلة الإسلامية العظيمة.

ولو أن كافة هذه الجماعات المتفرقة أصغت لنصيحة أحمد فون دينفر لأدرك كافة المسلمين الذين يقيمون في كافة البلدان الأوروبية وأمريكا الشمالية أنهم في سفينة واحدة، وأنهم الآن يجدفون بمجاديفهم معاً باتجاهٍ واحد.

الرسول الأمريكي

واشنطن. ٢٦ أيار/مايو١٩٨٤

أقمنا في فندق ماريوت واشنطن، والذي تملكه عائلة من المورمان، أثناء مؤتمر فصل الربيع لحلف شمال الأطلسي لوزراء الخارجية. ولذا، فقد وضع هؤلاء "كتاب المورمان" الذي تصدره "كنيسة عيسى اليسوع لقديسي اليوم الأخير" في درج كل طاولة موجودة إلى جانب السرير. وكان نص هذا الكتاب، باللغة الإنجيلية، يُفْتَرض أن يكون من إعداد شخص يدعى جوزيف سميث، وهو من باليرا - نيويورك، في عام ١٨٣٠، وكان على موائد من ذهب (أي أنه كان سرعان ما يختفي عن الأنظار فوراً).

ويعتقد عدة ملايين حالياً بهذا "الوحي" الأمريكي، وهذا دليل آخر على أن هناك أموراً بمنتهى السخافة والحمق يمكن أن تُعْتَبَرُ حقيقة لدى بعض الناس.

ولا يمكن، بالطبع، لدين رائع عاقل كالإسلام أن ينافس "حكايات عجيبة"، بل ولا يرغب الإسلام أن يفعل ذلك التحدي على الإطلاق.

وقد أعدت الكتاب إلى الدرج الذي كان فيه، وبسطت سجادة الصلاة التي أتيت بها من قونية، وصليت العشاء قبل أن أستلقي منهكاً بسبب فارق التوقيت والرحلة الطويلة التي استغرقت عشر ساعات.

الختان

اسطنبول. ٩ تموز/يوليو ١٩٨٤

ليس من السهل أن يجري المرء عملية ختان وهو في سنِّ الرجولة، حتى ولو تمَّت العملية في مستشفى حديث ومن قبل طبيب جراح في نسنطاس *Nisantas*، وهذا أمر ليس كلعب الأطفال.

الختانُ عملٌ رمزي إلى أكبر درجة. ويشارك المختون في عادة تمارسها سلسلة من الناس ترجع في أصلها إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام، قبل أكثر من ثلاثة آلاف سنة. إن الإسلام لله، والإذعان لأوامره ونواهيه هو أمر لا رجعة فيه، كما هي الحال في عملية الختان.

ولم يرد ذكر الختان في القرآن الكريم. وهو سنَّةٌ أمرت بها التوراة، وأمر بها حديث رسول الله ﷺ، ضمن الأمور التي أكدتها الفطرة البشرية للنظافة والطهارة كقص الشعر، وتقليم الأظافر وحلق العانة وغيرها. ومن المؤكد أيضاً أن شهرة عادة الختان لها جذور راسخة في حياة المسلمين. وأما الحجة التي يقدمها شركاؤنا المعاصرون في المجتمعات الحديثة عن عملية ختان أولادهم من الذكور، وهي أنها عملية، وصحية، ولها فائدة جنسية، فهي حجة تكاد لا تجاوز سطح الحقيقة فقط، ولا تصل إلى جذورها.

خرافة

اسطنبول ـ ١٥ تموز/يوليو ١٩٨٤

الإسلام ضد أي شكل من أشكال الخرافة، إلا أن الأمر يبدو وكأنه خداع للبصر إذا اعتقدنا أن بلدان العالم الإسلامي كانت خالية تماماً من "عين الحسود"، والسحر، والنفاثات في العقد (كما ورد في القرآن الكريم ـ سورة الفلق ـ ١١٣:٤). كما أن أوامر القرآن الكريم وتعاليمه ونصوصه فيما يتعلق بالمنجمين والسحرة لم تَحُلْ دون انتشار عادة أقرب ما يكون إلى العادات الجدية وهي قراءة الطالع من خلال قراءة قعر فنجان القهوة التركية مثلاً.

ويبدو أن كثيراً من "المتنورين" الأتراك انخلعوا [والعياذ بالله] من ربقة الإسلام، إلا أنهم لا يزالون عرضة للخرافات، ولا يزالون يقعون تحت تأثيرها، مؤكدين بذلك الحقيقة الرائعة: "هناك خرافةٌ حيث لا يوجد إيمانٌ".

والعجيب أن هناك أمراً يقع على حافة "السحر" تقريباً، أُدْخِل في نسيج الإسلام ذاته فيما يتعلق بالدور المشكوك فيه الذي تلعبه سورة "يس"، فهناك من يعتقد أن قراءة هذه السورة، وخاصة من قبل شيخ، سواء للحيِّ أو للميت، هو أمرٌ فعال ومؤثر.

ولكن، كيف نفسر هذا الأمر إذا اتخذها أحدهم، أو اتخذ أي نص من نصوص القرآن الكريم، حجاباً أو تعويذة أو تميمة يحملها في أي جزء من جسده؟ أليس هذا الدفاع ضد أقدار الله سلاحاً مزوراً ضد قضاء الله؟ أجل، هناك من يمكن الإمساك به من النساء تصنع اللبن الرائب من

الحليب الذي تمت قراءة سورة "يس" عليه، على أنه له قدرة علاجية شافية ومضمونة للمناعة ضد "العين" (للأشخاص المنظورين).

إن الرجل ميال، بالطبع، وعنيد للتأثير على قَدَره (أو قدر الآخرين)، ومحب للتعرف على مستقبله، أو تسخير قوى لدعمه ومساندته. ومن المحزن أن الإسلام لم يستطع من التخلص من هذا الضعف والقضاء عليه. ترى، هل كان يجب تكرار مزيد من آيات القرآن الكريم التي تنص على أنه ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾، وأن الله ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ وأنه لا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه؟

أليس الإسلام أكثر الأديان اعتدالاً وعقلانية؟ هل يفتقد بعض المتدينين "آلهة" رومانية مصمودة على قطعة من الموزاييك الذهبي؟ هل يريد أمثال هؤلاء إلهاً مصلوباً يستطيعون لمسه بأيديهم؟ هل يبحثون عن إلهٍ طفلٍ يدير أعمالهم وشؤونهم؟

"أعوذ بالله!"

أستغفر الله في حال النصر

روما ـ ١٥ تشرين أول/أكتوبر١٩٨٤

كنت عائداً من محاضرة في حلف شمال الأطلسي عن: "الرأي العام والدفاع"، كان لدي شيء من الوقت أدرس فيه سورة النصر؛ السورة ١١٠ في القرآن الكريم، وذلك في مطار فيوميسينو. كنت أعرف النص العربي، كما كنت أعرف ترجمة معاني السورة، إلا أنني كنت أخشى حفظه عن ظهر قلب بطريقة مغلوطة عن اللفظ. لهذا، بدأت بالسلام شخصاً تونسياً يرتدي طربوشاً أحمر، كان يجلس في قاعة المغادرين. وبدأ يقرأ عليَّ سورة النصر إذ فهم طلبي وسؤالي، وكأنه كان يتوقع هذه الدعوة مني منذ زمن طويل. وقرأ عليَّ سورة النصر.

وحسب ما جاء في آخر آية في هذه السورة، ففي ساعة النصر، يؤمر المسلمون بالتواضع لله والاستغفار وطلب المغفرة، وليس بالاعتزاز والافتخار. يا له من أمر مدهش! ترى ماذا يكون شكل التاريخ الدبلوماسي لو أن رجال الدولة فهموا هذه النصيحة؟ ترى هل كان يمكن تجنب الحرب العالمية الثانية لو أن كليمنصوه *Clemenceau* وبوينكاريه *Poincare* تقيدوا بمعنى سورة النصر عام ١٩١٩ بدلاً من أن يغوصوا في معاني الحقد فيما بينهما؟

ديونايسيوس الأريباغتي
The Dionysius Areopagita saga

لندن. ٢٤ تشرين أول/أكتوبر١٩٨٤

إن عمي؛ هوجو بوول *Hugo Ball*، الذي أنشأ مذهب الدادية في الفن خلال الحرب العالمية الأولى، لوهو مذهب في الفن والأدب انتشر في سويسرا وفرنسا ما بين ١٩١٦ ـ ١٩٢٠ يتميز بالتأكيد على حرية الشكل تخلصاً من القيود التقليدية]، لم يشتهر بشعره الإبداعي فحسب الذي يتميز بموسيقاه وإيقاعه فقط، ولكنه اشتهر أيضاً بنقده المستبصر للمجتمعين الماضي والمعاصر. ولابد أن يذكر أيضاً بإسهاماته الهامة في المجال الديني من خلال كتابه: "النصرانية البيزنطية" الذي نشر في ميونيخ عام ١٩٢٣، وصدرت طبعته الثانية عام ١٩٧٩.

ويركز عمي الكاتب في كتابه هذا على قديس غريب من نوعه اسمه: ديونايسيوس الأريباغتي *The Dionysius Areopagita*، وهو مؤلف ديني كتب عن الملائكة، والذي كان يُعْتَبَرُ في القرون الوسطى معاصراً للقديس بولس، وبالتالي، كان يُعْتَبَرُ أيضاً شاهداً على أصول النصرانية. وبناء على هذا، وبناء على كتاباته الأصيلة، اعتقد به اعتقاداً تاماً ثوماس آكيوناس *Thomas Aquinas*.

وبما أننا لا نعرف سوى القليل اليوم عن شخصية ديونايسيوس (فلذلك سنسميه ديونايسيوس ـ الزائف)، إلا أننا نعرف أكثر بكثير مما عمله ثوماس آكيوناس خلال حياته بأكملها عن أصول كتابات ديونايسيوس. فأيما كان ديونايسيوس، فإنه عاش قبل أواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس، وكان متأثراً إلى حد كبير بالكاتب بروكلوس

Proclus، إلى درجة أنه أصبح أفلاطونياً محدثاً أصلياً وغنوسطياً[1] بطريقة تفكيره. وهكذا، فسرعان ما قبلت الكنيسة اعتقاده من بين العقائد المبكرة التي قبلتها، وخاصة عقيدة ديونايسيوس التي عرفت بـ: "الدينية الرمزية"، والتي تضمنت تأملاته عن التركيب الهرمي للكون، والتي تأسست فعلياً بعد أكثر من ستة قرون بعد [رفع] المسيح عليه السلام.

وأما بالنسبة لطلبة الإسلام فإن ديونايسيوس، وهو صوفي يوناني، فهو مهم جداً، وخاصة إذا أرادوا أن يفهموا بعض المظاهر المحددة عن عقيدة كل من الصوفية والشيعة، وبخاصة مفاهيم مثل: "النور"، و"الإضاءة"، و"الألوهية العظمى" و"الانجذاب الصوفي" و"الاتحاد أو الحلول". وعلى شرف ديونايسيوس ينبغي أيضاً أن نكرر أنه في رسالته الأولى إلى "جيوس" *Gaius* أقر بأن: "الإدراك الحقيقي لله هو اللاإدراك ذاته". وكذلك، "لو أن أحداً ادعى أنه رأى الله يدرك ماذا رأى، فإنه لم ير الله ذاته. ذلك أن الله لا يمكن إدراك ذاته العلية، وهو فوق كل المخلوقات سبحانه. إنه - سبحانه وتعالى - لا يمكننا أن ندركه، وليس له طبيعة يمكننا أن نتعرف عليها، إنه تعالى جده أجلُّ وأعظم وأكبر من كل الكائنات، إنه اللاإدراك التام، بل إنه الإدراك الحقيقي..."

لقد أثبت هوغو بوول أن ديونايسيوس قد استخدم الكثير من الأفكار الغنوطسية والمفاهيم التي استمدت من الألغاز النورانية الفارسية. ولقد كانت تلك المصطلحات والمفاهيم نموذجية للأديان السرية القديمة وهي التي كانت تغرس نظريات كونية رائعة، وبخاصة ما يتعلق بالطبيعة، والحال، والعمل، وترتيب الملائكة بصورة هرمية. ولقد تركت هذه الأفكار بصماتها على العالم النصراني، كما أنها انطلقت واستمرت من افتراض له معنى بشكل عام، ومن الجزء الحسي للإنسان

---

(١) مذهب العرفان، إن المادة شر وإن الخلاص يأتي ع/ط المعرفة الروحية.

بشكل خاص، الذي كان رديئاً، بل حتى شريراً. إن هذه المانوية، وهذه العبادة لشياطين العالم، قد كانت بمثابة أساس للبنية التحتية الكبيرة لعوالم أعلى يستطيع الإنسان من خلالها الارتقاء أو العروج إلى الخلاص والتطهير.

إن كل تلك الأفكار تقصر خطوة واحدة فقط عن التفسيرات التي قدمها دكتور الإسلام المحير في القرن الحادي عشر، أبو حامد الغزالي، والتي قدمها بناء على تفسير الآية الخامسة والثلاثين من سورة النور.

يعرف الكثيرون هذا الفيلسوف المتنوع الثقافات، والفقيه، والعالم الديني المتميز من خلال "هدمه" للتأملات والتخرصات الميتافيزيقية لما وراء الطبيعة] "تهافت الفلاسفة"، وأما كتابه "إحياء علوم الدين"، و"العقائد" الذي أبدع فيه تماماً. ولكنه، كما هو واضح من كتابه "مشكاة الأنوار" فقد كان الإمام الغزالي صوفياً أيضاً.

وقد وجدت هذا الكتاب اليوم، بعد عناء طويل، على رفوف إحدى المكتبات الإسلامية على طريق سيفن سيسترز في لندن، مترجماً بالإنجليزية للمترجم دبليو. جيردنر. وقد التهمت هذا الكتاب التهاماً أثناء انتظاري لرحلة العودة في مطار هيثرو بلندن.

وقد اعتمد هذا الكتاب اعتماداً كبيراً على تأملات كل من الغنوطسية والأفلاطونية الجديدة والتي تُعْتَبَرُ عادية ونموذجية في الفكر التشبيهي لدى ديونايسيوس، فقد تجرأ الإمام الغزالي على تفسير عدة ألفاظ ومعان مظلمة ومحيرة في القرآن الكريم. فهو يأخذ كلمة "الروح" على سبيل المثال، فيقول: هل يجب أن تفهم هذه الكلمة على أنها: "الروح" البشرية، أم "الوحي" الإلهي، أم "الإلهام" أم مشخصة في "الروح الأمين، جبريل عليه السلام"؟ أو: "المطاع": جبريل عليه السلام، (الذي بنى الكون على أنه خليفة الله، وليس الخالق، أو نظرية الصدور أو الفيض الأول في خلق العالم؟

و"الكلمة" *Logos* والتي يمكن حملها على ظاهرها حرفياً ككلمة، أو يمكن حملها على أنها مشخصة على التشخيص وأنها الفيض: "كلمة الله"، "روح العالم"، الكائن. أو "الأمر": فهل هو "أمر الله"، أم أنه أمر خالق الكون المادي، كما هو عند أفلاطون، على أنه "المحرك الأساسي" الذي يعمل بأمر الله؟ بل حتى إن كلمة "النور" يمكن أن تفسر على أنها "النور" الفعلي، أو على أنها اسم من أسماء الله الحسنى، أو على أنها تعني رسول الله محمداً ﷺ، أو كما هي في الأفلاطونية الحديثة "خالق العالم المادي.

وقد برزت فكرة خلق العالم المادي أثناء تلك المحاولات لتعريف المصطلحات القرآنية بشكل متكرر. وهذا الأمر لم يكن مجرد مصادفة. لقد كان هذا الأمر أساسياً في الغنوطسية والفكر الأفلاطوني الحديث للتفكُّر بمعنى "الله"، العليِّ، الصمد، الذي يتعالى عن علم الخلق ذاته، ولذا، فإن الخلق هو عملية غير مباشرة عن طريق مستوى ثانٍ هو "المحرك الأساسي".

ولاشك أن الأمر يحتاج إلى الكثير من التأمل والتدبر والخيال لندرك النظرات الرمزية للإمام الغزالي، وخاصة عند تحقيق هذا النوع من الكونيات، إذ أن هذا نقله إلى حيث يصعب الوجود في منطقة يكاد يقبل فيها ما يمكن مقابلته مع مفهوم "ابن الله" [حاشا وكلا]، وبهذا يخالف العقيدة الأساسية لدين الإسلام وهي "التوحيد".

ويمكننا أن نتصور لحظة على الأقل، أن الغزالي، على ما يبدو، استبعد الحكم الأساسي لتفسير المصطلحات القرآنية كما في سورة آل عمران ٧/٣: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾.

إذا استطعت أن تخبرني عن العلاقة بين المسلم الصوفي، والأفلاطوني الحديث اليوناني - الفارسي، والغنوطسي، فإني مخبرك عن آرائه وتصوراته.

لقد ظنوا أنني أمزح...

بروكسل ـ ٢٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٤

قدمت للمشاركين اليوم في المؤتمر السنوي لحلف شمال الأطلسي لرؤساء أقسام المعلومات في وزارات الدفاع بصفتي رئيساً لهذا المؤتمر، قدمت لهم معلومات عن الاتجاهات المتوسطة المدى للرأي العام.

وقد حاولت أن أضع أصبعي على أعراض التغير التدريجي للوعي، وبخاصة بين أفراد الجيل التالي. إذ إنني أرى كثيراً منهم مثاليين، إلا أنهم أخلاقيون متشائمون يشجعون القيم وراء ـ المادية، ويظهرون حاجة خاصة للاتحاد، والرغبة لاتباع قيادة قوية العاطفة. كما أن رغبتهم واستعدادهم للاستسلام لبهرجة زائفة مبتذلة تبدو واضحة تماماً أثناء حضورهم لحفل موسيقي صاخب. ومع ذلك كله، فيبدو أن كثيراً من هؤلاء الشباب متحررون من الوهم والتأثر. إنهم لا يثقون بما يسمى "ديموقراطية"، و"المعاهد الحكومية"، أو بالسلطتين العامة أو الخاصة بشكل عام. ولهذه الأسباب وغيرها، فإنهم يخفون مخاوف وهواجس كبيرة عن المستقبل.

وقد أشرت خلال عرضي إلى حقيقة أن هذه الظواهر ما هي في واقع الأمر سوى "رأس جبل الجليد" لحقائق تمزقات اجتماعية ـ حضارية تمَّ توقعها منذ زمن بعيد من قبل المراقبين اليقظين أمثال عالم الاجتماع في جامعة هارفارد الأستاذ دانيال بيل *Daniel Bell* في كتابه: "التناقضات الحضارية للرأسمالية" *(The Cultural Contradiction of Capitalism)*، والأستاذ البلجيكي ليو ماولين *Leo Moulin* في كتابه *(L'Aventure europeenne)*.

وإني أربط نفسي بتحليلاتهم للمرحلة الحالية للثورة العلمية والتوسع التقني. وطبقاً لما يراه هؤلاء، فإن المجتمع الغربي، والذي يتميز بالديموقراطية الجماعية، وسيادة القانون، والتوجه التقني (أو بمعنى آخر: مجتمع لسوق صناعي رأسمالي بالكامل)، يعترف أن تطوره الذي حصل عليه إنما هو بفضل، وبتطبيق القيم "اليهودية ـ النصرانية"، التي صاغتها المشاعر الإنسانية المتحررة. لقد تمَّ إيجاد هذه القيم ابتداء على معتقدات وأفكار دينية مثل: تفرد الروح الإنسانية، الإخاء في حب المسيح، والاقتصاد، والشكر الآجل. إلا أنه أصبح من الواضح أن الموجة الاقتصادية الغربية فجرت (أو سممت) نفسها بزيادة نجاحها. فكلما ارتفعت سوية العيش ومستوى الرفاهية العامة ازداد النظام الاجتماعي في التقليل من أهمية الأساسات التي تحمله.

وتميل القيم، في هذه العملية، إلى التشوه. وقد تنقلب الفردية إلى "نرجسية"، وتنقلب العزيمة الذاتية إلى فوضى واضطراب، والتسامح إلى حيادية سلبية، والمرونة إلى لا مبالاة وعدم اعتبار لأية قيمة من القيم المتوارثة، والنعيم إلى لذة ذاتية محضة، والسعادة إلى استهلاك، والاقتصاد أيضاً إلى حب شديد للعمل من أجل العمل، والتنافس الشريف إلى تنافس تقطع فيه الرقاب، والحس المرهف إلى وسوسة، والشعور بالأخوة إلى "روح جماعية"، والمساواة إلى "تسوية"، والثقة بالله إلى عقلية "الاحتياط ضد كافة المخاطر".

وباختصار، فقد وصفت لهم أعراض زحف اهتراء بنيوي في العالم الغربي وتساءلت ما إذا كانت آلية ديموقراطيتنا مرنة إلى الدرجة الكافية للتعايش مع هذا التغير؟ أم أن الغرب سيسقط ضحية المرونة التي اختارها هو؟

ولم يعرف موظفو المعلومات [الاستخبارات] المحترمون الذين كانوا يجلسون حول تلك الطاولة كيف يبدون ردود أفعالهم، مما اضطرهم إلى الحفاظ على صمت طويل مخجل. إنهم لم يكونوا مهيئين للاستماع إلى تحليل لمشاكل العلاقات العامة يشير إلى أن انحطاط القيم الدينية في الغرب هو قضية أساسية هامة.

ثم تجرأ أحد المشاركين وسأل عما إذا كانت هناك فرصة للازدهار الديني في الغرب من جديد؟ فأجبته: إنني لا أرى فرصة للكنائس النصرانية الموجودة للعودة إلى الحياة من جديد لتتماشى مع احتياجات غالبية الشباب. كما أنكرت إمكانية إنشاء عقلية إيديولوجية غربية جديدة من خلال "هندسة اجتماعية" خالصة، وأضفت قائلاً: "وكما يبرهن ما يسمى بالكنائس السرية للشباب والفتيان، إن هذا الجيل يشعر بحاجة قوية للمشاعر والتوجيهات الدينية والإيديولوجية الفكرية. إن هذه الإمكانية حالياً هي تائهة ومتقلبة متنقلة بين كل من: الماركسية، المتشددين من أجل البيئة، وجماعة "هاري كريشنا" [الهندوسية المغالية المتطرفة]. إلا أنني لا أستبعد أن يقود هذا البحث عن الالتزام الديني وتلبية المشاعر الدينية الفردية والعامة إلى تبني ديانة غير أوربية ومختلفة تماماً عن الأديان المعروفة في أوروبا تعجب الشباب وتلبي احتياجاتهم على أنها حل وعلاج لآهاتهم وآلامهم المادية، دين يؤكد على الإخاء والأخوَّة، ويستبعد الهرمية الدينية، ويؤكد الحياة الطبيعية الإيجابية: إنه "الإسلام".

وقد اعتبر المستمعون الذين استمعوا إلى كلامي هذا أن ما أقول هو مجرد "نكتة، أو دعابة، أو مزاح"، إلا أنني لا أعتبره كذلك.

النساء في الإسلام

لوتزيلباخ ـ ٢٤ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٤

اجتمعت مجموعة من الفتيات المسلمات الألمانيات اللواتي اعتنقن الإسلام حديثاً في هذا البيت الذي يسمى: "بيت الإسلام" ينتظرن وقت المغادرة إلى مكة المكرمة لأداء "العمرة". وقد كان الجو العام شديداً نسبياً، إذ إن سفارة المملكة العربية السعودية ليس لها الصلاحية لمنح تأشيرات دخول لبعض نساء هذه المجموعة لم يكُنَّ متزوجات، ولم يكنْ معهنَّ مرافقٌ محرمٌ من الرجال (وذلك لأن آباءهن، وإخوانهن، وأقاربهن لم يسلموا بعد).

وترفض وزارة الخارجية السعودية بشكل روتيني السماح بدخول النساء العازبات خشية بحث هؤلاء عن أمير وبئر من النفط. كما أن الأحكام التقليدية للفقه الإسلامي الذي ينطبق على كل من الحج والعمرة لا تسمح للنساء غير المتزوجات بأداء هذه المناسك ما لم يرافقهن "محرم". ولا شك أن هذا الحكم عقلاني ومعقول تماماً إذا أخذنا بعين الاعتبار كافة الأمور المتعلقة بالسكن والمواصلات والظروف المناخية الصعبة أثناء فترة الحج خاصة، علماً بأنه قد يبدو سخيفاً في الظروف الحالية. (ولعل الفقهاء المسلمين في القرون الماضية لم يتخيلوا بمنتهى البساطة أن هناك حالة تكون فيها المرأة المسلمة الوحيدة بين أفراد أسرتها جميعاً!) [أجاز الإمام الشافعي رحمه الله السفر للنساء إذا كُنَّ أربعين فأكثر ـ المترجم].

والشكر موصول للمساعي الدؤوبة لمحمد صديق، وهو إمام ألماني متخرج من جامعة المدينة المنورة، والذي استطاع أخيراً إيجاد طريقة لحل

هذا المأزق، وبعد تأخير قصير، فقد تمَّ السماح لبعض السيدات الألمانيات المتقدمات في السن من الراغبات في أداء العمرة بالذهاب مع هذه المجموعة إلى مكة المكرمة.

يفترض بعض غير المسلمين أن النساء ممنوعات من الدخول إلى المساجد، أو أداء فريضة الحج. بل إن البعض لا يزالون يظنون أنه يُعْتَقَد أن النساء لا أرواح لهن. يا لها من فظاعة! كيف ستكون علاقة الإنسان بالحقيقة إذا كان الأمر كذلك؟ إن من البشاعة بمكان أن تستمر حياة مثل تلك الرموز في وجه البرهان الأكيد على ما يخالف ذلك؟

إن النساء، في عقيدة المسلم، ليس لهن أرواحٌ فحسب، بل إنهن يتمتعن بالحقوق الدينية ذاتها التي يتمتع بها الرجال، ولهذا، يجب عليهن أداء فريضة الحج، ما استطعن إلى ذلك سبيلاً. وحسب ما ورد على لسان الكاتب ديفيد لونغ *David Long* "الحج اليوم" (آلبَني - نيويورك ١٩٧٩)، فقد ذكر أنه في عام ١٩٧٢ كان (١٧٠٨٦٤) من العدد الإجمالي للحجاج إلى مكة المكرمة والبالغ عددهم (٤٧٩٣٣٩) من النساء، أي ما نسبته ٣٤,٦٪ من العدد الإجمالي للحجاج في ذلك العام. نعم، علماً بأن النساء لا يختلطن بالرجال وهن يؤدين الصلاة في المساجد، وهذا يشبه إلى حد كبير ما كانت تفعله النساء الكاثوليكيات عندما يذهبن إلى أداء الصلوات في الكنيسة حيث يجلسن على الجانب الأيسر من مقاعد الكنيسة فقط عند حضور القداس.

ومن نواحٍ أخرى، فإن النساء يتمتعن بصفة قانونية خلال الألف والأربعمئة سنة الماضية، وهي صفة قانونية لم تتمتع بها نظيراتهنَّ من النساء في أوربا، ولم يحصلْنَ عليها إلا خلال القرن العشرين فحسب. فليس للزواج، مثلاً، أي آثار سلبية على الإطلاق على ممتلكات المرأة. فإن المرأة، والمرأة فحسب، هي التي تستمر في إدارة ممتلكاتها، وبيعها، والتصرف

بها والتي كانت تملكها قبل الزواج، وبالشكل الذي تراه مناسباً لها. كما أن فصل الممتلكات (بدلاً من إشراف الذكر عليها) ليس إلا إنجازاً أوربياً حديثاً، هو أمرٌ قانوني مفروغٌ منه في النظام الإسلامي في كل عصور الأمة الإسلامية.

وكذلك، فحتى لو كان الأمر صحيحاً أن الأولاد الذكور يرثون حصة أكبر من البنات، إلا أن الأزواج فقط هم الذين ينفقون على الأسرة بأكملها. كما أنه إذا رفضت الزوجة إرضاع ولدها من ثديها، فإن على الزوج أن يتحمل نفقة المرضعة. كما أن الزوجة، أو الأم، لها الكلمة الأخيرة في تنشئة الأولاد، بل يمكنها أن تطلب من القاضي التفريق بينها وبين زوجها بالطلاق.

ومن حيث المبدأ، فإن النساء غير ممنوعات من ممارسة أية مهنة عادية. ففي معركة أحد عام ٦٢٧، شاركت النساء المسلمات في كتائب المعارك المساندة، وفي موقعة الجمل عام ٦٥٦، كانت فيها أم المؤمنين، زوج النبي ﷺ، الصديقة بنت الصديق، عائشة بنت أبي بكر، رضي الله عنها وأرضاها.

ولا شك أن هناك أموراً أخرى يمكن عرضها في هذا النقاش عن المساواة بين الجنسين في الإسلام، إلا أنه مهما كان الأمر، فإن على الناقد أن يستوعب الحقائق المذكورة هنا قبل أن يشنَّ هجمة شرسة عاتية شاملة على الإسلام معتقداً أنه يجب "تحرير المرأة" المسلمة!

أين تُخطئ الصوفية؟

آشافينبورغ. ٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٤

يعتقد إدريس شاه، كما هي حال الصوفيين جميعاً، أنه لا يمكن أن يصبح الإنسان صوفياً من خلال قراءة الكتب وحدها. إلا أنه لا يزال يصدر النشرة تلو الأخرى، مستفيداً، ومبيناً حكمة الدراويش و"المجوس" السحرة. كما أن كتاباته تلقي شيئاً من الضوء على الطرق المجربة والثابتة للصوفية، بل قد تكون هذه الكتابات أكثر مما يبينه التحليل التاريخي - العلمي عن ظاهرة الرمزية والتصوف وما يمكن أن تقدمه، وبخاصة كتاب: "الأبعاد الرمزية في الإسلام" (تشابل هيل، ١٩٧٥)، الذي أعده أحد أبرز الخبراء الغربيين، البروفيسورة الأستاذة آنميري شايميل *Annemari Schimmel* (جامعة بون وجامعة هارفارد).

يمكن أن يصفق الناس لي إذا استطاع الباحثون عن الله أن يشكّوا شكّاً مطلقاً بالمنطق الإنساني والتفكير الذكي على أنهما وسيلتان لإدراك ما وراء الطبيعة المحسوسة. ومع ذلك، فإن دخول شارع مسدود آخر لا يمكن أن يكون بديلاً عن دخول طريق خلفي مظلم تماماً لا يرى الماشي فيه شيئاً على الإطلاق؛ وذلك لأن الأسلوب العقلاني لقضية علم الوجود لا يمكننا من الخوض بعيداً، كما أن هذا لا يعني ضمناً أن الأسلوب غير العقلاني يمكن أن يقطع بنا مسافة أطول في البحث أيضاً.

بل على النقيض من ذلك، إن الرؤية الداخلية لا يمكن أن تنجح حيث يخفق الإدراك الحسي؛ وذلك لأننا وجدنا، كما في التحليل الأخير، أن الرؤية الداخلية ذاتها ليست سوى ناتجاً من نواتج الإدراك الحسي. وإن أي

تجربة رمزية ستكون صالحة فقط عندما يمكن أن نصوغها بأي لغة من لغاتنا. ولذا، فإننا نرى أنه حتى الإضاءات الناتجة عن شدة الوجد والانجذاب الصوفي تُقَدَّر مسبقاً، وتحدث ضمن الإطار الضيق للمفاهيم اللغوية الناتجة عن الخبرات الحسية. وبمعنى آخر، فإن المسار الداخلي ليس بديلاً على الإطلاق.

إننا لا يمكننا إطلاقاً أن نفرَّ من حدود الأجهزة الحسية التي نملكها. وليس هناك أموراً معقولة أو غير معقولة مجردة من الحس. كما أنه ليست هناك أية إضاءة خالية من الترابط المقدَّر لها، وإن كل هذا يتم توفيره من خلال المصطلحات التي نوجدها بأنفسنا لأنفسنا وبلغاتنا التي نفهمها.

وأيما كان الأمر، فإنه ليس هناك طريقة لتأكيد حقيقة علم الوجود لما يعتقد الصوفي أنه يراه بعينه الداخلية، ويسمعه بأذنٍ داخلية. إلا أن الناس، بشكل عام، يرغبون ويتشوقون جداً لسماع الكرامات والمعجزات لدرجة أنهم يخترعون أولياءهم (كما يسمي سكان شمال إفريقية صالحيهم)، حيث يعقد المرء قطعة قماش يقصها من ملابسه على ضريح أو على الشُّبَّاكِ المحيطة بقبر أحد هؤلاء، إذا لم تظهر شخصيات حكيمة ذات جاذبية خاصة.

ويجب أن يكون هناك شك كبير جداً كلما أراد الصوفيون أن يبينوا رغبتهم للاتحاد الصوفي بالله إذ يغذّي هذا خداعاً يؤدي إلى هوية "وحدة الوجود"، بينما نعلم أن "الله" في الإسلام، فوق الوجود المحسوس، تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً. إن "وحدة الوجود" هي نوع من أنواع الشرك تسببت في وجودها الرغبة البشرية الهابطة الفانية للدخول إلى "الحضور الإلهي" الدائم، وهذا أمر منذرٌ بخطرٍ كبير. والأسوأ منه هو الادعاء الصوفي أن بعضهم، ممن حصلوا على الطريقة الصحيحة والتكريس الخالص، يمكنه الحصول على العلم الأفضل من الله ﷻ، من خلال

إضاءات وإلهامات خاصة، أكثر مما أوحي إلى كافة رسل الله عليهم الصلاة والسلام. وما هذا في اعتقادي إلا غرور يصل إلى حد الكفر [أعاذنا الله وإياكم منه].

إن الرجال والنساء الذين خلقهم ربنا تبارك وتعالى، وهو الخالق المصور البارئ العظيم الكامل الجلال والكمال، لا يعوزهم الانسجام، ولا يعوزهم التقويم السليم، وليسوا آلات مولودة بعيوب ذاتية منذ الولادة. وقد ميز الله ﷻ البشر عن الحيوانات بالتفكير والعقل. فهل يمكن أن نتصور بعد هذا أن هؤلاء البشر يمكنهم أن يعبدوا ربهم بشكل أفضل إذا انخلعوا من عقولهم وتفكيرهم وتجردوا منها؟

كما أنني لا أعتقد أن أهم جزء من الوحي، وهو القرآن الكريم، الذي أوحي ليستخدمه ويطبق شرائعه وتعاليمه هذا الإنسان على وجه الأرض ويتعبَّد الله به، هو رسالة تتألف من مجموعة من الرموز والأسرار الغامضة؛ ولذا، لا يتوصل إليها ولا يكشف غوامض معانيها وأسرارها إلا حفنة قليلة من فئة الخاصة فقط. فهل من الإسلام أن نحوِّل الإسلام، هذا الدين الوسط المعتدل بين الأديان كلها، إلى ميزة يختص بها الأرستقراطيون الأتقياء؟

دليل من الإنجيل

جيلنكيرشين. ٤ شباط/فبراير ١٩٨٥

أشار الكاتب صاحب مستقيم بليهير *Sahib Mustaqim Bleher* في كتابه: "دليل من الإنجيل" (ميليرويست ١٩٨٤) إلى فقرات ومقاطع من العهدين القديم والجديد تؤكد صحة القرآن الكريم بشكل عام، ورسالة النبي محمد ﷺ، بشكل خاص.

إن المسلمين الغربيين المعاصرين لا يتوقعون سوى القليل من الدراسات المقارنة بين كل من القرآن الكريم والإنجيل، وكأنه، كما يقول الأستاذ هانز كونغ *Hans Kung* بشكل متكرر: "ليس بوسع كل من الإسلام والنصرانية أن يسلطوا الكثير من الضوء على أصول بعضهما. (ويجب أن ينسب الفضل لأهله من رجال الدِّين النصارى مثل: آدولف فون هارناك *Adolf von Harnack*، وآدولف شكلاتر *Adolf Schlatter*، وبوول شوارزيناو *Paul Schwarzenau* لاعترافهم بأن القرآن الكريم حافظ على أقدم وأصح تفسيرات شخصية عيسى عليه السلام، ودوره وطبيعته، وبهذا فهو يذكر النصارى ويؤكد لهم تاريخهم".

إلا أن المسلمين الغربيين على ما يبدو يشغلهم رابط واحد بين كل من العهد الجديد [الإنجيل] و"القرآن الكريم" وهو: التنبؤ ببعثة محمد ﷺ، كما هي في الإنجيل - إصحاح حنا *John 14:16*، و١٣:١٦. ويتفق المسلمون (وهذا ما يؤكده البروفيسور كونغ أيضاً) أن القراءة الصحيحة لهذه الآيات: "بيركاليتوس" *Periklytos* (أي: أحمد بالعربية) بدلاً من "باراكاليتوس" *Parakeletos*، تعني أكثر من مجرد إشارة (١) أن هناك

رسولاً آخر بعد عيسى عليه السلام، (٢) وأن اسمه "محمد" ﷺ. كما أنه بالأهمية ذاتها أن نوافق على أن ترجمة الآية ١٤:٢٦ من إصحاح حنا *John*، يجب ألا تترجم على أنها *Parakeletos* أي: (المساعد) كما هي "الروح القدس" في المفهوم الذي تقدمه عقيدة التثليث. بل إن هناك تناقضاً واضحاً مع الآية ١٦:١٣ من إصحاح حنا *John*، حيث تستخدم كثير من ترجمات الإنجيل الترجمة الأخيرة التي أشرنا إليها وهي *Parakeletos* أي: (المساعد)، وبالتالي تمثل هذه الترجمات المزيد من التجرؤ على الإنجيل بإدخال المبادئ والأفكار الهيلينستية والغنوطسية إلى أي نص (مشكوك فيه).(وكأن الإنجيل البروتستانتي لم تدخله كمية كافية من الأكاذيب من قبل عمليات البلورة النصرانية التي مرت عبر العصور).

وقد يحقُّ للمرء أن يسأل، بالطبع، ألا يكفي أن نرى أن القرآن الكريم "سليم المحتوى" و"يؤكد نفسه بنفسه" بالكامل؟ وهل يحتاج الأنبياء إلى شجرة نسب من نوع خاص؟

هل من المساعد أن نؤكد وحي القرآن الكريم بمستندات ووثائق، والتي هي ذاتها، كما هي حال أكثر نصوص الإنجيل، وخاصة الإنجيل الذي كتبه القديس حنا *John*، تحتاج إلى توثيق وتحقيق؟

العقلانية، والحرية، والحب

بروكسل ـ ٧ شباط/فبراير ١٩٨٥

لقد أصاب مارسيل إتش. بويسوت *Marcel H. Boisot* مقتلاً بمقالته عن: "نظام القيم الغربي: سلاح أخلاقي" (العدد ٣/٨٤ المعهد الأوربي للأمن في لوكسمبورغ). فلدى تحليله للحالة الراهنة لنظام القيم الأوربية استنتج أن المدنية تتجه دائماً إلى كارثة إذا سمحوا لثلاثة عوامل أساسية بالخروج عن الاعتدال، كما يفعل الغرب اليوم، وهي" (١) العقلانية، (٢) الحرية، (٣) الحب.

إن الحرية إذا لم تعالج وتلطَّف بالحب فسينتج عنها استغلال يسبب فوضى كبيرة. وأما العقلانية إذا لم تعالج وتلطَّف بالحب فربما تؤدي إلى "محرقة". وأما الحب فإنه إذا لم يعالج ويلطَّف بالعقلانية فربما يصبح مدمراً للذات. وكذلك فإن العقلانية دون حرية هي "وصفة لأرخبيل جولاج: *Gulag Archipelago*.

اقرأ الإخاء (بدلاً من الحب)، احترم المعرفة التي يمكن التوصل إليها (بدلاً من العقلانية المجردة)، والكرامة الفردية (بدلاً من الحرية)، وستفهم عندئذ لماذا تستطيع الحضارة الإسلامية الحقيقية أن تتجنب الخلل الحالي في التوازن بين عوامل أساسية في الغرب.

لقد وزعتُ اليوم في المركز الرئيس لحلف شمال الأطلسي هذه النشرة على الحضور في مؤتمر مسؤولي المعلومات الوطنية، طالباً منهم أن يتجردوا من أنفسهم ولو مرة، ومن مشاكلهم الحالية ليتمكنوا من التركيز على الواجب الأطول مدى وهو: أن يحاولوا التعايش مع ثورة حضارية صامتة لا يمكن الإحساس بها أو إدراك أبعادها والتي تقرِضُ وتهدم أساسات نظام القيم الغربي.

لو أن سعادته قاوم قليلاً...

بروكسل ـ ٨ شباط/فبراير ١٩٨٥

عندما يخطئ النصارى في الدفاع عقلياً عن عقيدة التثليث، فإنهم يحاولون عبثاً الانخراط في بهلوانيات لغوية فقط ثم يتراجعون أخيراً مُدَّعِين أن "التثليث" هو لُغْزٌ لا يمكن شرحه وتفسيره.

كتب اليوم الدكتور جيرهارد إل. مولر، عمود "رسالة إلى المحرر" في صحيفة فرانكفورت آليجمين زايتونغ، وهذا ما نود التحدث عنه هنا. والكاتب هو رئيس قضاة أعلى في محكمة للعمل في ألمانيا، والذي شرح أن المحكمة لم تصدر في أي مرحلة من مراحلها إدانة بحق عيسى المسيح عليه السلام على أنه ذو طبيعتين مختلطتين: نصفه إله ونصفه بشر. "إن الرابط بين الإله والإنسان (في شخص عيسى (عليه السلام) هو من نوع خاص جداً بحيث لا يجد المرء له شبيهاً في تاريخ الأديان". (ويخطئ السيد مولر هنا. فإن التناسلات الدينية لم تحبك بمثل هذه الدقة). ويستمر مولر في حديثه ليقول: لقد عُرِف عيسى على أنه "إله" لأنه باعتباره "ابناً سابق الوجود لله، فكان مستمر الوجود في الله، وبقي في الله عندما قبل الصفة البشرية من مريم عليها السلام، وبالذات من خلال "روح الله". "وقد أدت هذه الحادثة إلى بداية جديدة للبشرية، بدأت من عيسى عليه السلام، ولا يمكن التراجع فيها".

يا الله! لو أن سعادته قاوم قليلاً فقط كي لا يجمع بين مفردات صناعية جداً لا معنى لها! (أو: هل يجب أن يكون المسلمون شاكرين لهذا الإعلان العفوي؟) أليس من الأفضل (والأكثر احتراماً) لو أن هذا الشخص أعلن عن إفلاسه الفكري عندما سئل أن يشرح معنى "التثليث"؟

لا شك أنه كان من الأفضل لو أن السيد رئيس القضاة بحث قليلاً في التاريخ الرائع لفكرة "التثليث"، حيث تألفت من إيزيس [إلهة الأمومة والخصب المصرية]، وأوزيريس [أحد آلهة مصر القديمة]، وهوروس، أو من الله الآب، ومن مريم، وعيسى، أو لوجوس، وعيسى. فلو أنه فعل ذلك كان لا بد له أن يعترف، كما فعل القديس حنا، والقديس بولس، وديونيسوس الزائف قبله، ويستسلم ليلعب مباراة لغوية لعبها قبله كل من أفلاطون والغنوسطية.

من الواضح أن يقول القائل إنه يصعب أو يستحيل شرح الألغاز، وإنها حسب تعريفها ومنطوقها "ألغاز". إلا أننا على الرغم من كل هذا ما مُنِعْنا أن نؤكد أن الذي نسمعه أو نراه على أنه "لغزٌ" هو كذلك، أم أنه، كما هي الحال في موضوع "التثليث"، صياغة تأملية لقلوب الناس وعقولهم وأفكارهم.

لقد مرَّ وقتٌ يمكن أن تستفيد فيه النصرانية من عقيدة التثليث هذه، وبخاصة عند دعوة الناس الذين يعتقدون بتعدد الآلهة وأنها على شكل هرمي إلى دين جديد. وأما اليوم، فإن عقيدة التثليث هي عبءٌ على النصرانية.

الديموقراطيات الإسلامية؟

بروكسل. ١٤ شباط/فبراير ١٩٨٥

تشوه سمعة السعوديين بشكل متكرر على أنهم "أصوليون متزمتون". وإن هذا مفهوم غريب إذا كان المقصود منه جهودهم في محاربة الخرافات والفساد. والواقع أن السلطات السعودية، وهي تأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار، وضعت سوراً حول ما يسمى "قبر حواء"، أم البشر، في جدة، ومنعت ما يمكن أن يسمى "عبادة الأبطال" (أو ما قد يكون أسوأ من ذلك) في المقبرة التاريخية في البقيع بالمدينة المنورة.

كما أن مثل هذا الاتهام غريب أيضاً إذا كان المقصود منه الحركة الإصلاحية لمحمد بن عبد الوهاب (والتي تعرف بين عامة الناس بالوهابية) للأعراف في مكة المكرمة، وذلك لأننا كما نعرف بالتفصيل من هينريك فون مالتزان *Heirich von Maltzan* الذي استطاع أن يتسلل خفية إلى مكة المكرمة عام ١٨٦٠، حيث كانت في ذلك الوقت مكاناً للأفيون، والمواخير، وأمكنة تأوي إليها اللصوص.

وأخيراً، يبدو لي أن هناك كثيراً من الطيش والتهور أن تشوه سمعة السعوديين وطريقة حياتهم بسبب اتباعهم الدِّين كطريقة جادة للحياة كما فعل النصارى قبلهم في قديم الزمان.

إذا كان التزمت الأصولي تعبيراً عن النفاق وغياب الرضى عن الذات، فعندئذ نقول: نعم، إن هناك عدداً من الأصوليين بين السعوديين، ويمكنهم أن يفخروا بذلك.

إنهم قد يشعرون بأن التقدم إلى الأمام في حالة محددة كما هي حالتنا اليوم يتطلب تبني "قدوة" تمت تجربتها وأثبتت كفاءتها في الماضي. ومهما كان الأمر، فإن موقفاً مثل هذا - التحفظ البناء - هو وضعية محترمة في الغرب، شريطة ألا يكون من يقوم بها "مسلماً".

ومن المؤكد أنه ليس أمراً بدائياً أن ندافع عن الفرضية التي تقول إن حل المشاكل الاجتماعية الذي أسسه محمد ﷺ، والخلفاء الراشدون الأربعة من بعده ﷺ، هو "قدوة" حقيقية لحل مشاكل مجتمعات ما بعد العصر الصناعي. كما أنه ليس من السذاجة المصادقة، كما يفعل السعوديون، على موقف سلبي تجاه فلسفة تأملية وعقيدة تعرِّفها المدرسة الفلسفية "الأشعرية" [الأشاعرة ٨٧٤ - ٩٣٥ ميلادية]. فهل هذا النقد الأساسي لفلسفة الوجود والميتافيزيقية هو بدائي فقط لأنه أُسِّس قبل قرون من الفلاسفة المشهورين ديفيد هيوم، وعمانويل كانط، ولودويغ ويتنجيستاين؟

وفي الملاذ الأخير، فقد ركَّز النقاد الغربيون على الأصولية الإسلامية وموقف الإسلام تجاه النموذج الغربي للديموقراطية التعددية البرلمانية. وقد تغاضى هؤلاء النقاد عن حقيقة أن كثيراً من المتحررين الغربيين والاشتراكيين يعيشون بمنتهى الراحة في دستورية ملكية تعطي النصرانية وضعية قانونية متميزة ذات امتيازات ودون أية نزعات أو مواقف عدائية ضدها. وهكذا، فإن الإسلام أيضاً لا يفرض حكومة دينية استبدادية.

ولا يمكننا هنا أن نجزم بشكل حاسم أن تاريخ الإسلام ليس تاريخاً للتطور الديمقراطي. ولقد عانى النصارى تحت حكم "الحكام المتنورين" الشرير البغيض، وتحت حكم "الملوك المتنورين"، وتحت ظل "الأباطرة الأتقياء" وفي ظل "خلفاء الله"؛ وكذلك المسلمون والشعوب الإسلامية فقد عانوا هم أيضاً وتحملوا كثيراً من المعاناة في ظل السلاطين الجائرين،

والخلفاء، والأمراء. بل في الواقع، إن التاريخ القانوني للإسلام يمكن أن يُعْتَبَرُ كفاحاً مريراً وطويلاً بين فكرة التحرير ـ نظام الحكم الإسلامي الذي يضمن المساواة، والعدالة والأمن ضد الاستبداد ـ والقوة المستبدة الوحشية الواقعية. ولقد كان هذا سبباً كافياً أن يوجِّه البروفيسور الأستاذ كارل جي نيومان، في مقاله في صحيفة فرانكفورت آليجمين زايتونغ سؤاله: "هل توجد دولة واحدة اليوم غير دكتاتورية تحت حكم الهلال [المسلمين]؟

نعم، لا شك أن الإسلام لا يزال مديناً للبشرية بأن يقدم برهاناً مناسباً وأكيداً على أن دولة إسلامية حديثة (أو "دينية ـ ديموقراطية" كما يسميها المفكر الإسلامي أبو الأعلى المودودي)، بالنظرية والتطبيق، يمكنها أن تؤكد الحكم المشارك للقانون حسب كل من القرآن الكريم ولوائح الحقوق الأساسية للإنسان.

ليس هناك خطر ما لم يكن هناك ضرب...

بروكسل. ٢٥ شباط/فبراير ١٩٨٥

لم يعانِ أحد من هجمات الإرهابيين في العقدين الماضيين أكثر من الدبلوماسيين. وبالتالي، فقد تلقوا كثيراً من نصائح الخبراء المختصين عن كيفية النجاة من التفجير داخل سياراتهم الخاصة، أو الاحتياط ضد الاختطاف، أو التعرض لرصاص القناصة.

ومع كل هذا، فإنهم حتى لو أنهم اتبعوا كافة النصائح التي توجه إليهم فإنهم لن يكونوا قادرين على زيادة أعمارهم ولو "ثانية" واحدة حسب ما أعتقد. وإن الرصاصة التي أخطأت هدفها ولو أقل من ميليمتر لن تسبب خطراً حقيقياً [والله أعلم]، وأما الطلقة التي [يراد لها] أن تصيب، فلن تخطئ مرماها. [والله أعلم].

ولا يعني هذا على الإطلاق أن المسلم لا ينبغي له أن يتعرف على المزايا المتقدمة لكل من مسدس "هيكلر آند كوخ بي٧إم١٤"، إلا أنه يجب ألا يستسلم لخداع ما يقال له: "إن أيامك غير معدودة". ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٢/١٥٦]، و﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ٣/١٤٥].

ويبدو لي أنني لم أحصل على ذلك "الإذن" بالرجوع عندما قصف الأمريكان والإنجليز قذائفهم وقنابلهم على البلدة التي أقيم فيها كل أسبوعين أثناء الحرب العالمية الثانية. وكذلك لم أحصل على هذا "الإذن" أيضاً في حادث تحطم السيارة التي كنت أستقلها في ولاية ميسيسيبي في السادس والعشرين من شهر حزيران/يونيو عام ١٩٥١. ولم أحصل على هذا

الإذن" أيضاً بعد أربعة عشر يوماً من هذا الحادث المروع، لدى عودتي إلى واشنطن حيث أطلق "مجنون" رصاصة من خلال زجاج نافذة القطار الذي كنت أستقله في تينيسي، ولم تكن هذه الرصاصة سوى على بعد بوصات فقط من رأسي. بل ولم أحصل على هذا الإذن" أيضاً عندما تقرر إرسالي سفيراً إلى جدة عام ١٩٧٦، فاكتشف الأطباء أن لدي ورماً سرطانياً في الكلية اليسرى. "الأمر كله قسمةٌ ونصيب..."

دعوة قائمة ومستمرة...

بروكسيل ـ ٩ آذار/مارس١٩٨٥

ركّز المعرض السابع عشر للكتاب العالمي في مركز روجر في بروكسيل على الكتب المنشورة باللغتين الفرنسية والألمانية. وكنت متفائلاً أن أجد بعض المنشورات الجديدة في الأدب الإسلامي. وقد وجهني الكمبيوتر الموجود في مركز المعلومات إلى مؤلفات عن الفئات السرية القليلة بما في ذلك كتب دراويش المولوية والنكات العملية للشيخ نصر الدين. ولم أستطع أن أجد طلبتي إلا في مكان عرض الكتب الألمانية والتي نشرتها دور نشر في كولونيا بعنوان: "ببليوغرافية إسلامية".

ومقارنة مع المنافسة الشديدة مع قوى البعثات التنصيرية هنا فإني رأيت الأمر مخجلاً تماماً. وفي الواقع، لم تكن الدول الشيوعية، والمذاهب النصرانية الزائفة مثل "هولي غريل"، والفرق الإسلامية المهرطقة الخارجة عن الدين مثل الداهشتية، والحلقات الفلكية، والجماعات التي تدعم الشذوذ الجنسي، لِتَشْغَلَ جميعُها دوراً كاملاً في مركز روجر في معرض الكتاب العالمي.

وقد وقف عدد من النساء البلجيكيات الجريئات من أعضاء الحركة البهائية، يظهرن حماساً إنسانياً تذكارياً لذكرى "شيلر" و"فان بيتهوفن" يهتفن: "ملايين العناقات!" ترى هل يفتقر المسلمون إلى الخيال، وفن التجارة، والمهارات التنظيمية التي ظهرت هنا من خبراء البهائية، أتباع "بهاء الله"؟ أم أن العزة الإسلامية تأبى أن تظهر مع مثل تلك المستويات، كما

هي حال الكنيسة الكاثوليكية هنا، جنباً إلى جنب مع جماعات انتهازية منتفعة من المنظمات السرية المضادة والمعادية لحضارات البشر؟

إن الإسلام، في الواقع، لا يفضّل الأعمال التبشيرية المنظمة النشطة إلى حد استعداء الآخرين والتعدي على حقوقهم. إنه دينٌ يضع ثقته في جاذبية الأفراد المسلمين الذين يجعلون من حياتهم قدوة للآخرين. إن الأسلوب "الدعائي" الكاثوليكي ليس النموذج الذي يفضله الإسلام. بل على خلاف ذلك، يتصور الإسلام نفسه على أنه دعوة قائمة ومستمرة، وهو دينٌ بابه مفتوح على مصراعيه، ويداه ممدودتان لترحب وتعانق أي قادمٍ زائر، ورسالته "ذاتية الشرح" لا تحتاج إلى المزيد من التفسير والدعاية والإعلانات. وبمعنى آخر، يعتمد هذا الدين العظيم على التأثير التلقائي لعفويته وبساطته، ووضوحه وعقلانيته وموافقته للعقل السليم لكل راغبٍ ومريدٍ وقادرٍ أن يسمع ويرى.

إن مثل هذا الموقف يمكن أن يكون له معنى إذا اعتقد المرء أن الله وحده هو الهادي إلى الصراط المستقيم، وهو يهدي من يشاء، وبالطريقة التي يريدها. وبناء على هذه الخلفية، فإن عرض الإسلام على الطرقات وفي زوايا الشوارع يبدو في الحقيقة أمراً ليس في مكانه.

إلا أن الإيمان شيء والجبرية، أو الإيمان بالقضاء والقدر، شيء آخر. ويجب أن يكون المسلم مدركاً للحقيقة المعروفة وهي أن الله مسبب كل الأمور، وأنه السبب الأول في مجريات الأمور والحوادث كلها. ومع ذلك، فيجب ألا نجعله حلقة في سلسلة السببية التي تؤدي إلى اعتناق إسلام جارنا مثلاً. ويجب على المرء أن يصلي صلاة مودِّعٍ لهذه الحياة، إلا أنه يجب عليه أيضاً أن يخطط ويعمل وكأنه سيعيش خمسين سنة أخرى.

ويمكن أن يتعلم المسلمون، في هذا المجال، من فلسفة ماركس للحتمية المادية التاريخية، والتي يُحتمل أن تكون قد اتخذت عذراً في

الموقف السلبي المستسلم. إلا أن لينين صبغ الشيوعية بالفعالية البلشفية (استعمال القوة لتحقيق الأغراض السياسية). وقد خدمت الكوادر الحزبية باختيارها في تحقيق "العمليات التاريخية الحتمية"، عاملة على تسريع مسار التاريخ أثناء مسيره باتجاه الهدف المُقدَّر له بالاشتراكية التامة على المستوى العالمي.

نعم، إنه يجب أن يسمح المسلمون أيضاً لأنفسهم أن يكونوا أداة فاعلة في نشر دعوتهم ومبادئهم الدينية حسب أفضل تقديراتهم وقدراتهم.

قالت: "آه"...

بروكسيل - ١١ آذار/مارس ١٩٨٥

علمت السيدة الإسبانية الجالسة إلى جانبي على المائدة في عشاء دبلوماسي أنني مسلم. فقالت: "آه، إنك أحد الذين لا يزالون بانتظار ولادة الإله". وقد ذُهِلْتُ لحظاتٍ حيث أدركت المدى الكامل الذي وصل إليه تحريف مفهوم الإسلام، ولم أستطع أن أنبس ببنت شفة! وقد خطر لي أن أتلو على مسامع هذه السيدة سورة الإخلاص وأن الله ﷻ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾، إلا أنني قررت أن أغير الموضوع وقلت بدلاً من ذلك: "إن هذا الأمر هو أحد الأمور التي لا ينتظر المسلمون حدوثها".

ألمْ أتعلَّمْ في قواعد "الإتيكيت" أن الأمور المتعلقة بالسياسة، والدين، والصحة يجب أن يتجنب الإنسان الحديث عنها على مائدة الطعام؟

أربعة "شحارير" من اسطنبول...

بروكسيل. ٣١ آذار/مارس١٩٨٥

كانت هناك سلسلة حفلات موسيقية في الكنيسة البروتستانتية القريبة من القصر الملكي ستقدم موسيقى مقدسة من الأديان العالمية العظمى. وكان أحسن ما ينطبق على اسم هذا البرنامج شعار "هوغو بوول" *Hugo Ball*: "إن الفن هو أقرب ما يكون إلى الدين منه إلى العلم". وها نحن اليوم نشهد أداء ضيوف من "المؤذنين الأتراك"، الذين قدموا "تلاوة من القرآن الكريم بالعربية، وقدموا بالتركية مختارات شعرية من شعر الشاعر سليمان شيليبي *Suleyman Celebi* [القرن الرابع عشر الميلادي]، والتي تُعْتَبَرُ جزءاً من الاحتفالات التي يقيمها الأتراك الأحناف في ذكرى مولد النبي ﷺ.

وقد قدَّم منظم الحفل أولاً تفسيراً للخلاف بين الموسيقى الصوفية التي تستخدم الإيقاع بالدف، والتلاوة أو المديح الخاص الذي يقدمه هؤلاء المؤذنون الأربعة، وكيف يشكّل هذا المديح، بناء على الإيقاع الداخلي، لحناً متميزاً باستخدام النصوص القرآنية. واختتم المتحدث كلمته طالباً منَّا الامتناع عن التصفيق، إذ إن مثل هذه الموسيقى المقدسة يجب ألا تبتعد كثيراً عن المحتوى الحقيقي والهدف منها، ألا وهو "الصلاة" [أو: الدعاء].

وقد قدَّم هؤلاء الشحارير الأربعة أداء متميزاً، والفضل في ذلك [والله أعلم] لطبقة أصواتهم العالية الصداحة، وكذلك الواضحة المعبرة والراجية أيضاً. ولقد تأثر كثير من الحضور بدرجة بالغة بما سمعوه بما لاحظناه من

شدة تركيزهم وإصغائهم وبذل كل اهتمامهم ورغبتهم في متابعة هذا الأداء الفريد. وكان هؤلاء في الحقيقة من أروع عناصر الفن الإسلامي!

ومهما كان الأمر، فإنني لم أشعر براحة تامة. فهل يجب على أحدنا [من المسلمين] أن يخدم القرآن بشكل جمالي مزيَّنٍ كي يستمتع الناس به؟ "الفنُّ للفنِّ!" ألم يكن للفيلسوف الألماني المشهور "فريدريك نيتشه" الغريزة الصحيحة، بمعناها الواسع، عندما كتب كتابه: "مولد المأساة" أن "النصرانية الحقيقية تنفي كافة القيم الجمالية؟"

ترى، ألم يكن في تكرار لفظ الجلالة "الله"، واسم النبي "محمد" ﷺ، بتكرارٍ متساوٍ، كافياً لأن يؤكد المفهوم الخاطئ لدى الناس أن المسلمين، مشابهة بالنصارى، هم "محمديون" [أي يعبدون محمداً ﷺ، حاشا وكلا].

ترى، أليس المسلمون الوهابيون على حق حينما لا يشجعون أداء كل من الأذان والإقامة بطريقة تتميز بالفن والأداء الموسيقي الجميل المتميز؟

ترى، ألم نصل اليوم إلى الحد الذي نشعر فيه أن الفن هو الذي يسيطر ويتغلب على الصلاة، حيث يكون الفن عقبة في طريق الصلاة؟

الحب الأخوي مقابل الإخاء

الجمعة العظيمة . ٥ نيسان/أبريل١٩٨٥

يمكن اعتبار أمر تكريس الصحيفة الألمانية المرموقة "فرانكفورتر آلجيمان زيتونغ" وصحيفة "داي ويلت"، صفحة كاملة للتعاليم النصرانية في يوم عيد الفصح أمراً مفروغاً منه. ولكن، لا يمكن أن يُعَدُّ بأي حال من الأحوال، أمراً مفروغاً منه أن تركِّز مثل هاتين الصحيفتين اليوميتين المشهورتين الألمانيتين على الإسلام على أنه: "أسرع الأديان انتشاراً في أي مكان في العالم"، كما فعلتا معاً في هذا العام.

ومن المؤسف أننا لم نستغل هذه المناسبة للتعريف بأهمية القاعدة العامة المشتركة بين كل من اليهودية والنصرانية والإسلام. وقد كتب كارل ـ آلفريد أودين: "إن ما يفرِّق بينهم هو: كيف يكون الإله إلهاً؟" فحسب صيغة النصارى: "الإله هو الحب..." [الصحيفة الألمانية "فرانكفورتر آلجيمان زيتونغ"، ٤ أبريل/١٩٨٥].

إن الكاتب أودين محِقٌّ عندما يستخدم مصطلح: "صيغة" إذ إن ذلك هو تماماً كما يقول، وليس غير. إلا أنه غير مصيبٍ في مصطلحات المجادلة: "إن الموت على الصليب، وهو رمز التألم من أجل الإنسانية، فإن الإله يخلِّصُ البشرية بتحمل تلك الآلام شخصياً [بدلاً عنهم]". وللتبسيط الشديد، فإن "حب النصارى للإله" إما أن يكون مساوياً لحبِّ "اللّه"، الرحمن الرحيم، أو أنه "ليس إلهاً على الإطلاق".

ويمكن أن يسلط تحليل مفهوم "الحب" الضوء على هذا المفهوم. يربط بنو البشر الحبَّ بالتضحية والفداء، وهكذا فهم يتحدون مع شخص آخر.

وحتى يكتمل الحب، لا بد من حبٍّ مماثل من الطرف الآخر. ويقبل كلا المحبين شريكه على أنه على المستوى ذاته من الحب، إلا أنهما يضعان نفسيهما على قاعدة أعلى، ويحتاج كل منهما الآخر، بحيث يصبح كل منهما أكثر اعتماداً على الآخر في أحسن معنى.

إلا أن "الله" ﷻ، لا يمكن أن يحب الناس من مخلوقاته بهذه الطريقة، وإلا فلن يكون الله متعالياً، متفرداً، تاماً، كامل الألوهية، مطلقاً، وله السيادة في الأمور كلها، وصمداً كما هو سبحانه وتعالى في سورة الحشر: ٢٣/٥٩: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ولاشك أن من الكفر بالله أن يجادل المرء أن الله ﷻ، دون ذكر "اسمه" تعالى، ودون مخلوقاته ﷻ، هو أفقر مما هو عليه بهما. لقد كان الله قبل أن يكون الزمن، وقبل أن يكون الخلق، وهو على الدوام "الحيُّ القيوم الفرد الصمد الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد".

ولهذا، فإن حب الله ﷻ لمخلوقاته يجب أن يدرك على أنه علاقةٌ "غير متساوية ولا متماثلة على الإطلاق" [الفارق الشبه بينهما]، وهذا لا ينقص من كمال الله الحي القيوم العليم الخبير الذي لا يحتاج إلى أي من مخلوقاته، فهو الفرد الصمد العزيز الماجد الواحد الأحد سبحانه في ملكه وملكوته، و: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. وهذا يعني أن الله يمكنه ﷻ أن يكون عطوفاً، شفيقاً، رحيماً، ورحماناً بمخلوقاته جميعها إذا أراد ورغب ﷻ، إلا أنه قادرٌ سبحانه أن يكون عادلاً ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾، ومقتدرٌ سبحانه على إلحاق العذاب الأليم بمن خالف أوامره ونواهيه، أو عَبَدَ إلهاً غيره.

وعندما يشير النصارى إلى إله الحب الذي عندهم فإنهم لا يفكرون عادة "بالله"، بل بعيسى عليه السلام، الذي يمكن أن يكون، كما هي حال

البشر، فداء، بل وحتى يمكنه أن يفدي نفسه من أجل إخوانه وأحبابه. إلا أن "الله" ﷻ، مع أنه قد يقبل الفداء والأضحيات والتضحيات من عباده، فإنه ليس بحاجة إليها على الإطلاق. فإذا كان لديه ضرورة للتضحية بنفسه ﷻ (أو بجزء منها) [حاشا وكلا]، فإن هذا يتعارض مع ذاته العلية، فهو الذي ندعوه "الله، العلي، الحكيم، المنزه عن الشبيه والندِّ والمثيل ﷻ". فإن الله ﷻ يغفر، إذا أراد، فليس هناك من يملي إرادة أو مشيئة فوق إرادته ومشيئته ﷻ. ويفخر النصارى بالتقدم المفاجئ في المعرفة الذي حدث في وقت تميز بأحداث خاصة تمثلت بمفهوم "إله الحب". وفي حقيقة الأمر، فإن المفهوم الفلسفي والديني لله يعتبر هذا تراجعاً هائلاً لمفهوم "الله". وقد تهدد كافة التقدم الذي حققه كل من الفلاسفة اليونان ومفكريهم، وأنبياء اليهود بهذه الفكرة النصرانية لتجسيد الإله بمزايا بشرية. وكما هي الحال الآن، فإن النصارى يسقطون الآن الرغبات التي يستوحونها من خوفهم على مفهومهم عن الإله المعبود، معللين بذلك الرغبة الحتمية الناتجة عن وجهة النظر المحجوبة عن الله تبارك وتعالى. فإذا استطاع عيسى عليه السلام، أن يحقق تقدماً تاريخياً غير مسبوق، فإنما كان ذلك بسبب قدرته على حب الله ﷻ، وقدرته على حب جاره كما يحب نفسه. إلا أن الأمر سيكون مجرد إساءة وتشويه للسمعة أن ينكر شخص ما أن الإسلام يجسد هذه الأوامر ذاتها. إن "الحب الأخوي" لدى النصارى، و"أخوَّة الإسلام" مفهومان يعنيان الشيء ذاته تماماً.

إنه مسلم، ومع ذلك فإنه ليس غبياً!

بروكسيل ـ ٩ نيسان/أبريل ١٩٨٥

كنت أستضيف عدداً من الزوار الذين يستضيفهم مركز المعلومات في حلف شمال الأطلسي على الغداء مرة كل أسبوع، أو مرتين، في المركز الرئيس للحلف. واعتاد "الندلاء" الذين يقدمون الغداء في المطعم أن يضعوا قارورة من المياه المعدنية في المكان الذي أجلس فيه، بدلاً من قارورة "خمر". كما أنهم اعتادوا أن يستبدلوا أطباقاً أخرى، بدلاً من الأطباق التي أعدت بلحم الخنزير، فيقدمون لحماً غير لحم الخنزير لغدائي بشكل أكيد. وقد لاحظ كثير من الضيوف هذه الحركات.

وكنت كلما شرحت لضيوفي أن "غذائي" هو بناء على أنني "مسلم"، ولله الحمد، ظنَّ كثيرون منهم أنني كنت هازلاً في كلامي، وبخاصة عندما استمعوا قبل قليل لما كنت أقدمه من إيجازات عن موضوعات مثل: "العلاقات بين الشرق والغرب"، و"مسائل الحدِّ من التسلُّح"، و"الاستراتيجيات البديلة"، أو "الرأي العام". (إنه ليس غبياً، ومع ذلك فإنه مسلم!)

وقد نقلهم الاستطلاع وحبُّ الفضول إلى المرحلة التالية. فكانوا يسألون مثلاً: "ماذا ـ بحق الجحيم ـ [أستغفر الله العظيم] دفع بك إلى الإسلام؟"

وكان هذا يقود عادة إلى المرحلة الثالثة من المحادثة التساؤلية التي تتميز بأنسامٍ من التمييز العنصري والمخاوف الدفينة المبطنة عن الإسلام.

وإليكم بعض "الكليشهات" المألوفة جداً: "الحرب المقدسة" [الجهاد]، "تعدد الزوجات"، والخميني".

وكنت أحاول بصبرٍ بالغ أن أشرح لهم أن: "الحرب المقدسة" هي مصطلح غربي. وأما المفهوم الذي يشير إليه هذا المصطلح فهو "الجهاد"، والذي يعني أصل جذر الفعل منه "المحاولة الأخلاقية الفاضلة". كما كنت أشير (بملاحظة ناقدة إلى الصليبيين والحملات الصليبية) إلى أن الآية ٢٥٦ من سورة البقرة، تقضي بأنه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾، وهذا خاص فيما يتعلق بأمر الدِّين والإيمان.

ولا شك أنني أعترف حالاً أن الاختلاف الديني بين السُّنة والشيعة قد يتباعد أكبر بكثير مما هو عليه الحال بين الكاثوليك والبروتستانت.

فعندما أتحدث عن قوانين الزواج الإسلامي فإنني ألفت انتباه ضيوفي إلى إمكانية حجب الزوجة لأقرب قريبة [الأخت] بموجب عقد زواجها. كما أؤكد لمستمعيَّ أيضاً أن في المجتمعات المعاصرة البالغة الحساسية الآن سيكون بمنتهى الصعوبة الالتزام بالشروط التي أملاها القرآن الكريم عن تعدد الزوجات، كما هي الحال في الآية ١٢٩ من سورة النساء: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ﴾.

وعادة ما تنتهي مثل هذه المحادثات على الموائد بالتعادل. وما الذي أريد أن أحصل عليه في هذه العجالة سوى أن أحرز تقدماً ولو بسيطاً جداً في أن يزداد احترام غير المسلمين لهذا الدين، ولو بشيء يسير؟

ومع ذلك، فإن الزوار الشباب هم أكثر انجذاباً وتعلقاً إلى عناصر معينة من هذا الدين: وهو أن يتمكن المسلم من مقابلة ربه ﷻ، متحرراً ودون أي تدخل وواسطة من رجال الدين. ولا عجب في هذا على الإطلاق. إن

لهؤلاء الشباب أهدافاً خاصة يسعون إلى تحقيقها فيما يتعلق بالعبادات والطقوس، والتقاليد الرسمية، والهياكل البيروقراطية.

ومهما كانت الفرص أمامي صغيرة جداً، فإنني لم أيأس من أن يتأثر بعض ضيوفي، من خلال المحادثات على مائدة الغداء، ببعض اللمحات الروحانية الرائعة من الإسلام، وأن يدركوا أن هذا الدِّين العظيم يمثل ذروة الذكاء البشري وأرقى ما توصلت إليه الأخلاق.

والله أعلى وأعلم.

الإنجيل، والقرآن الكريم والعلم

بروكسيل ـ ١١ نيسان/أبريل ١٩٨٥

إن كتاب موريس بوكاي *Maurice Bucaille* " الإنجيل، والقرآن الكريم والعلم"، والذي يحمل عنواناً ثانوياً هو: "الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث"، لا يعدو أن يكون تأكيداً ملحوظاً لمصادر الإسلام. لقد أخفق كثير من اليهود الملتزمين في أن يدركوا الكمَّ الهائل من الكتابة الأدبية التي وضعها البشر في "العهد القديم" بحيث أصبح من المستحيل تقريباً تنقية ما يمكن اعتباره من "الوحي" السماوي منه.

ويمكن أن نقول الشيء ذاته عن النصارى أيضاً. ويبدو أنهم يعانون من عقبةٍ ذهنيةٍ عندما يُواجهون بالحقيقة القائلة: "إن العهد الجديد، بما يحتويه من الأناجيل الأربعة، ليس نقلاً دقيقاً لما رأته عيون الكتَّاب وشهدوه في كثير من الأمور الواردة فيه، بل هو تعليقات منقولة عن أشخاص آخرين لم يشهدوا من قال النص الأصلي أو تلقاه كوحي من السماء". إن التفسير الذي تقدِّمه النصرانية اليوم عن دور عيسى عليه السلام والذي يُعَدُّ تفسيراً نموذجياً للنصارى المعاصرين، إنما اقترحه الموالون للهيلينستيين من أتباع مذهب المغالي القديس بولس، والذي سيطر عليهم كل من الغنوطسيين والأفلاطونية المحدثة. ولقد كانت هذه الزمرة ناجحة جداً بحيث تمكنوا من دفع مناوئيهم من اليهود ـ النصارى، خارج حدود الذاكرة، وليس خارج حدود مسرح الأحداث فحسب.

وقد عدَّد بوكاي أولاً كثيراً من الحالات التي يتناقض فيها الإنجيل مع الحقائق العلمية الثابتة، كتسلسل أعمال الخلق، مثلاً، ونسب عيسى عليه السلام،

وتواريخ أحداث تاريخية محددة. ويذكر بعد ذلك المغالطات المشهورة بين مختلف فرق الإنجيليين فيما يتعلق بالبعث وتضحية القربان المقدس.

ويعترف بوكاي أنه كان مدهوشاً جداً عندما اكتشف للمرة الأولى أنه لا يمكن أن يهاجم القرآن الكريم بناء على دقة المعلومات العلمية الموجودة فيه كما هي الحال في الحالات المماثلة في الكتب السماوية الأخرى. كما ازدادت دهشته عندما وجد أنه، على النقيض من ذلك، لا توجد في القرآن الكريم عبارة واحدة تهتز أمام التحديات العلمية، سواء أكانت تتعلق بالكون، أم الوراثة، أم البحث في أعماق البحار والمحيطات. بل إن القرآن الكريم يتحدث بدقة متناهية عن تفاصيل مراحل تطور الأجنة، بل لقد تحدث القرآن الكريم عن حقائق لم تُكتَشف إلا خلال وقت قريب بفضل المجاهر الدقيقة جداً التي تستعمل داخل الرحم.

ويختتم بوكاي تأكيداته قائلاً: "في اعتقادي، إنه ليس هناك تفسير طبيعي للقرآن الكريم". كما أن المؤلف، من جهة أخرى، وجد من الأحاديث الضعيفة والموضوعة المنسوبة إلى رسول الله ﷺ، والتي تتحدث عن بعض الأمور العلمية التي لا معنى لها، مما يقوي تأكيده على صحة ما وجده.

وكذلك، فإن بوكاي، كما كان محمد إقبال قبله، كان تواقاً جداً أن يكتشف المزيد من البراهين عن الحقائق العلمية الموجودة في القرآن الكريم التي توقع المرء في الفخ الذاتي. فمثلاً، عندما وجد تنبؤاً عن رواد الفضاء المعاصرين وعن البحث في مجال الفضاء، كما هو الحال في سورة الرحمن ٣٣/٥٥: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ۝٣٣﴾، فإنه لم يجد سوى ما استودعه هو من خلال إعادة تعريف المصطلحات. وقد يؤدي هذا الأسلوب إلى خطرٍ كبير إذ قد يعتقد بعض قرَّاء القرآن الكريم أنه قد يعالج الأمور العلمية على أنها

وحيٌ، ولا يتذكرون أن الحقائق الدينية، غير العلمية، هي الأخرى صلب اهتمام الوحي في الموضوع. إن الاكتشافات العلمية لا يمكنها أن تنفي صلاحية الوحي الأصيل، إلا أن القرآن الكريم ليس كتاباً مختصراً وافياً للفيزياء، وعلم الأحياء، والكيمياء.

الإسلام والإجهاد

بون. ١٤ حزيران/يونيو ١٩٨٥

التقيت أثناء مهمة في بون بأحد أصدقائي القدامى، الدكتور ألويس ميتيرز، وهو وزير دولة في مكتب الخارجية. وبما أنه كان مستعبداً تماماً لمواعيده، فكان يجب عليه أن يندفع بعد دقيقتين فقط من المحادثة معي. وبلغني أنه فقد الوعي في اليوم التالي مباشرة، وخرَّ ميتاً.

هل كان هذا بسبب الإجهاد الشديد؟

تستخدم اللغات الغربية جميعها حالياً هذا المصطلح وكأنه يصف، بمفرده، الأضرار الناتجة عن الحياة المدمرة للإنسان. ومع ذلك، فإن النموذج الأصلي للإنسان المعاصر، مدير الأعمال، لا يعمل أكثر مما اعتاد الناس أن يعملوا في الأوقات الماضية. والجديد الذي يجعل الإجهاد ظاهرة معاصرة هو شعور الإنسان المعاصر أنه غير قادر على التماشي، والعيش تحت ضغط مستمر لتحقيق المزيد من الإنجازات. إن كثيراً من أهل الغرب لا يرون أمامهم إلا خياراً واحداً فقط: "قاتلْ أو اهربْ". إنهم لم يعودوا قادرين على إدراك أن هناك خياراً ثالثاً وهو: "الانسياب".

إنهم أثناء قتالهم للحصول على المزيد من الأموال والنجاح (وضد الوقت، والظروف، ومديريهم)، فإن الأنواع الإدارية تصبح على صراع مع حدود إمكاناتها الجسمية الخاصة بحيث تستخدم مختلف أنواع المخدرات: الكحول، والسجائر، والمهدئات، والحبوب المنومة. وإن النتائج المتوقعة لهذا التعاطي الخاطئ هو دمارٌ مروعٌ للجسم البشري: للقلب، والرئتين، والكبد، وجهاز الدوران، والجهاز العصبي، حيث تصبح جميعها في وضع

رهيب. ولهذا، فإن الأطباء المعتدلين العاقلين يطلبون من مرضاهم التوقف عن تناول المسكرات، والكف عن التدخين، والتوقف عن تناول الكثير من الحبوب والأدوية وأن يلجؤوا إلى تهدئة أعصابهم من خلال "التأمل الفائق العميق".

إن هذه الظاهرة كلها بالنسبة لي هي دليل آخر على أن طريقة الحياة الإسلامية حسب ما وهبه الله للإنسان من طبيعة، وأن الإسلام بحد ذاته هما الحل الأنسب لكافة المشاكل والمعضلات الصحية المعاصرة. بل إنني لا أعدو الحقيقة إذا قلت إن المسلم الحقيقي لا يمكن أن يكون شخصية مجهدة، والعكس أيضاً صحيح. ولنتأملْ ما يلي:

الكحول؟	ممنوع
النيكوتين؟	شبهة عالية جداً بسبب الأضرار والمخاطر بما يسببه من إدمان.
الكولسيترول؟	دون تناول لحم الخنزير، هو مشكلة يمكن التغلب عليها.
زيادة الوزن؟	يتم إنقاصه بصيام شهر رمضان.
الخوف من الفشل؟	الله أكبر! كل ما يعني المسلمَ هو حُكْمُ الله ﷻ.
التأمل الفائق العميق؟	ماذا تعني الصلوات الخمسُ غير ذلك؟
الوقت مالٌ؟	ليس هذا المبدأ للمسلم.
اللياقة البدنية؟	صلاة المسلم لها هذه الآثار الجانبية.
تنشيط الدورة الدموية؟	إن الوضوء للمسلم هو منشط طبيعي للجملة والجهاز العصبيين.

أليس في هذه القائمة دليل وبرهان على أن الحياة طبقا لمبادئ القرآن الكريم والسنة المطهرة هي حياة صحية تماماً، وسبب آخر أن نرى الإسلام

على أنه علاجٌ ناجعٌ، ودون أدوية، للمشاكل الهيكلية الأساسية للمجتمع الصناعي المعاصر؟

وبما أني أعمل في مجال الإدارة شخصياً فإنني أدرك تماماً ما أقول. إلا أنني مدير [من نوع آخر] لأنني أحمل "سجادة الصلاة" في حقيبتي [أينما ذهبت].

أتاتورك وغيره من الأشخاص الغريبي الأطوار

آيفاليك . ١٩ تموز/يوليو ١٩٨٥

تنتشر كلمة على الأفواه بأن هناك معجزة حدثت. وهذا هو الواقع. فلو أنك ركبت السيارة من إيدريميت على محاذاة بحر إيجه باتجاه آيفاليك، قرب جوميك، لرأيت بعيني رأسك، أن الصورة الظلية لسلسلة الجبال الموجودة على الجانب الأيسر من الطريق تشبه رسماً مظللاً لأتاتورك!

ولا يسع المرء إلا أن يهنئ مؤسس تركيا الحديثة على هذا المنظر الخاص الذي يشبه مظهرُه المتجهم القاسي إلى حد بعيد. ويتوقع الناس أن تحدث هذه الظاهرة من جديد في مناطق أخرى من البلاد. ويبدو أن مصطفى كمال قد بدأ مهنة ثانية: التقديس. فهل يبلغ بنا الأمر يوماً ما أن يكون لدينا حضرة (القديس) أتاتورك؟

لقد مكنني هذا الأمر من أن أفهم بشكل أفضل رفض الإسلام وعدم قبوله للأصنام المنحوتة التي توضح أشكال البشر، فإن المرء لا يعرف المهنة التي سيتخذها هؤلاء.

على مقربة من آيفاليك، وفوق خليج يكاد يكون مفصولاً تماماً بالبحر، ولهذا السبب يسمونه "البحر الميت" [أولو دينيز]، يأتي السوَّاح زرافات ووحداناً متجهين صوب صخرة ناتئة تسمى: "منبر الشيطان"، حيث ترك مُوقِعُ الشقاق ومُسبِّبُ الأذى بين الناس طابعاً فعلياً على شكل الحافر (حافر الفرس)، بقدرٍ يمكِّنكَ أن ترمي قِطَعَ نقود معدنية لتقع فيه.

حقاً، إن كل هذه الأمور مضحكة جداً وفي منتهى السخافة. وكلما تضاءل إيمان الناس بوجود الشيطان [إبليس] ازدادت شهرته بينهم. ولهذا السبب فقد أثنى الشاعر الفرنسي بودلير على "لوسيفر" قائلاً: "إن القطعة

الفنية الرائعة لإبليس هي أن تحاول إقناع الناس بعدم وجوده!" (ويمكن أن نقول الشيء ذاته، باعتقادي، عن الاستخبارات المركزية السوفييتية - سابقاً - [كي جي بي]!).

يجب أن يدرك المرء أن الشيطان، الذي كان من الجن وفسق عن أمر ربه فسقط في الخطيئة، ينظر إليه المسلمون على أنه "مُغْوٍ" فقط ليس إلا، وليس كما هو الحال في الخرافات الفارسية والألمانية على أنه قوة معاندة لله ﷻ. ومهما كان الأمر، فإنه يجب على كل من يقرأ أي آية من القرآن الكريم (وكذلك في بداية كل صلاة) أن يسبقها بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

وبعد فترة سباحة في "البحر الميت" [أولو دينيز]، حيث لم تقلَّ درجة حرارة الماء عن 32 رغبنا أن نزور المسجد الكبير في آيفاليك، والذي كان سابقاً كاتدرائية لليونان الأرثوذكس. وعلى خلاف التقاليد الإسلامية، فقد كان المسجد مقفلاً. وحتى لو لم يفترض على المسلمين الصلاة (بل المطلوب منهم العمل) ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر (أي خلال فترة تتراوح ما بين ٦ - ٩ ساعات)، وعلى النقيض من الكنائس البروتستانتية، فيجب أن تبقى المساجد [نظرياً] في الواقع مفتوحة عادة خلال هذه الفترة من النهار.

وقد حدث لنا مثل هذا - أي أننا لم نستطع الدخول إلى المسجد خلال هذا الوقت من النهار لأنه مقفل - للمرة الأولى قبل أسبوع في أسكندر، حين حاولنا زيارة الجامع الأزرق المشهور، إلا أنه مخفي عن الأنظار، والذي يتميز ببورسلانه الأزرق العتيق الذي يفوق عمره أربعمئة سنة. وكان العذر في كل مرة واحداً: الخطر من سرقة السجاد. ولا شك أن لهم الحق، كل الحق في ذلك، ولكن، أليس من الظلم أن نحول دون دخول المؤمنين إلى بيوت الله؟ أليس من الأفضل أن نزيل كل المقتنيات النفيسة المبالغ في قيمتها ونترك المساجد مفتوحة ليدخلها عباد الله؟

الحنين إلى الوطن في "أسكندر"

أسكندر. ١٠ آب/أغسطس ١٩٨٥

لو أن المرء تسلق منحدرات البوسفور إلى ارتفاع كافٍ قريباً من أسكندر، ليجدَّن أمراً عجيباً بديعاً: تكية أعيد ترميمها تعود لمسلمين من أوزبكستان كانوا ينتمون إلى الطريقة النقشبندية، وهي طريقة صوفية من آسيا الوسطى أحسنتْ وصفها الأستاذة الدكتورة آنميري شايميل في كتابها: "الأبعاد الرمزية للإسلام". وقد أصبحت هذه التكية اليوم جزءاً من الأوقاف الإسلامية الموجودة تحت إدارة مشايخ النقشبندية الذين يحملون اليوم اسم عائلة "أوزبيك".

ويتم ترميم الأبنية بالتتابع، واحد بعد الآخر. وهناك مساكن للرجال مفصولة تماماً (إلا أنها متصلة بشكل جيد) مع مساكن النساء، وهناك مسجد صغير، ومطبخ واسع، وفناء داخلي رومانسي [رائع] يشتمل على نافورة وحوض ماء [بركة ماء "بحرة" صغيرة]، وإلى جانب هذا مقبرة متنامية بشكل مستمر للمشايخ المتوفين، وهي جزء لا يكتمل المنظر إلا به.

ولو أن هناك جواً يشيع السلام والطمأنينة، فإن هذه الأمور مجتمعة تبعث على ذلك. إن مجرد زيارة هذا المكان تبعث على التأمل والتفكر. إنه مكان منعزل تماماً عن العالم المزدحم. إنه يقف وحيداً، في معزل عن الزمان.

لقد اتضح لي أن هذا الجو الشاعري المريح الباعث على الطمأنينة والسلام والبهجة هو ما يرجوه كل مسلم لأخيه المسلم عندما يحييه قائلاً: "السلام عليكم"!

كيف نتعامل مع الموت؟

أسكندر ـ ١١ آب/أغسطس ١٩٨٥

تُعْتَبَرُ مقبرة كراكا أحمد ميزاريجي *Karaca Ahmad Mezarigi* أكبر مقبرة في الشرق، إن لم تكن أكبر مقبرة في العالم، وهي تغطي أكثر المنطقة السهلية المشجرة الواقعة فوق أسكندر. كان كل ما يمكن أن تشاهده في حقل واسع يغصُّ بأشجار السرو على امتداد أميال، هو القبور على امتداد النظر، وكلها مرتبة على نسق واحد، وهو الوضع الذي يسجى فيه الميت على جانبه الأيمن، ووجهه باتجاه القبلة إلى مكة المكرمة. وعلى هذا، فإن هذا الترتيب المتوازي لهذه القبور ينقطع بالطبع خلال المنحدرات الطبيعية وينتج عنه منظرٌ له نسقه الخاص ونقشه المتميز: وكأن هناك مغناطيساً هائلاً يوجد في مكة يجذب إليه، كل شيء بالطريقة ذاتها بتركيز شديد.

كما أن هناك فارقاً نظرياً جوهرياً ثانياً بين هذه المقبرة الإسلامية، ومقبرة الكنيسة النصرانية: الغياب الكامل للتماثيل والأنصاب [المعالم التجسيدية التذكارية من الحجارة والرخام والخشب وغيرها] (علماً بأن الأتراك متسامحون ومتساهلون أكثر من أبناء عمومتهم العرب فيما يتعلق بالرخام).

إن التباهي أو التفاخر بالحداد على الأموات، أو الندب والنوح المبالغ فيه والذي يخرج عن نطاق السيطرة، وشدِّ الشعر، وتمزيق الملابس، ووضع الشواهد والأحجار على القبور لأي سبب من الأسباب، واعتبار الطبقات بشكل أبدي لبعض أبناء الطبقات الراقية في المجتمع بعد الموت، كل هذه

الأمور سلوكيات ليست من الإسلام في شيء، ولا يقرها الإسلام بتاتاً. وقد يتجرأ بعض المراقبين الغربيين على تقديم تفسير مغلوطٍ لهذا الضبط السلوكي والانضباط البشري في حالة الحزن على أنه انعدام العاطفة تجاه الميت. كما أن الصبر الذي يرتسم على وجوه المحزونين الملتاعين بفقد حبيب وعزيز وغالٍ قد يختلط أمره على من يراه فيحسبه من قسوة القلب. وكأن دفن الملك المحبوب ابن سعود عام ١٩٥٣ في قبر ليست عليه أي علامات الأبهة والعظمة والفخامة أو التمييز في مقبرة لعامة الناس، كأن ذلك تعبيرٌ عن عدم احترام وتقدير وإعزاز لهذا الملك لدى السعوديين. لا، بكل تأكيد. إن التفسير الصحيح لهذه الظواهر هو في منتهى البساطة: إن المسلمين الذين هدتهم عقيدتهم ألا ينجرفوا في أي تيار مخالفين عقيدة التوحيد، ولذا فقد أصبحت طبيعة ثانية لهم ألا يجنحوا أو ينزلقوا إلى تقديس الأشخاص أصحاب البطولات من الأموات، إذ إن هذا من الأمور السلبية التي لا يقرُّها الإسلام ولا يؤيدها على الإطلاق. وهم بهذا يريدون أن يؤكدوا أنه حتى عند موت العباقرة، والأنبياء، والصالحين الأولياء، فإن هؤلاء لن يشاركوا الله ﷻ في عزته وجلاله ومجده، فهو الحاكم الذي لا يحتاج إلى شركاء، [وهو أغنى الشركاء عن الشرك].

ومن ناحية أخرى، فغالباً ما يبالغ الغربيون في تقدير الخلافات بين الأمور الجمالية والإيمان بالأخرويات، كالبعث والحساب بين النصرانية والإسلام. نعم، إن كلا الديانتين على علمٍ بأنَّ: "الآخرة هي في اقتراب مستمر، كما أن الدنيا في انقضاء مستمر هي أيضاً" (كما يقول الشيخ عبد القادر الصوفي). وكما هي حال كل نصراني ملتزم، فإن المسلم الملتزم أيضاً يعدَّ نفسه يومياً للموت، بل إن هذا الموقف للاستعداد قد أصبح جزءاً من العقيدة الإسلامية يتمثل في الاستعداد لأداء فريضة الحجِّ، حيث يقف الحاجُّ وقفة رمزية طويلة تستمر سحابة اليوم في "عرفة"، يوم "عرفة".

وقد امتلأ القرآن الكريم بأوصافٍ مجازية كثيرة عن الجنة والنار والجحيم، كما أضاف رسول الله محمد ﷺ، إلى الإيمان بالأمور الأخروية التي تتعلق بالآخرة ما رآه ﷺ في رحلة الإسراء إلى بيت المقدس، والمعراج إلى السماء.

وكأن كل هذا ليس كافياً، (وكأنه يمكن أن يعرف الإنسان المزيد)، وقد تأمل علماء الصوفية الأتقياء في التفاصيل الدقيقة الرائعة في معنى هذه المفاهيم الرمزية وظروفها كالصُّورِ (الذي سيُنْفَخ فيه من أجل يوم الحساب)، والصراط الدقيق أو الجسر الضيق (الذي لا بد لكل شخص من العبور عليه كي يصل إلى الجنة). وقد نشر عبد الرحيم بن أحمد القاضي عام ١٩٨١ كتاباً عن "كتاب الإسلام عن الميت" تجرأ فيه على صورة تجسيدية دقيقة لما يمكن تسميته "جغرافية ما وراء الحياة".

ومع كل ذلك، فليس هناك أي شطحات من الخيال مهما كان مبلغها ومقدارها يمكن أن تقود عقلاء المسلمين أن يعتقدوا أن أمثال هؤلاء الكتَّاب والمؤلفين يمكن أن يكونوا مدركين لما يقولونه من قولٍ جزافٍ. وإن كل ما يكتب في مجال "الكتب عن الميت والأموات"، بغضِّ النظر عن النوايا الحسنة لكتَّابها وتعليمات سفرها للمرور بين الحياة والموت والبعث، لا تمثِّل سوى عجزنا عن فهم المزيد عن الحياة بعد الموت، أكثر مما أعلمنا عنه الوحي المطهر بشكل لا حيرة فيه.

أجل. أود أن أقف على أرض صلبة.

إن "كتابي عن الموت" هو السورة السادسة والثلاثون من القرآن الكريم، سورة "يس".

لقاء مع محمد أسد

لشبونة. ٢١ أيلول/سبتمبر ١٩٨٥

انتظرنا بتلهف وشوق في فندق تيفولي لشبونة وصول محمد أسد وزوجته الأمريكية بولا حميدة. وأخيراً، وصل يقود سيارته بنفسه، وهو ابن الخامسة والثمانين. وبدأنا حديثنا أولاً بالألمانية، وهي اللغة التي كان يتكلمها في شبابه، ثم تكلمنا بعد ذلك بالإنجليزية. ولكنه بدا مستعداً أن يبدأ محادثة باللغة العربية، أو الفارسية، أو الفرنسية، أو البرتغالية، أو الإسبانية، أو الأردية.

وقد سألت أكبر عدد ممكن من الأسئلة التي يمكنني أن أوجهها دون أن أكون وقحاً، للتعرف على المزيد من الإنجازات العلمية والأدبية المدهشة التي حققها محمد أسد للإسلام خلال جزء كبير من هذا القرن. كما ذكَّرتُه بأمله الذي عبَّر عنه عام ١٩٣٠ بأن الإسلام سيملأ الفراغ الذي سيتركه غياب كل من المبادئ الغربية والوجودية الشيوعية عن مسرح الحياة عندما يعلنان عن إفلاسهم الروحي.

لقد كانت توقعاته صحيحة جزئياً؛ وذلك لأن كلا النظامين المشار إليهما هما في انحطاط وتدهور مستمرين. إلا أنه خلافاً لتوقعاته، لم يعترف الناس بالإسلام بديلاً عنهما؛ وذلك لأنه لم تتمكن دولة إسلامية واحدة على الإطلاق من أن تتطور بشكل ملحوظ في العالم الغربي على أنها نموذجٌ جذابٌ ومثالٌ يُحْتَذَى وأنموذجٌ يمكن اتباعه وتقليده. أي: على النقيض تماماً.

ومع ذلك، فحتى في هذه السنِّ المتقدمة، فإن محمد أسد لم يستمر في تمنياته، ولا في قسوته ومرارته. كانت عيناه يقظتين ووثابتين، وكان تحليله معقولاً وحكيماً كما كان طيلة حياته. ولو أن هناك شيئاً يُذْكَرُ عن هذا المتحدث الأنيق اللبق المهذب الذي أطلق عُثْنُونه (لحية صغيرة مشذبة أو سكسوكة) فإنه سيكون الخلاف بين مساهمته الهائلة في إحياء الإسلام من جهة، وتواضعه، والطمس الكامل للأنا لديه، وطيب قلبه تجاه الآخرين.

ويعتقد محمد أسد دون أدنى شك أنه لا بد من عمل المزيد والمزيد قبل أن تصبح البشرية على مستوى العالم جاهزة لمواجهة تقدم استراتيجي للإسلام؛ وإنه يتوقع مني أن أتحمل بعض أعباء هذه المهمة الجليلة.

ويقول ربنا ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢/١٥٣]، وليس عليه سبحانه وتعالى أمر مستحيل.

أبعدوا أصابعكم عن القرآن الكريم

لشبونة ـ ٢٢ أيلول/سبتمبر ١٩٨٥

لقد تمَّ بناء مسجد لشبونة التذكاري ـ *Bauhaus* هو مستلهم من مسجد أحمد بن طولون في القاهرة وإعادة تفسير له ـ مقابل متحف جولبنكيان *Gulbenkian* تماماً (والذي تُعْتَبَرُ مقتنياته الرائعة من الفن الإسلامي أمراً حتمي الزيارة).

ويعيش حالياً أكثر من ١٥٠٠٠ خمسة عشر ألف مسلم، معظمهم من الإسماعيلية من موزمبيق، في البرتغال. (ويجب على المرء أن يعود سبعة قرون إلى الوراء ليجد عدداً أكبر من هذا العدد ممن يقيمون في هذه البلاد).

وأثناء اتجاهي إلى بسطة الكتب الموجودة في المسجد، اعترضني شاب تعلوه سيماء الانزعاج. لقد أخطأ على ما يبدو عندما نظر إلى شكلي، فحسب أني سائحٌ "نجِسٌ" غير مسلم ممن يجب ألا يلمسوا القرآن الكريم بأيديهم.

ويقتضي فهم هذا الانفعال المدافع والحامي أن يعرف المرء أن النبي ﷺ قال: "الطهور شطرُ الإيمان". وبالتالي، فحسب التقاليد الإسلامية، يجب ألا يقرأ المسلمون القرآن الكريم ما لم يكونوا على طهارة ووضوء (وهي الطهارة الفعلية الحقيقية تقريباً). وقد اعتاد النصارى أن يتعاملوا مع كتابهم المقدس بمثل هذا الاحترام، وذلك عندما كانوا يحترمونه بطريقة مشابهة.

ولما أدرك إخواننا من موزمبيق أن الحالة لم تكن كما توقعوا، وأنهم أخطؤوا في هويتي، حاولوا كل ما وسعهم أن يجعلوا إقامتنا في لشبونة أسهل وأمتع ما يكون. إخاء لا متناهٍ وبلا حدود.

مشية طويلة خلال المعاهد...

رحلة تي دبليو إيه رقم ٨١٥ . ٩ تشرين أول/أكتوبر ١٩٨٥

لقد كان لدي متسع كبير من الوقت الخالي من الإزعاجات خلال رحلتي الطويلة التي تبلغ مدتها خمس عشرة ساعة ما بين بروكسيل وسان فرانسيسكو (حيث يعقد حلف شمال الأطلسي اجتماعات مجلسه)، وذلك لأقرأ ما يمكنني عن تطور الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية. أجل، إنه تاريخ لتَحَوُّلٍ ملحوظ.

ففي عام ١٩٣٢ أنشئت حركة المسلمين السود في ديترويت من قبل [مدَّعٍ للنبوة] اسمه أليجا محمد، وكانت منظمة شبه عسكرية، قاسية، عنصرية، ضد العرق الأبيض. وقد تابعت منظمة "أمة الإسلام" أهدافاً سياسية استقلالية. إلا أن من الأمور الغيبية المقدرة، أنه حتى الأشخاص الناشطون سياسياً، يتحولون إلى مسلمين متدينين بعد زياراتهم ودراساتهم في مكة المكرمة. وقد حدث هذا للشخص المشهور/المجهول مالكوم إكس *Malcom X* [مالك شاه باز] (الذي اغتيل عام ١٩٦٥)، ولشخص ثوري آخر ذي سجل إجرامي مثل: راب براون *Rap Brown* (والذي يُعْرَف حالياً باسم: جميل عبد الله الأمين)، وابن أليجا نفسه؛ والاس محمد *Wallace Muhammed* [وارث الدِّين محمد].

فبعد أن قاد والاس محمد نفسه المسلمين السود عشر سنوات، استخلص النتيجة الصحيحة، وأدهش كل من حوله، في الذكرى العاشرة لتوليه السلطة (٢٠ نيسان/أبريل ١٩٨٥) إذ قام بحلِّ منظمته على أساس أنها "غير إسلامية". وطلب من إخوانه السود أن يصبحوا جزءاً من المجتمع

الأمريكي المسلم، سواء أكانوا بيضاً أم سوداً، وذلك على أساسٍ من القرآن الكريم والسنة المطهرة فقط!

ولقد كان متوقعاً ألا يتبع كافة "المسلمين السود" الطريق ذاته. ولقد كان هذا التَّحَوُّل في الأحداث ثورياً جداً لكثير منهم؛ ولهذا السبب بالذات، فقد أنشأ المتعصبون جداً للسُّود، وعلى رأسهم "لويس فرخان"، جماعة لهم باسم: "أمة الإسلام"، وقد أسستْ هذه الجماعة على كراهية عدوانية ضد السامية.

ولقد تأثر الاتجاه الإسلامي المعتدل بالطبع نتيجة هذه التطورات، إلا أن المستقبل هو مع غالبية المسلمين الأمريكيين السود، الذين يتجهون أكثر فأكثر إلى المصادر الحقيقية الصحيحة للإسلام. وإن أعداداً لا تحصى من نسخ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية تُوزَّعُ مجاناً من قبل "منظمة تحريك ترسيل القرآن الكريم" التي لا يتجاوز عمرها خمس سنوات.

وأين يمكن أن يجد المرء، طبعاً، أفضل موزِّعٍ للكتب الإسلامية المتنوعة عن الإسلام والعالم الإسلامي، ذات أفضل ثروةٍ ومخزون "نيو إرا ببليكيشنز" *New Era Publication*، إلا في مدينة آن آربر - ميشجن، وهل يمكن أن يوجد في مكان آخر؟

مسلمون سود، وإمام أبيض!

سان فرانسيسكو - ١٠ تشرين أول/أكتوبر١٩٨٥

لم أجد رداً عندما سألت عن مسجدٍ في المدينة عندما سألت استعلامات الفندق الذي نزلت فيه سوى حركة بالكتفين تدل على النفي وعدم المعرفة التامة بما كنت أسأل عنه. بل، إن كل ما قدموه لي هو قائمة بأسماء أربعة وعشرين كنيسة من المذاهب غير المعروفة. وكان الإسلام هو الوحيد الذي لا وجود له هنا. إلا أننا لا نيأس بسرعة، فقد وجدنا اسماً لمركز إسلامي عنوانه ٨٥٠ شارع ديفاساديرو - تقام الصلاة يومياً الساعة الواحدة، وتقام الصلاة يوم الجمعة الساعة الثانية عشرة ظهراً. (وكانت هذه طريقة غريبة لنسخ نماذج إعلان الكنائس النصرانية، وموعداً محدداً للصلوات).

لم يكن "حمَّال الأمتعة" مرتاحاً جداً عندما وصف لنا موقع المسجد، وكان كل ما استطاع أن يقوله: "لا تمشوا على أقدامكم هناك. وإذا كان لا بد من زيارة هذا المكان فاركبوا سيارة أجرة، ولا تذهبوا في أي وقت سوى خلال ساعات النهار." وهذا يعني إنذاراً: "انتبهوا! إن هذا المكان هو حي أقليات سود!".

بالطبع، إنني أمشي دائماً ميلين أو ثلاثة أميال، في الاتجاه الغربي، بدءاً من شارع "جروف"، وبعد ساحة "آلامو"، حيث يقودني هذا المسير إلى حيٍّ يقطنه موسرون من السود طيبو المعشر، وبشوشون، ويشاركونني الاستمتاع بيوم مشرقٍ آخر تحت سماء كاليفورنيا.

وجدت أربعة أشخاص سودٍ فقط اجتمعوا لأداء صلاة الظهر في المركز الإسلامي: أحدهم رجلٌ طاعن في السن، أبيض الشعر، يحاول جاهداً قراءة

القرآن الكريم والنطق بالعربية بشكل سليم، أدرد [ليس له أسنان] قعيد الدار [متقاعد]، يعاني من الروماتيزم لا يستطيع الركوع أو السجود [بشكل سليم]، والذي اكتشفتُ فيما بعد أنه "المؤذن"، وشخص يُدعى "يوسف سايمون" وهو طالب شاب شيعي شديد الذكاء يدرس في قسم العلوم السياسية. وقد صور حالة التمييز الثلاثي بمسحة من المداعبة قائلاً: "كأبيض وسط السود، ومسلمٍ بين النصارى، وشيعي بين أهل السنة".

وقد استغربت أن يبدأ المؤذن "أذانه الأول" بالإقامة، والثاني "بالأذان". ولم يكن لدي أدنى شك عن كيفية أداء بلال ﷺ، (الذي كان أول مؤذنٍ في الإسلام، وهو أسود حبشي أيضاً)، وكيف أن طريقة الأذان انقلبت رأساً على عقب، فلم أتمالك نفسي من أن أشير إلى هذا الخطأ بمنتهى الأدب واللطف الذي استطعته.

وقد كانت النتائج غير متوقعة، إلا أنها منطقية: لقد قررت هذه الجماعة الصغيرة أنني كنت "أعلمهم"، ولذا فقد قدَّموني، وأنا رجلٌ أبيض قادمٌ لهذا المسجد لأول مرة، ولا يعرفون من أين أتيت، قرروا أن أكون إمامهم اليوم. وهكذا، فقد فوجئت لأول مرة في حياتي أقف مباشرة في المحراب لأقود أبناء البلاد [من المسلمين] في الصلاة، وبالطبع، لم أبدأ الصلاة إلا بعد أن تأكدت تماماً أن الجماعة المؤلفة من أربعة أشخاص والتي أؤمها قد سوَّتْ الصف...

وخلال عودتنا بالباص، ناقشت أنا ويوسف بحرارة أصول الخلافات الشخصية التي أدت إلى ابتعاد فاطمة عن [أم المؤمنين] عائشة، رضي الله عنهما، وهيأت أسباب انفصال الشيعة في وقت لاحق. ألا يعلمون أنه ليست هناك حواجز عنصرية بين المسلمين؟ أم أنهم لا يستطيعون أن يصدقوا أن النساء لعبن أدواراً متميزة ونشطة في العصور الإسلامية الأولى؟

ما لا يمكن أن يكون حقيقة، لن يكون حقيقة؟!...

أوسلو ـ ٢٨ تشرين أول/أكتوبر ١٩٨٥

كان لي الشرف أن ألقي محاضرة حضرها جلالة الملك أولاف الخامس، ملك النرويج عن حلف الناتو "حلف شمال الأطلسي"، على أنه "جماعة ذات قيم"، في الجمعية العسكرية في أوسلو. وعلى غير المعتاد، فقد قدَّمني منظِّم الحفل بناء على السيرة الذاتية التي أعطيتها له. وعلى غير المعتاد أيضاً، فقد قفز المقدم في عرضه عن حقيقتين: الأولى "ديني" والثانية "منشوراتي في الموضوعات الإسلامية".

وقد حصل الأمر ذاته منذ أسبوعين عندما قدمت محاضرة في دينفر في ولاية كولورادو الأمريكية (إلى لجنة العلاقات الأجنبية) في جامعة القديس جون الراهب البنيديكتي القريبة من مدينة مينيابوليس في أمريكا. وقد ذهب عريف الحفل في التحريف أكثر مما فعله القديس بولس حيث حرَّف سيرتي الذاتية مدعياً أنني "أبدي رغبة في الإسلام!".

لماذا يا ترى يلعبون هذه اللعبة "الطميمة أو الاستغماية"؟ هل يفترض المضيفون الذين يستضيفونني أن كلمة "الإسلام" في الوثائق التي أقدمها هي "غلط طباعي"؟ هل يعتقدون أن ديني الذي أعتقده وأومن به هو انحراف وزيغ وضلال مخجل لهم؟ لأن ما لا يمكن أن يكون حقيقة، لن يكون حقيقة؟

وحدة الوجود، وهيجل، والغنوطسية يقولون لبعضهم: مرحباً!

بروكسيل - ٢٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٥

لازالت الصحيفة الألمانية المرموقة "فرانكفورتر آلجيمان زيتونغ" منذ عدة أسابيع تعمل كمنبر للنقاش الديني الذي يذكيه الناقد ليوناردو بوف *Leonardo Boff* من خلال كتاباته "دين الحرية"، والكاتب أورس فون بالثاسار *Urs von Balthasar* من خلال تأملاته عما إذا كان أستاذ الديانة الكاثوليكية السويسري المشهور هانز كونغ *Hans Kung* لا يزال كاثوليكياً، أم أنه في الحقيقة قد اعتنق الإسلام. وهذا أمر لا شك أنه لافت للنظر.

ترى هل نحن نشهد حادثة من أحداث الإعلام - حوار بين المتخصصين - أم أننا نشهد ثورة ذات بُعْدٍ عريض؟ هل كشف هذا الحوار يا ترى عن فراغ ديني، أم ربما عن تعطش مشهور للأمن العقدي؟ وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار المعدَّل المُنْذِرَ بالخطر الذي يترك فيه النصارى دينهم وكنائسهم، فإن هذا الأمر لا يعود مدهشاً.

وقد عرَّى الرئيس الألماني السابق الأستاذ الدكتور كارل كاريستنز *Karl Carestens* هذه الظاهرة المزعجة عندما تحدث في جينيف في ٢٩ آب/أغسطس قائلاً: "وأما فيما يتعلق بالتطورات المستقبلية، فإن اهتماماتي الكبرى ليست الأسلحة النووية... ولا المشاكل البيئية... ولا الانفجار السكاني في دول العالم الثالث. بل إن اهتمامي الأكبر هو أن حضارتنا ومدنيتنا قد تفقد بُعْدها الديني. وهذا قد يقرِّبُ في الواقع نهايتنا: أن يعتبر الإنسان نفسه مقياساً لكل شيء..."

لقد تحدَّث ضد خلفية ذات بيانات تسبب اليأس: فقد كشفت استطلاعات الرأي أن "الإيمان الديني" لا يعتقد به سوى ١٤٪، قد انخفض إلى أقصى درجة بين الناشئين والشباب الألمان. ولم يعد سوى ٦٪ فقط من الألمان البروتستانت وربع الألمان الكاثوليك يرتادون كنائسهم بشكل منتظم. وإن كثيراً من الناشطين في كنائس الغرب والشمال الأوربي إنما هم هناك لأسباب سياسية فقط.

وأما بالنسبة للمسلم، فإن هذا الحوار الضمني بين النصارى هو ذو أهمية خاصة، وذلك لأن كلاً من "بوف" و"كونغ" قد وضعوا مناقشة موضوع طبيعة عيسى المسيح عليه السلام، وأن كونه عبداً وإلهاً في الوقت ذاته هو أمر لا ينفصل عن بعضه؟ وقد وضعوا هذا على جدول أعمالهم، وكأن مجلس نيقوسيا *Nicaea* وتشالسيدون *Chalcedon* الكارثي، لم يحدث على الإطلاق. وفي هذا السياق، فقد أضحى من الواضح أن أي تعليل لمفهوم التثليث، حتى في هذه الأيام، لا يمكن أن يكون أكثر من فأفأة.

انظر مثلاً إلى أحدث إصدار من الكتاب الذي يشتمل على خلاصة العقيدة الدينية مفرغ في قالب السؤال والجواب عن الكاثوليكية للكبار، وأسلوبه الرمزي: "النعمة هي الله ذاته في اتصاله الذاتي بواسطة عيسى المسيح في روح القدس. النعمة، في أعمق معانيها، تعني أن الله يقبلنا دون أي شروط، ويؤكد لنا ويحبنا بواسطة عيسى المسيح في روح القدس، وأننا بهذا الحب **نتحد معه لنصبح وحدة تامة، في الصحبة الشخصية والصداقة مع الله، وبهذا نصبح مشاركين شخصياً في حياة الله**". ولقد قُتل المسلم المتصوف الحلاج عندما أعلن مثل هذه المصطلحات الكفرية التي أشير إليها بخط مميز أعلاه عام ٩٢٢.

ويحاول هذا الكتاب الذي يشتمل على خلاصة العقيدة الدينية والمفرغ في قالب السؤال والجواب، باستخدام أصداف من المصطلحات الفارغة،

مرتبطة ببهلوانيات كلامية، يحاول أن يصنع حالةً مدَّعاةً جوفاء لعيسى عليه السلام، على أنه ابنٌ لله من نفس المادة أو الجوهر أ والطبيعة [حاشا وكلا]، أكثر قبولاً بين الناس من خلال تقريبهم جميعاً إلى تلك الحالة.

وما إخال إلا أن مبدأ "وحدة الوجود" يقول "مرحباً" لهؤلاء... [والعياذ بالله].

ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً أن مداخلة الأستاذ الدكتور هانز والدينفيلز *Hans Waldenfels* في النقاش الجديد عن التثليث (في الصحيفة الألمانية المرموقة "فرانكفورتر آلجيمان زيتونغ" في ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٥ أيضاً)، هي ذات قيمة كبيرة في هذا الموضوع.

فبالنسبة لوالدينفيلز، فإن "حلول الله" [أستغفر الله] هو "حقيقة ثورية"، فإن الله حين يصبح إنساناً "يجرد نفسه تماماً من نفسه". ويخلص والدينفيلز إلى عرضٍ هائل يجب أن يجعل قلمه يلتفُّ من الاشمئزاز والغثيان حيث يقول: "إن الله، من خلال الاتحاد، أصبح شخصاً آخر".

وما إخال إلا أن هيجل *Hegel* يقول "مرحباً" لهؤلاء... [والعياذ بالله].

ففي رسالة أخرى إلى المحرر، نشرت في اليوم التالي، يتبنى الكاتب موقفاً تقليداً للمستنير فيقول: "إن رسالة المسيح لا تخاطب العقل... إنها رسالة إلى... أرواحنا". لقد خلقنا الله من قبل كأطفال من النور الكامل، كمخلوقات روحية طاهرة..." ويخفق الكاتب في إخبارنا كيف تصل الرسائل إلى أرواحنا متجاوزة عقولنا.

وما إخال إلا أن مبدأ "الغنوطسية" يقول "مرحباً" لهؤلاء... [والعياذ بالله].

ولكن هذا ليس إلا نتفةً مما نُشر مؤخراً من سخافات وصل إليها المؤرخ الفرنسي جين دوليموا *Jean Delumeau's* في كتابه: *Ce que je crios (Grasset 1985)*. وينتقل الكاتب بشكل صحيح من الافتراض

القائل بأن العقيدة النصرانية قد غيَّرت بشكل جذري ثوري كيفية رؤيتها لله إلى أن وصلت إلى الاعتقاد بأنه في أي وقت من الأوقات لم يكنْ سوى قلَّةٍ قليلة من النصارى قادرين على يدركوا معنى هذه الرؤية. ولكن دوليموا يدعم بعدئذ الفكرة النصرانية السائدة وهي أنه: بما أن عيسى اليسوع هو الله [أستغفر الله]، فإن الله عقيم (ضعيف)، خانعٌ، معذَّب [حاشا لله]. بل إن الله حسب اعتقاده يستمر في تعذيب نفسه مع البؤساء والمعذبين من الناس الذين انتمى عيسى المسيح إليهم. ويقود هذا الاعتقاد دوليموا إلى التعبير عن أمله أنه سيحدث كثير من التحسن في هذا الأمر عندما يفهم الناس حقيقة أن "الله [حاشا لله] إنما هو يتألم معنا - بل وأكثر منا - تحت الشرور والآلام الكثيرة في هذا العالم المعذَّب". وأما الأخلاق فليست إلا شفقة بالنسبة لله؟

وفي مقابل هذه الخرافات فإن المفهوم الإسلامي عن الله ﷻ هو سليم وواضح غير متميع. وقد أوضح هذه الصورة بكلامه ﷻ في كتابة العظيم؛ القرآن الكريم قائلاً في سورة الحشر ٥٩/٢٣-٢٤: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

فهو الواحد، الأحد، الذي لم يلد ولم يولد، وهو الخالق، المصور، البارئ، الذي ليس كمثله شيء، وهو الفرد الصمد، الذي لا يحتاج لأي من مخلوقاته، وهو الهادي لعباده من خلال رسله عليهم السلام، وهو الغني سبحانه عن الصاحبة والولد، والتضحية، أو الاتحاد أو غيره، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

وبالنظر لهذه التأملات النصرانية التي انتشرت وكثرت مؤخراً، فمن المناسب اليوم، كما كان الحال خلال القرون الأربعة عشرة الماضية، أن

نقرأ سورة الإخلاص ١١٢ من القرآن الكريم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

في عين الناظر...

بروكسيل. ٢٩ تشرين أول/نوفمبر ١٩٨٥

عالجتْ كلٌّ من مجلة "التايم" (في عددها الصادر في ٢ كانون أول/ديسمبر، ١٩٨٥)، ومجلة نهاية الأسبوع للصحيفة الألمانية المرموقة "فرانكفورتر آلجيمان زيتونغ" (العدد ٣٠٠) مستوطنات *Hasidic* في بروكلن (التايم) و"ربع القدس" *Jerusalem's Mea Schearim quarter*. وقد وصفت المجلتان بشيء من التفصيل كيف أن هؤلاء المتعصبين من الأصوليين اليهود من أصول أوربية شرقية يلتزمون التزاماً شديداً بقوانينهم المتزمتة الشديدة الصارمة فيما يتعلق بالطعام ولباس النساء. كما تحدثوا عن فصل النساء عن الرجال في طقوس العبادة والاحتفالات العائلية كالأعراس مثلاً. كما روتْ الدراسة تركيز الـ: *Hasidic* على دراسة الإنجيل والتلمود، ضمن حدود المفاهيم المتساوية للتقاليد. وقد علقت الصحيفتان أيضاً على الخصوصية والشك اللذين تستخدمهما جاليات *Hasidic* في الدفاع عن طريقتهم العريقة في الحياة، وبخاصة ما يتعلق بالعادات "السبتية".

واللافت للنظر في هذا الموضوع كله ما يلمسه القارئ من الانطباع الحسن والموقف الطيب المشجع الذي اتخذته المجلتان عند تعليقهما على سلوك *Hasidic*. فالمجلتان تعترفان وتقران لهم "بقوة إيجابية" (الصحيفة الألمانية المرموقة "فرانكفورتر آلجيمان زيتونغ"). كما أن مجلة "التايم" أيضاً تكتب النص التالي بناء على كتاب "ليز هاريس" *Lis Harris* "الأيام المقدسة: عالم عائلة *Hasidic*". ومع أن *Lubavitchers* غافلون عن كثير من الاهتمامات النسائية، فإن هاريس يرى "إنسانية" في أسلوب حياتهم ويقول:

"لقد أوجد النساء بينهن جواً من الإخاء النسوي "الأمازوني" *Amazonian*؛ وهي المرأة القوية المسترجلة النزَّاعة للحرب. والنساء يحترمن أزواجهن، وليس هناك أية خيانة ملحوظة".

وبمعنى آخر، فإن ما يُعْتَبَرُ في ظروف أخرى "تمييزاً"، يرى القبول الحقيقي هنا على أنه فارق إيجابي لِدَوْرِ كل من الرجال والنساء.

وقد يُغرى المرء بالنداء بأعلى صوته: "اسمعوا وعوا أيها الناس!" كيف يمكن أن تكون الظاهرة ذاتها لو كانت الأصولية - موضع البحث - مسلمةً، وليست يهوديةً؟ لا شك أنها لو كانت من المسلمين، وبالخلفية، والقواعد، والأدوار ذاتها، فإنها ستحارب على أنها "ضيقٌ في الأفق لا أمل يرجى منه، وتعصُّبٌ أعمى، ومخالفٌ للعقل والمنطق، وغريبٌ غير واضح، بل وَتَعَدٍّ على حقِّ المرأة في المساواة والمعاملة العادلة".

حقائق أسطورية

في القطار إلى هامبورغ. ٤ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٥

قرأت خلال رحلتي في القطار إلى هامبورغ لإلقاء محاضرة في كلية الدفاع للقوات المسلحة الألمانية في هامبورغ - بلانكينيز، قرأت كتاب كمال صليبي بعنوان: "الإنجيل أتى من شبه الجزيرة العربية" (لندن ١٩٨٥). وبناء على التحليل اللغوي للأسماء الجغرافية، فهذا الكتاب، الذي كتبه بروفيسور لبناني بروتستنتي، يقدم بحثاً مشوقاً عن أصول "إسرائيل".

وعلى خلاف لما يعتقده الباحثون التقليديون في الإنجيل، يعتقد الكاتب بصحة الروايات التاريخية لقصص الإنجيل، إلا أنه لا يعتقد بالجغرافية التي ترتبط بها بشكل تقليدي. وتقوده هذه الطريقة المبتكرة لاستنتاج أن تاريخ القبائل اليهودية القديمة قبل ٥٠٠ سنة، إنما حدث في أماكن بين الطائف وشمال اليمن، وهو ما يسمى اليوم محافظة "عسير" في المملكة العربية السعودية. كما يبرهن الكاتب أيضاً أن أسماء مئات القرى (المستوطنات)، والأنهار، والجبال في عسير تحمل أسماء يظهر من ترتيب حروفها أنها تطابق أو تقابل أسماء من الإنجيل، كما أن هذه الأمكنة، حسب المسافات الفاصلة بينها، تؤكد صحة الوصف الوارد في العهد القديم - التوراة. كما أن صليبي، بالمقابل، لم يستطع أن يجد سوى تشابهاً ضئيلاً لبراهين مشابهة في فلسطين.

فلو صحَّ الأمر بأن مادة الإنجيل العبري، بما في ذلك التوحيد، قد أخذت ملامحها في غرب شبه الجزيرة العربية، وأن إبراهيم عليه السلام، عاش هناك، فإن "الشخصيات الهامة" في الإسلام وما يتعلق ببناء مكة من قبل

السيدة هاجر عليها السلام، وبناء الكعبة؛ البيت الأول، من قبل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، يحصل على قدر كبير من الدعم والتأييد.

ويحاول العلماء الإسرائيليون بكل شدة الاعتراض على صحة ما يؤكده صليبي إذ إنهم يخشون على القواعد الأساسية القانونية لدولة إسرائيل. وكأن من الضروري لأي شعب من الشعوب أن يسكن في منطقة محددة لأكثر من ٢٥٠٠ سنة كي يؤسس وطناً!

وتشير انتقادات صليبي إلى أن هناك كثيراً من الكُنى والألقاب والتسميات العامة التي يمكن أن توجد في كل من فلسطين ومنطقة جنوب الحجاز. إلا أن هذا ليس أمراً مؤكداً ونهائياً. فمن المعروف أن المهاجرين يحبون أن ينقلوا معهم إلى مواطنهم الجديدة أسماء البلدان والقرى التي كانوا يستخدمونها في بلادهم. ولنأخذ مثالاً على ذلك في أسماء: بسمارك، وداكوتا الشمالية، أو أثينا، وبنسلفانيا.

ولعل الأهم من ذلك أن طريقة صليبي تمكّنه من تأكيد كثير مما ورد في القرآن الكريم عن أنبياء يهود. وإن هذه الآيات القرآنية التي تسرد الأحداث الواردة في الإنجيل والزمن الذي أوحيت فيه التوراة والإنجيل ليست مختصراتٍ مما ورد ذكره في التوراة والإنجيل والذي تمَّ جمع مادتهما من الروايات البشرية غير الموثقة فحسب (كما يحلو الاعتقاد لبعض الخبراء الغربيين في هذا المجال)، بل على خلاف ذلك، فإن القرآن الكريم، حسب ما يبرهن صليبي، يشتمل على نصوص أصيلة، أصلية، مستقلة عن القصص والأحداث التاريخية الواردة في التوراة والإنجيل.

وعلاوةً على ذلك، فإنه لا يحدد موقع القدس الأولى في منطقة عسير (الشريم، على بُعد ٣٥ كيلومتر شمال النماص)، و"جنة عدن" (*Garden of Eden*)، (واحة الجنينة في حوض وادي بيشة)، بل: "صدوم" و"غمورة" و"نهر" الأردن الأصلي (وهو في الحقيقة منحدر جبل السراة). وإذا ثبتت حقيقة

البحث اللغوي للكاتب صليبي، فإنه بضربة عبقرية واحدة، استطاع أن يطوِّق كثيراً مما ورد في الإنجيل والقرآن الكريم، بما في ذلك كافة التراث الذي يربط بين العقيدة الموسوية (موسى عليه السلام) وعقيدة الإسلام، مع إبراهيم عليه السلام، وهو الأب الروحي لهما جميعاً، والذي عاش في منطقة "رجال ألمع" ومنطقة جبال "قُنْفُذة"، جنوب الطائف.

وبمعنى آخر: فإن هذا البحث يؤكد، بمزيد من اليقين، مناسك الحج إلى مكة المكرمة، وعرفات، ومزدلفة، ومنى.

حقوق الإنسان في الإسلام

في القطار إلى بروكسيل. ٥ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٥

يبيِّن فتحي عثمان، في عدد تشرين الأول/نوفمبر من "العربية" أن الفكر الإسلامي المعاصر غير واضح تماماً فيما يتعلق بالحقوق الأساسية للإنسان من وجهة نظر إسلامية (صفحة ١١)، وإنني للأسف، أعتقد أنه على صواب.

عندما يُسأل المسلمون عن موقفهم من الإنجازات الأساسية التي حدثت في الثورتين الأمريكية والفرنسية في القرن الثامن عشر، سيكون الصدى مرتبكاً وغير واضح. فمن ناحية، هناك مسلمون مثقفون لهم رأيهم الخاص أمثال كل من: محمد أسد، وفتحي عثمان ذاته، ودون أن يكونوا معاصرين تطوريين، يتعاملون مع هذا السؤال عما إذا كان الإسلام، والعقلية الإسلامية لا يزالان مناسبين لعصرنا الحاضر، بمنتهى الصراحة والوضوح. ومن ناحية أخرى، فيمكننا أن نجد كاتباً آخر مثل أوجوزان سيمسيك *Oguzhan Simsek*، والذي كتب مقالاً في عدد تشرين أول/نوفمبر ١٩٨٥ في مجلة *Hicret (Cologne)* في كولونيا، يقدم اعترافاً قصيراً عن الديمقراطية بقوله: "ما هي الديمقراطية؟ إنها ليست إسلامية".

وأكثر من ذلك، فإن الدول الإسلامية لم يكن لها ردُّ فعل موحَّد إزاء توحيد حقوق الإنسان، سواء أكان ذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة (في العاشر من كانون أول/ديسمبر ١٩٤٨)، أو المعاهدات العالمية للحقوق المدنية، والسياسية،

والاقتصادية، والاجتماعية والحضارية (في التاسع عشر من كانون أول/ديسمبر ١٩٦٦).

وقد سارعت كل من: مصر، والعراق، والأردن، ولبنان، وليبيا، ومالي، والمغرب، وسورية، وتونس، إلى الموافقة على قبول هذه المعاهدات، إلا أن الدول الأخرى ترددت. وكان من بين الدول المترددة في ذلك الحين: المملكة العربية السعودية، والباكستان، واللتان كانتا فعالتين منذ عام ١٩٨٠ في تطوير مجموعة قيم بديلة لحقوق الإنسان الإسلامية.

وكان ذلك بسبب عدم التطابق التام بين الحقوق الغربية للإنسان مع الشريعة القرآنية، والتي على سبيل المثال، تهدد الخارجين عن الإسلام بسلب امتيازاتهم القانونية، ولا توفر المساواة القانونية الكاملة للمرأة، ولا تقبل تسلُّم غير المسلمين مناصب عليا في الدولة.

ولا يمكن لباحث قانوني مسلم أن يتجاهل مبدأ "العبودية" (علماً بأنها لم تعد مقبولة في أي مكان في العالم الإسلامي مثلاً)، فلا بد له أن يأخذ بعين الاعتبار حقيقة أن القرآن الكريم أورد ذكر العبودية بقدر كبير من التفصيل، فهو ينفّر الناس [المسلمين] من ممارستها، إلا أنه لا يعلن أنها ممارسة غير شرعية على الإطلاق.

وأما مسألة "الردة" فهي أبسطُ، علماً بأن المرتدين قد قتلوا خلال العصور الوسطى. كما أن حكم القرآن الكريم في الآية الثالثة والثلاثين من سورة المائدة ٣٣/٥: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ لا يفسر على أنه التعامل مع التغييرات السلمية للارتباطات الدينية، ولكن كما أريد منه فقط للخيانة العظمى، والتآمر ضد سلامة البلد الإسلامي وأمنه.

ونرى أن كثيراً من الدول الحديثة تُنزِل عقوبة الموت لهذا النوع من الجرائم. [وليس الإسلام وحده].

كما يمكن الدفاع أيضاً بسهولة عن موضوع استثناء غير المسلمين من تولي القيادة أو الخلافة، وبخاصة فيما يتعلق بحماية الوحدة التامة للأقليات الدينية وغيرها الموجودة تحت ظل الحكم الإسلامي. وطبقاً لدستور الولايات المتحدة الأمريكية، فإن ولدي "ألكسندر هوفمان"، وهو مولود كمواطن أمريكي، لا يستطيع أن يصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية وذلك لأنه مولود خارج حدود أمريكا. فإذا لم يكن هذا الحُكْم مخالفاً لحقوق الإنسان، فيجب أن يكون الاحتفاظ ببعض الوظائف المحددة للمسلمين الموجودين في بلد إسلامي مقبولاً تماماً مثل هذا الحُكْم.

وهذا ما يجعلني أواجه في صدامٍ مباشر مع العقيدة الغربية والشريعة الإسلامية فيما يتعلق بموضوع مساواة المرأة. فإنني لا أرى أي جدوى لإنكار حقيقة أن الشريعة الإسلامية تقدِّم نموذجاً مغايراً يقوم على أساس التقسيم الطبيعي للأدوار والوظائف بين الجنسين. وعلى هذا الأساس تعمل الشريعة الإسلامية طبقاً لمبدأ أن المعاملة بالمثل يجب أن تكون طبقاً للأحوال المتساوية والحالات المتماثلة، وليس للأشخاص المتساوين. والشريعة الإسلامية، على كل حال، تهدف إلى حماية عزة المرأة وشرفها وكرامتها، وتحول دون استغلال الرجل لنقاط الضعف الخاصة عند المرأة المتأصلة بالفوارق الحيوية البيولوجية. وأما الصيغة الإسلامية فهي كما يلي: كرامة متساوية، واجبات مختلفة؛ حالات متساوية، وأدوار مختلفة؛ قيمة متساوية، وقدرات مختلفة.

وليس هناك أية طريقة معتمدة لقياس ما إذا كانت المرأة المهنية الغربية، نتيجة لما يسمى "التحرير" الأكبر، تتمتع بمزيد من السعادة

والاستمتاع عن أخواتها النساء الشرقيات. إلا أن الكثير منهن لا يحبِّذْن هذا التحرير. وإنني أشك على أي حال بأن "نوعية الحياة" بالنسبة للمرأة لا يمكن أن يضمنها أي "نظام"، إلا أنها نتيجة في جزئها الأكبر للمواقف الإنسانية تجاه الآخرين، وتجاه الذات. وإن السعادة في الحقيقة هي أمر "قلبي".

ولكن هناك أمراً واحداً يجب أن يحترمه النقاد الغربيون: فبالنسبة للمسلمين، وفيما يتعلق بحقوق الإنسان، فإن الكلمة الفصل في هذا المجال هي كلمة "الله"، وكلام الله هو "القرآن الكريم".

خرافات وأوهام رقمية...

بروكسيل ـ ١٦ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٥

يعتقد المسلمون أن القرآن الكريم إنما هو تثبيت وترسيخ، باللغة العربية، لخطاب الله ﷻ، لأبناء البشرية. وهذه هي الخلفية التي يمكن أن تفهم من التحدي الساخر الذي اشتملت عليه الآية الثالثة عشرة من سورة هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾.

ومن الطبيعي، إذن، أن يحاول المسلمون المحبون للاستطلاع دائماً الكشف عن التركيب الداخلي الخفي، أو هندسة العمارة؛ إن شئت تسميتها كذلك، للقرآن الكريم، تماماً كما يحاول الفلكيون أن يعملوا مع الكون بأكمله. وبالطبع، فإن هذا البحث يُذْكي ناره الرغبة الخاصة لاقتحام أسرار معاني "المقطَّعات"، وهي الحروف الغامضة التي تتألف من خمسة أحرف وتأتي في أوائل كثير من سور القرآن الكريم.

إن الرمزية الرقمية في الإسلام هي أسلوب خاص لتوضيح هذا الأمر، وغيره من أحجيات التفسير. إن مثل هذا الأسلوب من القبلانية[1]، أو الصوفية هو مذهب فئة قليلة يفترض أن كلمات معينة، كالأرقام مثلاً، يمكن أن تدل، أو تمثِّل أرقاماً بعينها؛ كما يمكن أن يفترضوا أن لهذه الأرقام أسراراً خاصة بها.

(١) القبلانية، فلسفة دينية سرية عن أحبار اليهود وبعض نصارى العصر الوسيط، مبنية على تفسير الكتاب المقدس تفسيراً صوفياً، معتقد صوفي.

وكما أثبت الغياب الواضح للرقم ١٣ على أبواب غرف الفنادق، فهذا يعني أن هذا الموقف منتشر، بل متمكن أيضاً خارج نطاق الدِّين الإسلامي. وقد وصف "بابوس" *Papus* وهو سيد القبلانية، هذه المسألة بمنتهى البساطة قائلاً: "استبدلْ الحروف بالأرقام، والعكس بالعكس، وأجرِ العمليات الحسابية على هذا الأساس". *(Die Kabbala, Wiesbaden 1983)*.

وبالطبع، فإن الرمزية الرقمية، حتى لو عرضت على أنها علمية، فما هي إلا مجرد تأملاتٍ محضة، وتعتمد أساساً على الظنّ التخيلي فقط فيما يتعلق بالقيمة الكمية والنوعية "الطبيعية" لأي حرف من حروف الألفباء. بل إن الكشف الصوفي أو التأمل الفلسفي القبلاني يمكن أن ينظر إليه على أنه نوع آخر من "الكيمياء" القديمة: صوفية رياضية تحاول الحصول على قوى سحرية وحدس "تنبؤي" [كاذب].

والعجيب في الأمر، فقد قام مؤخراً عالم دين نصراني بتحليل رقمي للقرآن الكريم بعنوان: (محمد وعيسى ـ النصوص المتعلقة بالنصرانية في القرآن الكريم، فيينا ١٩٧٨). وقد استخدم البروفيسور كلاوس شيدل *Clause Schedl* طريقة "*logo* ـ الفنية"، ذات الأسلوب القبلاني، لخمسمئة صفحة، ثم يطرح منها، ويضيف إليها خانات من اليسار إلى اليمين، ومن فوق إلى تحت، كي يستنتج فقط ما يلي:

إن القرآن الكريم مرتب بطريقة ممتازة.

كان محمد [ﷺ] فناناً مبدعاً [حاشا لله] وكاتباً صقل نصوصه إلى أن رضي عن الكمال الفني للنص (صفحة ١٦٦).

إن ما ورد في القرآن الكريم عن النصرانية هو قريب ومشابهٌ جداً لما هو موجود في العهد الجديد مما يجعل الحوار بين النصارى والمسلمين (ليس فيما يتعلق بحالة عيسى عليه السلام وطبيعته) أمراً واعداً بأن يكون مفيداً.

ولقد كان شيدل في هذا السياق صادقاً إلى حدٍّ ما، وذلك أنه اقتبس الفقرات المتعلقة بهذا الموضوع من "أعمال الرسل" (٣:١٣، ٢٦ و٤:٢٧)، وذلك كي يذكر قرَّاءَهُ بأن قدماء اليهود ونصارى سورية، على النقيض من الذين لهم خلفيات هيلينستية ولاتينية، يعتقدون أن عيسى عليه السلام، كان عبداً لله، وينظرون إليه كذلك فقط. كما اعترف أيضاً أن هذه النصرانية السامية الأصلية تعيش ضمن الإسلام.

ومن المشجع أن نرى أن خبيراً في أمور النصرانية درس التاريخ المأساوي للكنيسة النسطورية، استطاع التوصل إلى هذه النتيجة. إلا أنه من المثبِّط أن نرى أنه قد فعل ذلك بناء على الكلام الفارغ المبني على "الرقمية"، وأنه يقلِّص أهمية محمد ﷺ، بأن يرفعه إلى مقام أستاذ كاتب بارع. فالله سبحانه وتعالى وحده، هو الذي أوحى هذا القرآن الكريم بالشكل المبدع الرائع الذي هو فيه.

وإذا أردنا أن نتكلم بدقة عن كتاب شيدل هذا، فإن قراءة ما بعد الصفحة الرابعة والثلاثين ليس فيها ما ينقع غلَّةً أو يسمن من جوع، حيث يقول: "وبما أن الحروف أيضاً هي أرقام، فإننا نضيف أيضاً قيمها الرقمية"، حيث إنه في تلك النقطة بالذات يتوقف العلم ويبدأ السحر.

انظروا إلى هذا الغرور العجيب، هل يُفترض أن تكون ألفباء العبرية لا تمثِّلُ فقط النظام الرقمي الذي وهبه الله لها، بل وإنها أكثر من ذلك، تحدد "رقمية" الألفباء العربية. فلماذا، إذا كان لي أن أطرح سؤالاً، يمثل حرف الألف الرقم ١، وحرف التاء الرقم ٤٠٠، وحرف الراء الرقم ٢٠٠، ولكن حرف الحاء لا يمثل سوى الرقم ٥؟ ومن هو الذي يملك أن يقرر أن الرقم ٥٥ هو تعبير عن الكمال الشفاف؟

لا شك أن مشاهدة هذه الأعمال القبلانية اللغوية هي أمرٌ مُسلٌّ وممتع! ولعل إحدى الحيل التي يستخدمونها هي الانخراط في نبوءات محققة

للذات، أي: إنهم يغيرون طرقهم ومعاييرهم في العدِّ، إلى أن يظهر لهم رقم ذو أهمية رمزية ملحوظة. ويتم التركيز على مثل هذه النتيجة بشكل خاص حيث إن القبلانيين قد حمَّلوا كل توليفة من الأرقام قيمة رمزية. وقد تساعدنا التعريفات التالية على كشف النقاب عن تلك الطرق:

بما أن هناك ٨٦ سورة مكية في القرآن الكريم، فتطرح الفكرة نفسها أن الرمزية الرقمية تلعب دوراً هاماً في هذا الموضوع، وذلك لأن الرقم ٨٦ هو القيمة الرقمية لكلمة "إله" *Elohim* وهي الكلمة العبرية التي تعني "الله". (صفحة ٣٨)

"نحن نظنُّ أنهم (أي: الحروف المقطعة الغامضة [في القرآن الكريم]) هي إشارات إنذارات رقمية - فنية لتأمين النص الذي سيرد بعدها". (صفحة ٢٠٥).

ومن الواضح أن الذين يعكفون على مثل هذه التأملات [الفارغة] سيصيبون "ضربة حظٍّ" رمزية صوفية...

كما أن قبلانيي القرن العشرين الذين تمكَّنوا تماماً من معالجة البيانات لا شك حريصون على تقديم مادة القرآن الكريم لتحليل نصوصه باستخدام البرامج التي يدعمها الكمبيوتر؛ لذا، يجب علينا أن نقيد أنفسنا كي لا نصاب بصدمة من التحليل الكمي "لأسلوب محمد [ﷺ]"، بل وحتى استخداماته المفضلة لحروف علة محددة!... وهذا، سيفتح الباب بدوره للمزيد من الألعاب الإليكترونية الدقيقة للتفسير مؤكداً المثل الألماني: "كلما قلَّ الإيمان، زاد "ما بعد الإيمان".

هل الرقم ١٩ هو السرُّ؟

بروكسيل ـ ١٧ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٥

تنص سورة المدثر، وهي السورة الرابعة والسبعون، في آيتها الثلاثين، وبشكل مفاجئ نوعاً ما، تنص على ما يلي: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾. ولعل من نافلة القول أن نقول إنه تمت محاولات كثيرة خلال القرون الماضية لتفسير هذه الآية الغريبة [المحيرة]. ترى، هل يشير هذا العدد إلى الملائكة الذين ورد ذكرهم في الآية التالية؟ ترى، هل هي إشارة إلى "رقم كوني" للمجموع العام للكواكب والبروج (كما يحلو للغنوطسيين أن يفترضوا)؟ ترى، هل تشير إلى الوظائف التسعة عشرة للجسم والتي عدَّدها الأطباء خلال العصور الوسطى؟ الله وحده أعلى وأعظم وأجلُّ وأعلم.

لقد اختبر رشاد خليفة، إمام مسجد توسان – في ولاية أريزونا الأمريكية، اختبر الدور الذي لعبه الرقم ١٩ في تركيب القرآن الكريم بشكل عام في كتابه: "القرآن الكريم: عرض مرئي للمعجزة، توسان ١٩٨٢). فقد استطاع أن يبرهن في خاتمة المطاف، أن الرقم ١٩ هو رقم أساسي في ما لا يقلُّ عن خمسين أمراً مختلفاً، ودون أن يلجأ إلى طرق القبلانيين ولو مرة واحدة. فقد لاحظَ، على سبيل المثال، أن:

عبارة "بسم الله الرحمن الرحيم"، هي موجودة في كافة سور القرآن الكريم، عدا سورة واحدة فقط، والعبارة تتألف من ١٩ حرفاً.

أول ما بُدئ به الوحي إلى نبيِّنا محمد ﷺ، في سورة اقرأ، الآيات من ١ ـ ٥، تتألف من ١٩ كلمة.

القرآن الكريم يشتمل على عدد من السور هي مضاعفات الرقم ١٩×٦= ١١٤ سورة.

لفظ الجلالة "الله"، قد تكرر في القرآن الكريم ٢٦٩٨ مرة، وهو أيضاً من مضاعفات الرقم ١٩، أي: يقبل القسمة عليه.

بل الأعجب من ذلك، فقد اكتشف رشاد خليفة أن الحروف المقطعة لكثير من فواتح سور القرآن الكريم تتكرر في السور ذاتها عدداً من المرات هو من مضاعفات الرقم ١٩، دون أي اختلال لهذه القاعدة. وبناء على هذا، فقد استقر رأي المؤلف على أنه استطاع أن يبرهن بشكل حسي ملموس أن القرآن الكريم، بما هو عليه، هو وحيٌ من الله عز وجل. وإن المعرفة لا يمكن بحال من الأحوال أن تحل محل الإيمان.

بل إن رشاد خليفة يلمح إلى أنه من خلال تحليل القرآن الكريم، استطاع أن يضع أساساً لما ألمح إليه كثير من الفلاسفة من قبله، أي: أن هناك دليلاً ملموساً على وجود الله!...إلا أنه لم يدرك أن هذا المنطق هو "دائري"، وبالتالي فقد ادعى أنه أكد أيضاً أن نص القرآن الكريم، كما هو عليه حالياً، لم يُحرَّف على الإطلاق، وإلا فإنه لو حُرِّفَ القرآن الكريم لاختل التركيب الهندسي واللغوي المبني على الرقم ١٩ للقرآن الكريم!...

وفي رأيي [المتواضع]، إن الطريقة التي استخدمها رشاد خليفة تثير من التساؤلات والإشكالات أكثر مما تحلُّ، وإليك ما يلي:

هل من المسلمات، والبدهيات الواضحة أن الوحي الفعلي له تركيب رقمي؟

أليس من الممكن أن يجد المرء تراكيب أخرى في القرآن الكريم تعتمد على أرقام أخرى، شريطة أن يبذل المرء المزيد من الجهد في البحث عن تلك الأرقام؟

هل الدور الذي لعبته الآية المشار إليها في سورة المدثر، وهي السورة الرابعة والسبعون، في آيتها الثلاثين، من ناحية منطقية بحتة، هي دليل قطعي حاسم باستخدام الرقم ١٩، تشير إلى تركيب القرآن الكريم وصياغته [بشكل عام]، أم أنها مجرد مصادفة بحتة؟

هل يمكننا أن نفترض أن ترتيب القرآن الكريم (بمقارنته مع الوحي) ليس بأي شكل من الأشكال، نتيجة لجهود بشرية في التجميع؟ وهل فصل السورتين الأخيرتين في القرآن الكريم ١١٣ و١١٤، على سبيل المثال، هو أمرٌ من الله ﷻ؟

إنني أشك في أي تعليقات من هذا النوع. فإننا عندما "نشهد" أنه "لا إله إلا الله"، فإننا نفعل هذا بالتأكيد؛ لأنه ليس هناك دليل "ملموس" جاهزٌ وحاضر يدل على ذلك. والحق أقول: "إن الإيمان لا يمكن أن يستعاض عنه بأي شيء آخر مهما كان نوعه".

الاستقامة والثبات عند "كونغ"...

بروكسيل ـ ١٥ كانون الثاني/يناير ١٩٨٦

لقد أصبح عالم الأديان المشهور، البروفيسور الدكتور هانز كونغ *Hans Kung*، وهو المدير الحالي لمعهد البحوث المسكوني في توبنجين *Tubingen* في ألمانيا، أصبح على خلاف مع الكاثوليك التقليديين لفترة ليست بالقصيرة. إلا أنه مع صدور كتابه بعنوان: "النصرانية وأديان العالم، ١٩٨٤"، وصل في خلافه مع روما إلى مستوى جديد. فقد أصبح كونغ ميالاً تماماً أن يقبل محمداً ﷺ، على أنه "نبي". وهو بعمله هذا يتابع العمل الذي بدأه من قبله الأستاذ الدكتور رودولف بولتمان *Rudolf Bultmann* في جامعة ماربورغ بعنوان: "إزالة خرافات" العهد الجديد. وقد تابع كونغ عمله بشكل منطقي ليشمل كافة الأديان الرئيسة في "حوار مسكوني" كان من قبلُ حكراً على المذاهب النصرانية فقط.

وقد بيَّن كونغ خلال مؤتمر عُقِد في شتوتغارت عام ١٩٨٥ حول: "العالم الإسلامي بين التقليد والتقدم"، بيَّن أن الكنيسة لم تعد تدافع عن حكمها التقليدي لعام ١٤٤٢ أنه لا نجاة خارج نطاق تعاليمها (*extra ecclesiam nulla salus*).

ومن هذا التطور بالذات، ومخالفة للنتيجة العامة لمجلس الفاتيكان الثاني (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥)، فقد استنتج كونغ أن الأطروحة التالية وهي: "لا يوجد أنبياء خارج نطاق الكنيسة"، يجب أن يصبح هو الآخر لاغياً أيضاً. ويبين أنه حتى لو أدركنا (ولو متأخرين) أن الإسلام كان، وما يزال،

طريقاً أصيلاً للنجاة، فإنه ليس بوسع الكنيسة ألا تدرك أن محمداً ﷺ، وهو الهادي والدليل على ذاك المسار، إنما هو "نبي" [ورسول] حقيقي.

ويعتقد كونغ أيضاً بصحة وجهة نظر المسلمين أن العهد الجديد قد تنبأ بمجيء نبي آخر، وأن "كلاً من رسالة الإنجيل والقرآن الكريم، دون أدنى شك، يتفقان معاً من حيث المبدأ والإطار العام". (*Zeitschrift fur Kulturaustausch, 1985|3, pp. 315 ff*).

ثم طلب كونغ، بهدوء، من مناظريه الغاضبين في الكنيسة الكاثوليكية أن يدرسوا هذه الديانة العالمية التي أهملوها إلى حد كبير. ويبدو أن بعض الرهبان الكاثوليك قد فعلوا ذلك فعلاً، حيث إن اثنين منهم، من أبرشية (أسقفية) باريس، قد اعتنقا الإسلام مؤخراً.

وعلى الرغم من قلة المثقفين الغربيين والفنانين الذين اكتشفوا الإسلام [وتعرفوا عليه]، أمثال كل من: النمساوي ليوبولد ويس (محمد أسد)، والبريطانيين: ريتشارد بورتون، ومارمادوك بكتال، ومارتن لينغز، وكات ستيفنس، والفرنسيين: رينيه غونون، وإيفا دو فيتري ـ ميروفيتش، وروجيه جارودي، وموريس بيجارت، على الرغم من كل هؤلاء، فإن تقديرات كونغ بأن الغربيين لا يعلمون عن الإسلام إلا القليل جداً، هي تقديرات صحيحة. بل إن كثيراً من "علماء الاستشراق" الغربيين أخفقوا بالفعل في فهم الإسلام بشكل متعمق. وبعد كل هذا، ترى ألم يكونوا بشكل عام يخدمون الأطماع الاستعمارية، سواء أكان ذلك بوعي، أم دون وعي، وذلك عندما يقيِّمون الإسلام حسب المسطرة العالمية الافتراضية للمدنية الغربية ونظامها الأخلاقي؟

ويقتبس برويز منظور في مقاله في مجلة: "مراجعات الكتاب الإسلامي العالمي (المجلد ٦، العدد ١، الصفحة ٥)" ما كتبه إجناز جولدزهاير *Ignaz Goldziher*: "ترى ماذا سيبقى من الأناجيل لو أن الطرق القرآنية في تحقيق

النصوص] قد طُبِّقتْ عليها؟" ولعل الجواب السليم على هذا السؤال الذي أصاب عين الحقيقة سيفترض أولاً دراسة تشكُّل وتفسير العهد الجديد من حيث النواحي الفلسفية والأساطير الخرافية (الميثولوجية) التي كانت سائدة في ذلك العصر. ويمكن أن تشتمل هذه الدراسة على كل مما يلي:

العلاقة بين إله الشمس مثراس *Mithras* والعبادات السرية الغامضة، واللاتينية - النصرانية *dies soli* ويوم "الأحد" في الأساطير الخرافية النصرانية.

العلاقة بين آلهة المصريين "آيزوس" (على أنها "نجمة البحر"/ *stella maris* وهي شخص من "الثالوث" المصري للآلهة)، والآلهة - الأم الرومانية ماجنا ماتار *Magna Mater* (التي تعرف أيضاً باسم *Dea Dia* و*Kybela*) والعبادة النصرانية للسيدة مريم [التي يعتبرونها] "أم الإله"، وأخيراً:

العلاقة بين التقاليد الرومانية لتأليه الأمبراطورات الأموات بناء على قرارات مجلس الشيوخ وقرار مجلس نيقية لترقية عيسى [عليه السلام] إلى مقام الربوبية (الألوهية) عام ٣٢٥ [أستغفر الله].

فإذا تمَّ تطبيق طرق البحث التاريخي على كل من المصادر الدينية والمفاهيم، فإنه ليس هناك ما يمكن أن يقلق عليه الإسلام أو يخافه، بل وإن النصرانية تخشى على كل شيء فيها [فهو مهدد تماماً]. إن هانز كونغ يرى هذا [جلياً]، وهو يتابع طريقه على مسار سيؤدي به إلى اعتناق الإسلام شخصياً، إن شاء الله.

الانفجار الشهير في الجزائر...

الجزائر. ٥ ـ ١٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٨

لقد كانت ذكرياتي عن حرب الاستقلال أليمة جداً حتى إني نويت ألا أطأ الثرى الجزائرية مرة أخرى. إلا أنني بعد خمس وعشرين سنة أخرى، وفي السابع عشر من آب/أغسطس، عام ١٩٨٧ عينت سفيراً لألمانيا في الجزائر.

وقد بدت هذه المدينة الجميلة للوهلة الأولى أنها لم تتغير، إلا أنني لما لاحظت الازدياد الملحوظ في عدد السكان، والأعراض الكثيرة للاشتراكية لاحظت أن هذه الأمور لا يمكن تجاهلها. فعلى سبيل المثال، كانت أماكن السكنى نادرة جداً بحيث كنت ترى أن الشقق السكنية المتوفرة مكتظة بشكل كبير وخيالي، بل وإن أفراد العائلة الواحدة يجب عليهم غالباً أن يتناوبوا في استخدام أسرَّةِ النوم ذاتها: فالأطفال الصغار يستخدمونها أثناء الليل، والكبار الذين لم يجدوا عملاً، يستخدمونها خلال ساعات النهار (أو على الأقل إلى الوقت الذي تُخْرِجهم فيه أمهاتهم إلى الشارع للتمكن من تنظيف "البيت"). ولا عجب إذن أن يتصرف كثير من هؤلاء الأطفال كما يتصرف الشباب، وأن تظهر على وجوههم علامات التقدم في السن. وعندما يترك هؤلاء المدرسة، ليس هناك أية ضجة سعيدة.

إن الفكرة الكبيرة لتصنيع البلاد من أعلاها إلى أسفلها والتي سميت "التصنيع" لم تفشل في تحقيق الهدف المنشود منها فحسب، بل إنها حطمت كلاً من الزراعة والمهن اليدوية. وعلى غرار هذا، فقد كان كثير من المجمعات الصناعية، والتي أنشئ كثير منها في الأماكن غير

الصحيحة، لم تكن مربحة على الإطلاق. فعلى سبيل المثال، فقد كان وادي متيجا الواقع حول البليدة، والذي كان سابقاً أحد أخصب المناطق في البلاد، أصبح لا يعرف بسبب البلوكات الإسمنتية الكثيرة التي وضعت فيه.

وبعد انتصارهم على فرنسا، اعتقد الكثير من الجزائريين أنهم ليسوا مطالبين بأن يخدموا أحداً بعد ذلك، بما في ذلك السائحين. إلا أن مصادر الثروة الطبيعية للجزائر، والتي كانت النفط والغاز الطبيعي، أصبحت بالنسبة لهم نعمة مشوبة بالنقمة. وفي الواقع، فبينما عُدَّ هذان المصدران بأنهما يشكلان ٩٧٪ من إيرادات صادرات الدخل الإجمالي، كانا بالكاد كافيين لتغطية الديون العامة وسداد ديون ما تستورده الجزائر من المواد الغذائية التي كانت تصدرها الجزائر في أوقات سابقة. وكانت يبدو أن هناك فائضاً فقط في أشعة الشمس، والرمل، والأطفال، بل وكان الناس يتندَّرون على هذا قائلين: "قد تصبح الرمال قريباً، في الاقتصاد الاشتراكي، تصرف بـ: "البونات" بقدرٍ محدود لكل مواطن!" ولا داعي لأن نضيف بأن "الحزب" الوحيد في السلطة ـ لربع قرنٍ من الزمان حتى الآن ـ قد احتكر كلاً من: الحياة العامة، والاجتماعية، والاقتصادية معاً، ولم يكن مستعداً للانفتاح لأية إصلاحات.

ومع ذلك، فقد كان كل من البحث العلمي والخدمات الطبية موفقة وناجحة. إلا أن هذا أنتج عدداً متزايداً من طبقة البروليتاريا "الأكاديمية" التي لا تجد عملاً تعمل فيه، وقد أصرت هذه الطبقة على التعليم من اللوائح الاسمية على السؤال التالي: "لماذا يمكن أن تكون بلدٌ بمثل هذه الإمكانات الغنية، بمثل هذا الفقر؟" واتهم البعض الحلقات الشيوعية ضمن جبهة التحرير الوطنية بأنها "صادرت" ثمار الجهود الجماعية لكل من: الإسلاميين، والبرجوازيين، والاشتراكيين الذين شنوا الحرب ضد فرنسا. وعندما كان هؤلاء الشباب يتكلمون عن حكومتهم، بل وحتى

عن بلادهم، فكانوا يشيرون إليها على أنها "هم" ولا يشيرون إليها على أنها "نحن" على الإطلاق. وقد كان من الواضح أنهم يبحثون عن بديل غير اشتراكي، وكانوا يبحثون عن هوية لهم، ولم يجدوا أفضل ممن يقدمها لهم سوى دينهم: "الإسلام". وبالفعل، فلم يقدم أحد آخر، سوى المساجد، الأرض المناسبة والمناخ الملائم للتعبير عن اعتراضهم وتنظيم جهودهم المعارضة. وهكذا، فقد آن أن يولد "الإسلام الموازي"، إلى جانب "الإسلام الرسمي".

لعل هذه هي الخلفية التي نشأت فيها الانتفاضة المشهورة التي حدثت خلال هذا الأسبوع بشكل رئيسٍ في الجزائر، ولكن ليس في مدينة الجزائر وحدها. وقد انتشر المراهقون، والشباب الجزائريون الغاضبون، على مدى أسبوع كامل، حيث اختفى كل من: الشرطة، والجيش، والحكومة. ويبدو أن الثوار مزقوا كل شيء دون استثناء، ولم يمض سوى وقت قليل حتى اتضح أن الأهداف الحقيقية لهؤلاء كانت المؤسسات غير المرغوب فيها كالمؤسسات الحكومية، والشرطة، والحزب، بل وحتى البوليساريو. وقبل أن يتمكن الجيش من سحق هذه الانتفاضة والقضاء عليها، ظهرت الحركة الإسلامية، والتي ما تزال غير قانونية [شرعية] حتى الآن، على أنها القوة الوحيدة القادرة على السيطرة على الشوارع وتهدئتها وإعادة النظام والأمن دون إراقة دماء. وهكذا ولدت "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" *(FIS)* بقيادة عباسي مدني، وقد اعتبرت في الوقت ذاته "الحزب المعارض". وكان المرء يشعر في الجزائر ما كان يشعر به أصحاب "الثورة السياسية" القصيرة الأمد في براغ عام ١٩٦٨.

وقد استمر إطلاق النار لفترة ما، إلا أنني كنت أملك سيارة مرسيدس مدرعةً، وبهذا استطعت أن أتنقل من مكان إلى آخر. وكان واجبي الأساسي، إلى جانب البحث عن الحقيقة وتحليل الموقف، هو أن أجهِّز لإخلاء المستعمرة الألمانية، والحيلولة دون الشعور بالذعر والهلع بين

أفرادها. وكما هي الحال في مثل هذه الحالة غير المستقرة، ففي حين وجود أي شك، كانت نصيحتي للناس أن "يحافظوا على الهدوء". وقد توقفت كافة الأنشطة العادية، وبذلك لم تعد حاجة سوى إلى عدد محدود جداً من الموظفين في السفارة للقيام بالأعمال القليلة المطلوبة، ولذا، فقد تركت لكل من العاملين الخيار في أن يأتي، أو لا يأتي إلى العمل في مكاتب السفارة، حسب ما يرى مقتضيات الأمن والسلامة الخاصة به. والعجيب في الأمر أن السكرتيرات اللواتي تابعن الاتصال مع بون عن طريق التلكس كُنَّ أشجع، بشكل عام، من بعض زملائهن من الذكور...

ولم تتوقفْ زوجتي، خلال تلك الساعات العصيبة، عن ممارسة تدريباتها في العزف على القيثارة ذات الوتر الواحد. وكانت، وبكل بساطة، تتزوي في زاوية من زوايا البيت، بعيداً عن النوافذ، وآمنة من الإصابات بطلقات طائشة. (وهل لي أن أسأل: ترى أين هو المكان "الآمن"؟).

آخر الإباضيين...

بني إزجوين. ٢٦ أيار/مايو ١٩٨٩

لم تكن في الجزائر راحة أكثر من الذهاب إلى "معزب"، وهي صحراء صخرية تقع على بعد ٦٥٠ كيلومتراً جنوبي الجزائر. أنت هنا في وسط "اللامكان"، حيث وجد آخر الإباضيين الصادقين ملجأ لهم من الاضطهاد الديني، واستطاعوا بناء سبع مدنٍ رائعة (مثل: غرادية، ومليكة، وبني إزجوين، والعطيوف). وكان هذا أيضاً هو المكان الذي استطاعوا أن يتمسكوا فيه، بلا هوادة على الإطلاق، بتفسيراتهم الصارمة للإسلام وتقاليدهم الإسلامية الديموقراطية.

كان هؤلاء ينتمون إلى البربر من حيث العرق، إلا أنهم كانوا يجيدون التحدث بالعربية كأفضل ما يكون في البلاد كلها، حيث استطاع *Mozabites* المشاركة في الكفاح المسلح ضد الاحتلال الفرنسي. بل إن المركز الرئيس للولاية الجنوبية (المقاطعة العسكرية) لقوات جبهة التحرير الوطنية *FLN*، قد تمركزت هناك. إلا أن *Mozabites* بعد الحرب، رفضوا أي ميداليات، ورفضوا الرواتب الحكومية للثوار المجاهدين المقاتلين المتقاعدين، أو أية مزايا أخرى كانت تنهال على أعضاء جبهة التحرير الوطنية. لقد قاتل هؤلاء في سبيل الله، وفي سبيل الأمة فقط. وقد استطاعوا الدفاع عن أنفسهم أفضل من أي جماعة أخرى في البلاد ضد الغزو الاشتراكي.

لم نستطع الوصول عن طريق الواد وأورغلا - حاسي مسعود بسبب عاصفة رملية، فاضطررت للذهاب إلى بني إزجوين، حيث اجتمع حوالي

٣٥٠ شخصاً للاستماع إلى المحاضرة التي ألقيتها بعنوان: "النقاط العشر التي أكرهها في ممارستي للإسلام"، وكانت تلك النقاط كما يلي:

الأسلوب الخطابي في خطب الجمعة، وخاصة الأسلوب الذي يتجه إلى العواطف أكثر من العقل، كما يفعل القائد العسكري عندما يدعو جنوده إلى القتال ويحثهم عليه في المعارك.

الصلة بالعنف بالنسبة لكثير من الناشطين الإسلاميين الشباب الذين يميلون إلى تطبيق أفكارهم بدلاً من الاعتماد على حجة الإقناع، وكأن المرء يستطيع استبعاد "المرحلة المكية" من الدعوة حيث تُستقطب القلوب والعقول، والدخول مباشرة في "المرحلة المدنية" لبناء دولة إسلامية.

ظاهرة التقليد غير الحرج الناتج من الخوف من البدعة الممنوعة والذي يقف في طريق تجديد الفقه الإسلامي المتعلق بالمجتمع المعاصر.

الغرور الأخلاقي والذي يمكن أن يلاحظ في موقف المتقدمين من المسلمين (كالعرب والفرس)، تجاه المسلمين من الأصقاع الأخرى من العالم. ويستمر هذا الموقف اليوم، على الرغم من الحقيقة التي أوردها محمد أسد حين قال: "إن هناك عدداً قليلاً من المسلمين في الغرب، إلا أن هناك الكثير من الإسلام، بينما نجد الكثير من المسلمين في العالم الإسلامي، والقليل من الإسلام".

لقد أصبح التاريخ الإسلامي تاريخاً دكتاتورياً، علماً بأن الشريعة تفرض حكومة شورى.

الخوف من التقنية [التكنوفوبيا]، أو موقف رفض كل ما يرد من الغرب، وكأنه كان هناك تمييز بين التقنية "الإسلامية" و"غير الإسلامية". وليس هناك من خيارٍ للأمة الإسلامية إلا أن تتمكن من التقنية المعاصرة الحديثة، أو أن تتملكها وتتحكم بها وتستعبدها تلك التقنية.

الميل الشديد إلى تحويل الإسلام إلى دين "النخبة"، بدلاً من أن يكون في متناول الجميع، بتقديم ما يسمى: "البدعة الحسنة".

الإفراط بالاهتمام بالقضايا والأمور الجانبية الفرعية، والتي تجعل الإسلام في خطر الوقوع في شرك العقيدة التلمودية. فقد كان المهمُّ كيف يسلم المرء قياده وأموره جميعها إلى الله، وليس كيف ينظف أسنانه.

تشرذم العالم الإسلامي وتفرُّقه إلى دويلات وجماعات، وهذه "الجماعية" تؤدي إلى تطرفات سلبية.

تهميش المرأة، والذي يعني تهميش نصف سكان العالم الإسلامي، وبالمناسبة، فهذا التهميش يشمل "والدة" كل مسلمٍ من الذكور.

لم أنتقد في المحاضرة] غياب التسامح، وقد فعلت هذا بشكل صحيح. وبدلاً من أن يطردني هؤلاء المتدينون المتشددون من بلدتهم، فقد أصغوا إليَّ باحترام، على مضضٍ وخلافٍ بالرأي. وكان كثير منهم ينتمي إلى "المخابرات" الفنية لبلادهم.

وفي الوقت ذاته، فقد كانت زوجتي تمضي شيئاً من الوقت مع نسائهم اللواتي كبرن وأصبحن محجباتٍ تماماً، عدا عينٍ واحدة فقط، عندما يخرجن من بيوتهن.

وعندما دعاني مضيفي إلى تناول الشاي بعد المحاضرة، سألتهم ما إذا كانوا يشعرون أن من الأهمية بمكان أن يتزوج المثقف من زوجة تماثله في مستوى الثقافة. وقد كان الجواب مثيراً جداً للإحباط غير المسبوق: "كيف؟ وهل يقضي المرء كثيراً من الوقت مع زوجته، أم أنه يفعل ذلك؟" وقد راودتني نفسي جداً أن أرد بشكل ساخر: "بالطبع، فهو يقضي هذا الوقت معها في الظلام".

وفي طريق العودة، بين جليفا والبيروغية، فمع أنه لم تكن هناك أية عاصفة، فكان لا بد لنا أن نسير خلال ١٥٠ كيلومتر من الضباب

الكثيف الذي يتشكل من ذرات غبارية وغير قابل للنفوذ بالأضواء الأمامية لسيارتنا. وهذا يعني أن الصحراء تقفز على ما يسمى: "الحزام الأخضر" جنوب جبال الأطلس، والتي تزحف تدريجياً نحو الجزائر، والتي لا تبعد سوى ٨٠ كيلومتراً من هذه المنطقة. وهذا دليل آخر على أنه لن يصمد شيءٌ تحت تأثير كل من: الشمس، والرياح، والجفاف. ولكن، مع ذلك كله، فإن حب الصحراء يسكن في قلوب كثير من الناس.

نظرية الانفجار العظيم: لا مكان فيها للإله؟

الجزائر. ٢٢ تشرين أول/أكتوبر ١٩٨٩

أكد مؤخراً العالم الألماني النووي كارل فريدريك فون ويزاساشكر *Carl Friedrich von Weizsacher* أن: (قوانين الفيزياء لا تشرح ما هي حقيقة "المادة". بل إن هذه القوانين تعلمنا فقط كيف يجب أن نكوِّن إدراكنا وتصورنا لنتمكن من مواجهة الأجسام). وقد كان هذا الأمر اكتشافاً أساسياً في كلا الأمرين: الفيزياء الدقيقة والكبرى. بل ومنذ أن أعلن وورنر هيزنبيرغ *Werner Heisenberg* عام ١٩٢٧ مبدأ "الشك" أو "عدم التحديد" [اللاحتمية]، وكان هذا بالأصل فيما يتعلق بموضع الإلكترون وسرعته، فقد تمَّ تنبيهنا منذئذٍ أن نأخذ كحقيقة [مُسلَّم بها] ما هو نتيجة، في الحقيقة، فقط لطريقة محددة من التساؤل والاستعلام.

ومهما كان الأمر، فإن علماء الكون (أمثال ستيفن هاوكنغ *Stephen Hawking*) تنافسوا مع بعضهم في شرح الأصل العضوي المادي للكون. ويعود الفضل إلى نظرية النسبية لإلبرت آينشتاين *Albert Einsein*، والتي تعرف باسم: "نظرية الانفجار العظيم" التي اكتسبت موثوقية طيبة لأننا اليوم تعودنا أن نفترض أن الوقت هو بُعْدٌ في الفضاء، وأن الفضاء هو بُعْدٌ في الوقت. كما أن هذا الافتراض أيضاً يتيح التأمل والتفكر في أنه قبل أن يتشكل الكون لم يكن هناك أي فضاء (وبالتالي، لم يكن هناك وقت أيضاً)، ولم يكن هناك وقت (وبالتالي فلم يكن هناك فضاء).

ولا يزال الفلاسفة يعتقدون أن الله قد خلق العالم، أو الكون، من لا شيء، وليس هناك ما يشير إلى عدم وجود فضاء، وعدم وجود وقت. إلا أن

الفلاسفة التقليديين لم ينكروا أبداً أن العالم لم يُخْلَق، كما أنهم لم يؤكدوا أنه كان نتيجة لعملية دون عقل أو تفكير. وربما يجب أن يوجه السؤال إلى ستيفن هاوكنغ من أين أتت: الإمكانية، والشروط، والمادة لنظرية "الانفجار العظيم"؟

يجب على علماء الطبيعة أن يرجعوا "حلقة" أو "حلقتين" في "سلسلة السببية"، السلسلة ذاتها التي تقود في النهاية إلى "اللّه"، الخالق، ربِّ العالمين.

"إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا"...

الجزائر. ٢٩ تشرين أول/أكتوبر ١٩٨٩

كان اليوم هو العيد الوطني لتركيا. وبينما كنا نركب سيارتنا في طريقنا إلى حفلة زميلنا التركي، في أمسية شديدة الحرارة والرطوبة، لاحظنا أن قطعنا كلها قد اختفت، وهذا نذير شؤمٍ في هذا المكان المعروف بكثرة الزلازل. وبعد ذلك، ففي أثناء عودتنا، تنبَّهنا إلى أن الناس قد غادروا بيوتهم، وكثير منهم يحملون أولادهم الصغار على أيديهم. وفي ذلك الحين فقط أدركنا أن الجزائر بدأت تتزلزل من جديد.

وبقينا نحن أيضاً خارج البيت، وقد وقفنا على أقدامنا نرتجف ونهتز عندما أخذت أشجار النخيل "ترقص" هي الأخرى. وكان أكثر ما أخافنا الضجيجُ: وكأنه صوتُ زئيرٍ حادٍّ لقطار يكاد يدهسنا. وفي الحقيقة، فقد كان المركز السطحي (سطح الأرض الواقع فوق بؤرة الزلزال مباشرة)، على بعد حوالي ستين كيلومتراً منَّا، وكما هو الحال، في المنطقة الساحلية قريباً من تيباسا.

ومع ذلك، فيجب على المسلم أن يتمالك نفسه ولا يفقد رباطة جأشه عندما يواجه مثل هذه القوى الطبيعية التي تفوق التصور، بغضِّ النظر عن عجزه التام على القدرة أن يفعل أي شيء في مثل هذه الحالة، وبغضِّ النظر عما يشعر به المرء من قزامة حجمه أثناء زلزال قوي (٦° درجات على مقياس رختر). بل يجب أن يفكر المرء بما ينتظره في المستقبل كما وصفه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في سورة الزلزلة، وكيف سيبدأ يوم القيامة: سيبدأ بالشكل الذي بدأ به الزلزال اليوم [والله أعلم]، إلا أن

الزلزال سيكون أسوأ وأعنف وأشد بكثير مما نراه اليوم، كما هو حجم القزم بالنسبة للعملاق.

وتنتهي هذه السورة الرائعة على النحو التالي:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾

الإسلام هو البديل...

تارودانت. ٢٤ نيسان/أبريل ١٩٩١

تأتي أخبار غير محتملة من الولايات المتحدة الأمريكية بأن فرانسيس فوكوياما *Francis Fukuyama*، رئيس هيئة سياسة تخطيط وزارة الخارجية، أعلن "نهاية التاريخ". ويبدو واضحاً أن سقوط "الشيوعية" العالمية قد مكّنه من استنتاج النتيجة الهائلة بأن "طريقة الحياة الأمريكية" لا بدَّ أن تنتشر وتصبح هي السائدة في العالم. فبعد أن أزيل "العالم الثاني" من الطريق، فلا بدَّ للدول النامية في "دول العالم الثالث" من قبول "العالم الأول" على أنه هو النموذج الإجباري [للاتباع]. وهذا ما يمكن أن يسمى "النصر" في أحسن أحواله (أو أسوئها).

واتباعاً لعادة جيدة من عادات الخدمة الخارجية الألمانية، فقد كنا نقضي أول عطلة لنا في الدولة المضيفة لنا؛ المغرب. وها هي سيارتنا الفولكسواجن - جولف تأخذنا في رحلة ذهاب وعودة غريبة فريدة، مبتدئين من منتجع التزلج (!) "إفرين"، جنوب فاس، خلال سلسلة جبال الأطلس العالية والمتوسطة، وإلى الرشيدية، وعرفض، وريساني، وتنجيرت، وأزازات، وأغادير، وانتهاء بتزنيت على كتف الصحراء الغربية.

وفي الفندق التاريخي، باليس سلام تارودانت، عاصمة منطقة سوسي الخصيبة (إذا أمطرت السماء)، تنبهت فجأة أن عليَّ أن أردَّ على مقال فوكوياما بأن أشير إلى أن قضية الصراع بين الشرق - والغرب قد حلَّ محلها ببساطة قضية الصراع بين الشمال - والجنوب، وهذا دليل على حقيقة أنه لا يزال هناك بديلٌ عن الطريقة الغربية للحياة، وهو: "الإسلام".

وفي هذه الأثناء، يجب عليَّ أن أحلل العديد من الأنواع الرئيسة للتمييز العنصري ضد الإسلام، والتي تعمقت جذورها جداً في العقلية الغربية، مخصصاً فصلاً لكل قضية من القضايا الشبيهة بما يلي: الحرب المقدسة، القدرية، الظلامية أو النزعة إلى إعاقة التقدم وانتشار المعرفة، التعصب أو عدم التسامح، الحجاب، وقانون العقوبات الإسلامية.

وقد عدنا في اليوم التالي إلى الرباط، قبل إتمام الرحلة، كي أتمكن من البدء بتنظيم الكتاب وصياغة أفكاري. وبعد ثلاثة وعشرين يوماً أصبحت مخطوطة الكتاب جاهزة، ما عدا الفهرس. وأخيراً، وبعد شهرين من ذاك التاريخ، قبلت دار النشر المرموقة يوجين ديدريشز *Eugen Diederichs* في ميونيخ وافقت على نشر الكتاب في برنامج منشوراتها في الخريف. وسمي هذا الكتاب: "الإسلام: البديل".

أقدم مدينة في العالم؟

دمشق - ١٠ شباط/فبراير ١٩٩٢

تدعي دمشق، كما هي حال حلب، والريحة، إنها هي أقدم مدينة في العالم. ومع ذلك، فإن دمشق، وهي عاصمة الثقافة في الشرق الأدنى، تملك ما تقدمه، وبكل تأكيد، أكثر من "الأبدية". وتمتاز اللهجة العربية التي يتكلمها الناس هنا [في دمشق] بنكهة خاصة، فهي ذات ظلٍّ وجمال أخَّاذ؛ مما حدا بأستاذ الشعر الموسيقي الألماني راينر ماريا ريلك *Rainer Maria Rilke*، أن يؤخذ بسحرها وجمالها دونما أدنى حاجة لأن يفهمها!... ومع ذلك، فإن أمراً واحداً لا يقبل الجدل هناك، وهو أن المنطقة بين الفرات ودجلة، والبحر الأبيض المتوسط، كانا مهد الحضارة البشرية. (وللتأكد من هذا الموضوع يكفي أن تزور المتحف الوطني المحلي).

فالطريق المستقيم، وهو بطول كيلومترين، الذي يخترق المدينة القديمة، والذي لا يزال موجوداً، كما ورد وصفه في "أعمال الرسل". كما تذكرنا هذه المدينة بالقديس بولس، والذي اعتنق النصرانية حوالي السنة الثالثة والثلاثين بعد الميلاد، ثم أصبح بنصرانيته المتشددة المغالية المتطرفة المؤسس الحقيقي للنصرانية.

كما أن دمشق هي إحدى الأمكنة التي وصفها دليل ميشلان *Michelin Guide* على أنها: "مدينة تستحق الرحلة إليها". إلا أنني أتيت إلى هنا لسبب واحد وهو أني: أردت أن أصلي في مسجد بني أمية الرائع [المسجد الأموي]. وهو المسجد الجامع الذي كانت تُقام فيه صلاة الجمعة للخلفاء الأمويين الأربعة عشر الذين أقاموا هنا حتى عام ٧٥٠، وهذا

المسجد، بعد المسجد الحرام في مكة، ومسجد النبي ﷺ في المدينة، وبعد مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى في القدس، فإنه بكل تأكيد، الجوهرة الخامسة النفيسة المحترمة للتراث المعماري الإسلامي. ففسيفساؤه الملونة التي توضح النباتات، وإلى جانب ذلك، الهندسة المعمارية المدنية المعاصرة، هي جزء لا يتجزأ من التراث الحضاري للبشرية.

وبما أن الشخص الوحيد الذي سلم من هذه السلالة الحاكمة (بعد الثورة العباسية) استطاع تأسيس الخلافة الأندلسية في قرطبة، فليس بوسع المرء أن يحلَّ الخيوط أو الألغاز لتاريخ هذه الدولة دون العودة، عاجلاً أم آجلاً، إلى دمشق. وقد عاش الأمير [القائد] الكردي الفذُّ، صلاح الدِّين الأيوبي، والذي كان المناوئ الأكبر للحملات الصليبية، بل وكان علماً معروفاً في عصره، عاش أيضاً في دمشق عشر سنوات من عمره، ودُفِن خارج المسجد الأموي الكبير. كما أن دفن يوحنا المعمدان داخل حرم هذا المسجد الكبير هو شذوذٌ متجذِّرٌ في الماضي النصراني للمبنى. ومع ذلك، فليس للمسجد ماضٍ فقط، بل إنه يتمتع بمستقبل: فحسب بعض المعتقدات الإسلامية والإيمان بالأخرويات، فسيعود [سيدنا] عيسى عليه السلام، مرة أخرى إلى هنا [إلى دمشق] في نهاية الزمان، وبالتحديد على المنارة الجنوبية الشرقية...

واليوم، كانت درجة الحرارة الخارجية متجمدة - ٥° مئوية تحت الصفر، وفي طريقنا إلى مطار دمشق، نشاهد منظراً ساحراً، إلى درجة السخف: التلال الرملية تغطيها الثلوج، وكذلك أيضاً المسجد الأموي. لقد كانت أرض المسجد في الحقيقة زلقةً جداً حتى إني كدت أمشي على "الأربعة" أثناء ذهابي لأداء الصلاة!

وقد زرت في اليوم التالي ضريح محي الدّين بن عربي، الشيخ الأندلسي الأكبر الذي توفي هنا [في دمشق] عام ١٢٤٠، والذي يُعَدُّ أكبر

شيخ من مشايخ الصوفية، حتى من قبل بعض نساك النصارى " الباطنيين". ويدهش المرء عندما يرى أن المنطقة التي دُفن فيها ابن عربي في الطرف الشمالي من مدينة دمشق، بأنها ذات روح عثمانية موغلة جداً، وكأنها قطعة نقلت من اسطنبول وجيء بها إلى دمشق، وهي الجزيرة "الثيوصوفية" [التأمل الفلسفي] للسلام.

وأما بالنسبة لي، فليس لدي أدنى شك، أن الإضاءات الغنوطسية لابن عربي هي غير مؤكدة، بل ولا يمكن تأكيدها، وأنه لم يتمسح بفكرة "وحدة الوجود" فحسب، كنتيجة منطقية لمعتقداته الأفلاطونية الجديدة لوحدة الوجود (وحدة المخلوقات والكائنات جميعها)". وهل كان القرآن الكريم بالنسبة لابن عربي نصاً أم حجةً، فمن يمكن أن يقول هذا؟

إنني لا أنكر التعليل الثقافي الحضاري، إلا أن إمكانية الإجابة على السؤال ما إذا كان الله "حالاً" أم "فوق الوجود المادي"، وما إذا كان "واحداً" أم "كلهم". ومع هذا، فيجب على المسلم أن يتجنب إعطاء أية إجابات خاصة أو حتمية على مثل هذه الأسئلة، وأن يعتقد أن الله سبحانه وتعالى "هو أقرب إلينا من حبل الوريد"، وفي الوقت ذاته، ليس كمثله شيء. إن أي أسلوب آخر قد يوقع الإنسان في مخاطر الاعتقاد *theomorphic* للبشر، والذي هو بدرجة السوء ذاتها *antheomorphic pan* - لله.

وقد شاهدت من غرفتي في الفندق عدداً من الصلبان المضاءة على واجهات الكنائس في كل مكان في المدينة. ويقودني هذا إلى أن أفكر بعدد المآذن والمنارات الإسلامية الموجودة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا التي تُمْنَع من إعلان "الأذان" والنداء للصلاة.

ملخص إعدامي من قبل الإعلام...

الرباط. ١٥ آذار/مارس ١٩٩٢

أعلنت دار النشر المرموقة يوجين ديدريشز *Eugen Diederichs* في ميونيخ إعلاناً مبكراً عن نشر كتاب: "الإسلام: البديل" إلى كل من مكتباتها والإعلام. وقد أثار هذا مقاومة فورية، وذلك قبل أن يصدر الكتاب بزمن لا بأس به، بل لم يقصر حتى مندوبي مبيعات الكتب المتنقلين من المساهمة في هذه المقاومة.

كان بإمكاني الآن أن أقرأ في الصحافة الألمانية، التي أذكت أوارها وزادت وقودها الحركة النسائية اليسارية، أنني أدافع عن "تعدد الزوجات"، و"رجم الزناة"، و"ضرب النساء"، وقد كِيلت كل هذه الاتهامات الباطلة دون أي دليل، ولهذا، لم يكن الكتاب على الإطلاق "السفير" إلى البلد النصراني. (أي واحد يا ترى؟). بل لقد بدأ حتى أعضاء البرلمان من الحزب الاشتراكي الديموقراطي، بدؤوا مناقشة ما إذا كان يجب أن أُقَال من عملي.

وكانت المشكلة الأساسية في الدفاع أن الكتاب الذي دافعت فيه عن هذه الاتهامات السخيفة لم يتوفر في السوق إلا في السادس من شهر نيسان/أبريل، وبالتحديد، بعد ثلاثة أسابيع من بدء الحملة الإعلامية وانتشارها.

بل أصبحت أقرأ في الصحافة أيضاً أنني دفعت واحداً من أعضاء السفارة إلى الانتحار، وأنني أجبرت كافة الموظفات في سفارتنا في الرباط

على ارتداء الحجاب على وجوههن وأجسامهن. ولا شك أن هذه الاتهامات هي خطيرة وجادة، حتى لو كانت محض افتراءات كاذبة.

لقد كنت رجل إعلام شخصياً، إذ شغلت منصب مدير الإعلام والمعلومات في حلف شمال الأطلسي بين ١٩٨٣ - ١٩٨٧، حيث تعاملت مع العديد من الصحفيين المتخصصين في قضايا الدفاع العسكري والاستراتيجية النووية. وبما أن هؤلاء كانوا "النخبة العالمية"، فربما بقيت بريئاً من احتمال الإصابة بـ: "الصحافة الصفراء"، التي أتعرض لها حالياً في ألمانيا.

وحسبما نراه من خلفية تشويه سمعة الإسلام بشكل مستمر فيما يتعلق بما فعله سلمان رشدي، وبما فعلته حرب الخليج، فقد أصبحت بعض محطات التلفزة، وبعض الصحافة المطبوعة (وخاصة الصحيفة المصغرة "بيلد ام سونتاج *Bild am Sonntag*") مشتطةً جداً في ادعاءاتها التي لا دليل عندها عليها على الإطلاق، حيث كنت أنا الضحية، وأن "الإسلام" أمر غير دستوري، وبالتالي فهم يريدون رسم خط بين "الغالبية الجيدة" و"الأقلية الرديئة"، وهم المسلمون. وتسمى هذه الطريقة بالألمانية (وهي أساساً فاشيستية) "أوسجرينزن" *ausgrenzen* (وضع سياج خارجي)، *(out - fencing)* وأما الإعلام الذي ينخرط في هذه العملية فيعرف باسم: *Hinrichtungsmedien* (الإعلام الإعدامي).

إن من السهل أن "نبرهن" بالطريقة ذاتها (ولكن بكثير من التعليلات) أن كلاً من اليهودية والنصرانية هما أيضاً "غير دستوريين". أليس الإنجيل، وليس القرآن الكريم هو الذي دعا أولاً إلى رجم الزناة. أليس القرآن الكريم، وليس الإنجيل (العهد الجديد) هو الذي يحتوي على مقاطع وآيات تتمرد على من يشوه سمعة النساء؟

لقد اشتدت حدة الهجمات الإعلامية جداً حتى بدأت أشعر وكأنني "خارج عن القانون". وبالطبع، لم يكن مكتب الشؤون الخارجية في بون

ليسمح لي بإجراء دفاعي الخاص ضد الصحافة، وأنا سفير لهم، بل ولم يكن ليتدخل نيابة عني، اللهم إلا في الآونة الأخيرة جداً حين أصبح *corpus delicti* متوفراً في الأسواق. إنها الأحجية من طراز ٢٢، اللهم إذا كان هناك ما يمكن أن يكون كذلك!

فعندما أصبح باستطاعة مكتب الخارجية أن يقرأ كتاب: "الإسلام: البديل"، بفضل النسخة المبكرة التي استطاع الناشر أن يعدها بسرعة، استطاع أن يجد أن الكتاب موضوعي ولا غبار ولا اعتراض عليه. وقد "بُرِّئْتُ" بإصدار إعلان صحفي، والذي لم يشأ الإعلام تحليله والتعليق عليه، واستمريت في أداء عملي كسفير لألمانيا إلى المملكة المغربية.

لم يقدِّمْ أحد أية اعتذارات، ولم يقِّيمْ أحدٌ مدى الحزن والألم لأفراد عائلتي. بل إنني أنا شخصياً، في حقيقة الأمر، كنت أقل المتأثرين لأن الحملة الإعلامية بأسرها حدثت في شهر رمضان، وقد كان الصيام عوناً لي على الابتعاد عن الأمور الثانوية في الأهمية، كالمهنة والمكانة والاحترام.

وأما بالنسبة للجالية المسلمة في ألمانيا، فإن هذه الحادثة كانت، وستبقى، ذات أثر كبير. لقد كانت هذه الحادثة بالفعل محاولة واضحة لتحجيم المسلمين ووضعهم في المكان المحدد لهم، ولا داعي لأن نذكر هنا أن "فتوى الإعلام" وقناعتهم هي أنهم يتابعون "الإسلام"، وهو "غير صحيح سياسياً". ترى هل يكون الأمر أن هناك توجهاً أن الألمان لم يعودوا قادرين، ولا مسموح لهم، أن يخوضوا في أمور "ضد اليهود" و"ضد الساميَّة"، وهم الآن قد بدؤوا الخوض في أمور لتشويه سمعة "العرب" و"ضد السامية"، وأن المسلمين، من حيث الخلفيتان الدينية والعرقية، أصبحوا هم "كبش الفداء" الجديد؟

دروس المساء [الدروس الحسنية]

الرباط - ١٩ آذار/مارس ١٩٩٢

ما برحت أجلس متربعاً على الأرض في القصر الملكي بالرباط، سنة بعد سنة، ومساء بعد مساء، خلال معظم أيام شهر رمضان المبارك، حيث أستمع لحوالي ساعتين من الزمان قبل أن يحين موعد الإفطار، مصغياً لما يقوله العلماء المسلمون من مختلف أرجاء العالم الإسلامي. وكذلك يفعل كافة أعضاء مجلس الوزراء المغربي، ورئيس أركان الجيش المغربي، وجميع العاملين في السلك الدبلوماسي من المسلمين. بل، لا أعدو الحقيقة إذا قلت، بما أن هذا الحدث ينقل حياً على القنوات المتلفزة، فإن الشعب المغربي بأكمله يقضي الساعات الأخيرة معاً قبل أن يحين موعد الإفطار في رمضان.

وتستمر قراءة القرآن الكريم من قبل قُرَّاء أكفاء حتى موعد وصول الملك الحسن الثاني ومرافقيه من الأمراء، وغالباً ما يقدِّم هذه التلاوات ناشئون من الشباب من جنوب شرق آسيا. ويقدِّم هؤلاء كلام الله بطريقة فنية رائعة، وبقوة مؤثرة جداً تخيم على القلب وتأسر النفس البشرية بمعانيها وأدائها، سواء أفهم المستمع معاني كلام الله، أم لم يستطع أن يفهمه [لعدم مقدرته اللغوية].

ويجب على المرء أن يفهم كلام المتحدثين من العلماء، حتى ولو لم يعالج هؤلاء الموضوعات التي تتعلق بأحداث الساعة من منبرهم الذي يتكلمون منه. ويعتمد هذا، في مثل حالتي، على ما إذا كانوا يتكلمون اللغة العربية الفصحى، كما هي الحال حين يتكلم علماء فلسطين،

ولبنان، والأردن، وسورية، أو حين يتكلمون بلهجاتهم المحلية الدارجة، كما يفعل علماء شمال إفريقية. وقد عبَّر مدرسي السوري الذي يدرسني العربية عن هذا أفضل تعبير حيث قال: "لغة القرآن الكريم العربية هي "مقروءة" فقط، والعربية الفصحى "مكتوبة"، والعامية العربية هي "منطوقة" فقط." ومهما كان الأمر، فإنه عمل بطولي، فذ، أن تبقى اللغة العربية منذ أكثر من ألف وأربعمئة عام، "لغة القرآن الكريم"، وقد أصبحت مفردات القرآن الكريم لغة المختصين. ونحن، بالمقابل، لا نستطيع قراءة لغة تشاوسر *Chaucer* دون مساعدة.

إن ترتيب هذه المحاضرات التي تسمى "الدروس الحسنية" هو أمر رمزي. ويجلس الملك، مثل أي واحد منا، على الأرض، يستمع مصغياً لما يقوله "الأستاذ" الجالس على الكرسي العالي، وناظراً بعينيه إليه. وهكذا، فإن "الحكمة" توضع بشكل رمزي فوق "القوة" [أو السلطة]. ونسافر بذاكرتنا ونحن جلوسٌ هناك في تاريخ التعليم الإسلامي - إلى جامعة الأزهر في القاهرة، والزيتونة في تونس، والقرويين في فاس. والحق يقال، يجلس الطلاب على الأرض، كما نجلس نحن هنا، ويحيطون بأستاذهم الذي يستند إلى أسطوانة في المسجد ويشرح بإسهاب مسألة فقهية بمناقشتها أولاً بناء على ما ورد في القرآن الكريم، ثم ما جاء في سنة رسول الله ﷺ، وأخيراً، بالقياس على ما يجده في الفقه الإسلامي.

ويحدث أن يدلي الملك بمداخلاتٍ في الموضوع، كما فعل عندما سأل المفتي العام لمصر، الشيخ محمد [سيد] الطنطاوي، (والذي يشغل منصب شيخ الأزهر حالياً)، ولم يطلبْ منه "اختصار" محاضرته، بل "التوسع" فيها بالمجيء في اليوم التالي.

ويدعو كثير من السفراء المسلمين، بعد هذه المحاضرات، بالدور، كثيراً من المشاركين في هذه المحاضرات، لتناول الإفطار في بيوتهم.

وكان اليوم "دوري". فبعد أذان المغرب، قدمنا الماء، والعصير، وعصير اللوز، و"تميرات" للمدعوين، ثم أدينا صلاة "المغرب" جماعة في فناء الحديقة. وقد قبل صاحب السعادة السكرتير العام لحزب الاستقلال التاريخي، مهاتير محمد بوكيتا *Maitre Muhammad Boucetta* أن يكون إمامنا في الصلاة.

وقد اشتمل العشاء على شوربة الفريكة، وهو حساء غني لا بد منه في رمضان [هنا]، ومشاوي لحم الغنم، وبقلاوة، ومهلبية للحلوى. وقد التهمها الجميع بسرعة كبيرة كي يعود الجميع إلى أهليهم وبيوتهم قبل صلاة "العشاء".

وإنني أعجب، هل سيسمح الزمان مرة أخرى أن يأتي الوزراء، والمستشارون الملكيون، وزعماء الأحزاب إلى منزل سفير ألماني ليؤدوا صلاة فيه؟ (وبما أني مسلمٌ لا يجوز لي "المراهنة"، وليس مطلوباً مني أن أفصح عن "المراهنة" التي كنت سأضعها!).

الحج كمسألة لوجستية...

الرباط - نيسان/أبريل ١٩٩٢

هناك حكمة عسكرية ألمانية قديمة تقول بأن: "يمكن اختصار أية مشكلة إلى مسألة "لوجستية"، بحيث يمكن إدارتها. وأما فيما يتعلق بمسألة "الحج"، فإن بعض هذه المشاكل التي تواجهنا فيه هي: التلقيح ضد الحمى الشوكية، والحصول على تأشيرة الحج من السفارة السعودية، وحجز تذاكر السفر لرحلة الحج (والتنافس والتزاحم مع ٥٠٠٠٠ خمسين ألف حاج مغربي يحاولون أن يفعلوا الشيء ذاته في الوقت ذاته).

كما يجب على المرء أن يستعد لتأمين لباس الحج "الإحرام": منشفتان بيضاوان [أو قطعتان من القماش] غير مخيطتين، متساويتا القياس (متر × ١٨٠ سم)، ونعالٌ غير مخيط أيضاً، وحزامٌ جلدي غير مخيطٍ أيضاً ذو ثلاث حجرات، (بحيث يستوعب كلاً من الهوية، وتذاكر السفر، والأدوية اللازمة، ونقود النفقة)، وربما مظلة بيضاء، قد تكون أداة لإنقاذ الحياة، وجرابٌ غير مخيط أيضاً لحمل القرآن الكريم، ودفتر للكتابة، وعلبة بيبسي كولا احتياطية، وبعض المأكولات المجففة). واقترح طبيبنا، الملمُّ جداً بالمشاكل الصحية التي يتعرض لها الحجاج، أن نأخذ معنا بعض الأدوية المضادة للحمى، والغثيان [القيء]، والإسهال، وتسلخ ما بين أصابع القدمين [أو التسليخ بشكل عام].

إلا أن هذا كله هو فقط "الأغراض" المادية. وبما أن الحج هو أمر ديني تعبدي، فلا بد للحاج أن يتثقف ويلم بالمظاهر الروحية للحج وأركانه، والتي يعود تاريخ معظمها إلى دين التوحيد؛ الحنيفية السمحة، دين أبينا

إبراهيم عليه السلام. وإلا، فسيخاطر الحاج بأن يتعرض لمخاطر جسيمة بسبب التعب والإرهاق والإجهاد الشديد الذي يسببه المناخ القاسي والصعب جداً والزحام البشري الشديد؛ لذا، فقد قرأت كل ما استطعت أن تقع يدي عليه من المنشورات والكتب، وسألت أصدقائي الذين أدوا مناسك الحج آلاف الأسئلة عن الحج وتجربتهم فيه. لقد أردت من كل قلبي أن أحج، إذ إنني أشعر أن الحياة ناقصة تماماً من دونه. ومع ذلك، فقد كنت خائفاً [متردداً] بعض الشيء.

ولم تتحسن الحال عندما زارني أصدقائي وجيراني ليودعوني قبل سفري إلى الحج. بل، في حقيقة الأمر، إن الناس هنا في المغرب يذكرون تماماً كم كانت الأخطار التي تحيق برحلة الحج التي تبلغ ١٢٠٠٠ اثني عشر ألف كيلومتر ذهاباً وإياباً إلى مكة والمناسك، وذلك قبل عصر الطيارات النفاثة، فقد كانت تستغرق حوالي سنة من الزمن، وغالباً ما لا يعود "الحاج" من رحلته تلك.

الصبر عند الشدائد والملمات...

مطار محمد الخامس. الدار البيضاء ٢٨ أيار/مايو ١٩٩٢

انتظرنا، دون جدوى، طيلة الليل، وصول الطائرة النفاثة السعودية الضخمة. ولكن، كما هو متوقع من الحاج، وواجبٌ عليه: ألا يشكو أو يتذمر، وألا يعترض. وقد تجمعنا جميعاً نصلي قيام الليل، وصلاة الفجر على أرض المطار الرخامية الصلبة، دون أن نشكو أو نعترض.

وأخيراً، ففي الساعة ٥:٣٧ صباحاً، بعد عشر ساعات تأخير، غادرنا المطار إلى جدة. وبدلاً من الاستماع إلى "الموسيقى" المألوفة، استرحنا واستمتعنا بالاستماع إلى آيات القرآن الكريم تتلى علينا من خلال مكبرات الصوت.

كان الركاب الذين جلسوا إلى جانبي في الطائرة مسلمين من السينغال، من أتقى الأتقياء. وكان من بينهم رجل وقورٌ محترم اسمه مختار ديوري *Mokhtar Diouri*، أحد أبناء الرئيس عبده ضيوف.

وقبل الدخول في المجال الجوي لمكة المكرمة [الميقات] ذكّرنا قائد الطائرة بضرورة إعادة نيتنا لأداء مناسك الحج، وارتداء ملابس الإحرام، وأداء ركعتين في حال جلوسنا في مقاعدنا. ولقد تحول ركاب الطائرة بأكملها، خلال زمن يسير، إلى اللون الأبيض.

في "روضة" المسجد النبوي...

المدينة المنورة ـ ٣٠١ حزيران/يونيو ١٩٩٢

لقد تمت توسعة المسجد النبوي في المدينة المنورة مرة تلو الأخرى حتى أنه لم يعد يقتصر، كما كان الحال عام ١٩٨٢، على جزء من المدينة، بل توسع اليوم ليشمل منطقة كبيرة. ويحيط بالمسجد النبوي إحدى عشرة مئذنة (علماً بأنه تمَّ التخطيط أن يكون هناك أربع عشرة مئذنة)، ويستوعب المسجد النبوي حالياً لعدد من المصلين يبلغ ٤٨٠٠٠٠ شخص في وقت واحد. ومع أن المسجد مفتوح من الجوانب، وجزء منه دون سقف، فلا تزال درجة الحرارة معتدلة فيه. وقد استطاعت شركة هندسية إسلامية ألمانية قريباً من شتوتغارت بناء مظلات عملاقة من المعدن الخفيف بطريقة عبقرية فذة تنفتح عندما تظهر الشمس خلال ساعات النهار، وتغلق في ساعات المساء، بينما يتم دوران المياه الباردة للتبريد تحت الأرضية التي يمشي المصلون عليها.

وعندما اتجه مئات الآلاف من المصلين، عند وقت الصلاة، من الحجاج وغير الحجاج، كنت أنا والشيخ النحناح الجزائري متجهين أيضاً إلى المسجد، ولكن ليس على الأقدام، بل في سيارة أجرة مكيفة. وصدِّقْ أو لا تُصدِّقْ، لقد تنحى الناس عن طريق السيارة بسلام وهدوء دون أن يحملقوا بمن كان داخل السيارة، أو يضربوا بأيديهم على هيكلها الخارجي وسقفها، كما هي الحال في أي ظروف أخرى. إن العاطفة الدينية الصادقة تكذِّبُ القوانين الاجتماعية للجماهير.

جلس إلى جانبي في المسجد موظف بنك باكستاني يعمل في البحرين، وعامل ضيافة تركي من بوكوم *Buchum* بألمانيا. وهكذا، فقد أثبتنا نحن الثلاثة *in nuce* عالمية هذا الدين العظيم؛ الإسلام.

ولم نستطع أن نزور القسم التاريخي الصغير في المسجد: "الروضة" النبوية الشريفة، إلا حوالي منتصف الليل، عندما فرغ المسجد من أكثر المصلين. وقد كانت هذه الروضة الشريفة، خلال عهد النبي ﷺ تحيط بها بيوت أزواجه؛ أمهات المؤمنين. وقد دفن حبيبنا ﷺ في حجرة أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، وقد دُفِنَ معه وزيراه، وصاحباه الكريمان، أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، رضي الله عنهما. وهنا، حيث عاش الحبيب ﷺ، وعمل، وخطب، ووعظ، وأحبَّ، ومات، نجد كثيراً من الحجاج يُجهشون بالبكاء، ولا يستطيعون تمالك أنفسهم على الإطلاق. ألم يحلموا سنواتٍ طويلة أن يأتوا ليزوروا الرجل الذي غيرتْ رسالته حياتهم؟

وعلى خلاف ما كانت عليه الحال عام ١٩٨٢، فقد أصبح المسجد النبوي الآن متاخماً تماماً لحدود جدار مقبرة البقيع؛ المقبرة الإسلامية التاريخية، بل المقبرة التي تضم عدداً كبيراً من آله الكرام، رضي الله عنهم وأرضاهم، وأصحابه الغرِّ الميامين، رضي الله عنهم (بما في ذلك: عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وفاطمة الزهراء، رضي الله عنها، وعائشة الصديقة بنت الصديق؛ أم المؤمنين، رضي الله عنها وأرضاها). وقد درست معالم هؤلاء الصحابة والآل الكرام بطريقة لا يعرف مواقعهم فيها إلا الخبراء، حيث لا يمكن تعريف قبور الأفراد في هذه البلاد. ولا شك أن هذه طريقة جوهرية غير مسبوقة لإزالة عبادة الأشخاص وتقديسهم من قلوب الناس! وقد لاحظ الشيخ النحناح معي غضب جماعة كبيرة من الإيرانيين من هذه الحالة. إلا أن الأمر لم يصل بهم إلى حد "الانفجار" و"الثورة". كان الصبر وحب السلام أهم صفتين في الحج، وأي مخالفة كانت كفيلة بأن تبطل "الحج"، لو يقول الله تعالى في كتابه الكريم،

البقـــرة: ١٩٧: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾.

كما أن السعوديين يتميزون باتباع الطريقة الجوهرية ذاتها وتجاهل الأمور العاطفية من نظرتهم الوهابية إلى الأمور فيما يتعلق بالإرث المعماري، مهما كان الأمر صغيراً، وقد شمل هذا كلاً من مسجد "قباء" ومسجد "القبلتين". فقد زرتهما أنا وزوجتي عام ١٩٨٢ وكانا لا يزالان على وضعهما القديم، إلا أنهما استبدلا مؤخراً ببنائين حديثين أكبر بكثير مما كانا عليه في السابق. إنه، دون شك، إحساسٌ مدهشٌ بترتيب الأولويات!

وقد قضينا، أنا والشيخ النحناح، عدة ساعات بعد صلاة العشاء نحدِّث الطلبة الجزائريين. فهل يستطيع أحد أن "يحزر" الموضوع الذي تحدثنا عنه؟

"الحجُّ" ليس هو "العمرة"...

مكة المكرمة ٥ ـ ٩ حزيران/يونيو ١٩٩٢

لقد كان يراودني شوقٌ عظيم لمكة المكرمة، منذ أن وطئت قدمي (اليمنى) ثرى المسجد الحرام فيها للمرة الأولى. لا زلت أشعر بالحنين إلى الجو العبق الذي يميز مكة المكرمة عن غيرها، حيث يشعر المرء بتركيزه على ربه، وخالقه، وبارئه، ومصوره؛ الله العزيز الحميد. (ولا مقارنة بين مكة المكرمة وأي مكان مقدس آخر للعبادة عند النصارى، إذ إن ذلك مضلِّلٌ، لا محالة. مكة المكرمة مكانٌ آخر...).

لقد وصلنا إلى الحرم الشريف هذه المرة من خلال أحد أنفاق المرور الكثيرة التي فتحت في التلال والجبال الصخرية المحيطة بمكة المكرمة، مما يجعل تلك الجبال تبدو للناظر وكأنها "قطعة" من "الجبن السويسري" [الطري]. وقد خرجنا من النفق لنجد أنفسنا وجهاً لوجه، في مواجهة "مسجد المساجد". كانت مفاجأة جميلة دو شك: أن يشعر المرء فجأة أنه انتقل إلى "بيته".

وهكذا، فقد طفت ثانيةً سبعة أشواط بالبيت العتيق، ومرة ثانية أيضاً، سعيت سبعة أشواط بين الصفا والمروة. والفارق الوحيد هذه المرة أن الفصل لم يكن "الشتاء"، بل كان "الصيف" حيث بلغ متوسط درجة الحرارة ٤٤ مئوية، وأني لم أكن واحداً من عشرة آلاف، بل كنت واحداً من مليوني حاجٍّ إلى بيت الله.

كان الزحام شديداً جداً إلى درجة استحالة إمكانية استخدام "المظلة" للاحتماء، ولو قليلاً، من لفح حرارة الشمس القاسية. وكانت هذه

هي النقطة الحرجة، إذ يحتاج الحاجُّ ساعتين على الأقل لأداء مناسك الطواف والسعي، بل مرَّتْ بي أوقات لم أكن لأستطيع خلالها التحكم حتى بحركتي الشخصية، حيث كنت كقطرة من الماء في موجة بشرية عارمة، لا تستطيع الحراك. ولقد شعرت بسعادة غامرة أنني تعرفت على مواقع هذه المناسك خلال رحلة "العمرة". إلا أنه، عند بذل هذا المجهود العضوي الكبير، يصعب على المرء أن يعي تماماً "الأبعاد الروحية" لما يفعله هو والآخرون من حوله.

وقد حاولت الفرار من الزحام في المرة التالية بأن أطوف حول الكعبة المشرفة من الدور الثاني، والذي يقع على سطح مسقفات الحرم المكي الشريف، حتى ولو كانت المسافة التي سأمشيها أكبر بكثير من المسافة التي أمشيها وأنا أطوف حول الكعبة المشرفة تماماً على الأرض. إلا أن الأرض كانت تغلي ملتهبةً من شدة الحرارة في الطابق الثاني، وبعد أن بدأت أمشي كـ: "الدب الراقص"، كان لابد لي أن أتراجع عن هذه الخطة وأتركها.

وليس مستغرباً، ولا مفاجئاً، أن نرى بعض الضحايا والوفيات في مثل هذه الأحوال، وفي مثل هذا الزحام والأعداد الهائلة من البشر من الحجيج، وبخاصة ممن يعانون من "ضربات الشمس"، و"الأزمات القلبية". وكنا نُدْعَى للصلاة على الأموات بعد كل صلاة من الصلوات المكتوبة لنصلي على الحجاج الذين اخْتَرَمَتْهُم المنون بعد الصلاة الفائتة. وكان من المحتمل جداً (وليس مخاطرة) أن أكون "واحداً" من أولئك الأموات.

وكنت أثناء طوافي حول الكعبة المشرفة أتضرع إلى الله وأتوجه إليه قائلاً: "اللهم إنا نسألك حق المعرفة بك في كل وقت وفي كل مكان". وقد أصبح هذا الدعاء موضوع دعائي طيلة فترة الحج.

عرفات...

منى/عرفات/مزدلفة/منى/مكة. ١٠ . ١١ حزيران/يونيو ١٩٩٢

يستعد الحجيج في ليلة التاسع من ذي الحجة، يوم وقفة عرفة، للوقوف في عرفات، إذ إن "الحجّ عرفة"، فمن فاته "الوقوف" بعرفة، فاته "الحج" كله. فلا عجب إذن أن يشعر الجميع بشيء من الارتباك والقلق. نسألك يا ربنا أن تيسر أمورنا ولا تعسر منها شيئاً، يا رب العالمين.

وها نحن أخيراً، أكثر من مليوني حاج، يلتف كل منا بلباس أشبه ما يكون بـ: "الكفن" الأبيض، وكأننا نتوقع "يوم الحساب"، وكل منا يلبي: "لبيك اللهم لبيك!" من يا ترى في الغرب يستطيع أن يستوعب هذا التكريس وهذا التفاني في العبادة؟

ويخطب الخطيب عند صلاة الظهر الخطبة ذاتها [بمفهومها] التي خطبها النبي ﷺ في خطبة الوداع عند الصخرات، قريباً من جبل الرحمة في عرفات، عام ٦٣٢. كان معي في الخيمة مسلم أمريكي؛ أستاذ إحصاء اقتصادي في جامعة جورج واشنطن. وقد صلينا، وتأملنا، ثم صلينا، وتناقشنا، ثم صلينا، الساعة تلو الساعة.

كان الجو حاراً، وقد بلغت درجة الحرارة ٥٢° مئوية بحيث بدأ الهواء ذاته يهتز من شدة الحر. وقد احترق جلد أسفل قدمي عند ذهابي إلى الحمام لقضاء حاجتي، ولم أصطحب مظلتي!... إلا أنني لم ألحظْ ذلك. ويبدو أن المتمرسين بأعباء الحج يدركون أنه العقبات والمصاعب الكبيرة أثناء الحج ليست سوى ترهات صغيرة فقط.

وبعد غروب الشمس، اتجهت ٥٠٠٠٠ خمسون ألف حافلة ركاب،

ووصلت إلى "مزدلفة"، في الوقت ذاته. وكانت النتيجة "زحام" عجيب جدير بأن يحتل مكاناً في كتاب "جينيس" للسجلات العالمية!... ففي مزدلفة، حيث نتوقف هناك لأداء صلاتي المغرب والعشاء، هي مكان على بعد (٧) سبعة كيلومترات فقط من عرفات، إلا أننا استغرقنا أربع ساعات حتى وصلنا إليها. وقد وصلناها منهكين، جائعين، ونكاد نهلك من العطش. وقد بدأنا قبل كل شيء، متناسين تعبنا وإرهاقنا وعطشنا، بأداء صلاتي المغرب والعشاء جمعاً وقصراً. ثم جمعنا عدداً من الحصى لرجم الشيطان في منى، ثم انطلقنا نحو منى. وفي منى، أدينا عبادة من أقدم العبادات، محاولين أن نعلن رفضنا الشخصي لكل ما هو شيطاني. ثم وجدنا أنفسنا خلال فترة وجيزة في مكة مرة أخرى لأداء صلاة الفجر، حيث تمكّنا من الوصول إلى مكة قبل الشروق بقليل.

لقد كنا متعبين منهكين إلى حدٍّ يفوق الوصف، إلا أننا كنا في حال من السعادة والسرور بقدرٍ يفوق الوصف أيضاً، وطفنا طواف الإفاضة، وهو الطواف قبل الأخير في "رحلة الحج"، وأدركنا بهذا أننا أصبحنا "حجاجاً". وتأملتُ الكعبة المشرفة، [زادها الله تشريفاً وتعظيماً]، هذا البيت الذي يعبر عن "التوحيد" بأجلى معانيه، ولا ينافسه فيه بيتٌ على وجه المعمورة، وقد تجلتْ الكعبة المشرفة ببهاء معماري أخاذ كامل ببساطة بنائها وليس بتعقيده أو زخرفته.

وبعد ستة وعشرين ساعة من الوقوف والعبادة والحركة المستمرة، وصلنا في نهاية المطاف إلى مخيم مؤقت للإقامة في منى ثلاثة أيام يهنئ بعضنا بعضاً، ويبارك بعضنا لبعض سائلين الله العلي القدير أن يقبل حجنا وعبادتنا. وعندما استيقظت كان الوقت قد حان لرجم "الشيطان" للمرة الثانية خلال الحج.

عيد الأضحى... في المكان ذاته

منى ١١ ـ ١٢ حزيران/يونيو ١٩٩١

يحتفل المسلمون حول العالم اليوم بعيد الأضحى، احتفالاً بما يجري الآن هنا [في مكة وعرفة ومنى]، حيث سيقوم أكثر من ١٠٠٠٠ عشرة آلاف جزار بذبح أكثر من ٥٠٠٠٠٠ خمسمئة ألف رأس من الغنم داخل منى وحواليها. ويتم تجميد لحوم أكثر هذه الأضاحي فوراً، وسيبدأ شحنها غداً إلى المناطق المحتاجة في العالم الإسلامي كالصومال مثلاً. وعندما دفعت ثمن "الأضحية" التي يجب أن أذبحها طلبت منهم إرسال لحمها إلى البوسنة.

إن "الأضحية" أيضاً هي أمرٌ في منتهى درجات العبادة الرمزية. يفعلها الحاج احتفاء وتذكراً لما فعله إبراهيم الخليل عليه السلام عندما أبدى استعداده الفوري لذبح ابنه إسماعيل، امتثالاً لأمر الله، والاستعداد الفوري لنبي الله إسماعيل عليه السلام، وهو لا يزال غلاماً يافعاً، أن يُذْبَح فوراً، نزولاً عند أمر الله وامتثالاً له. غير أن الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يحدث ذلك، وبهذا ألغى، وإلى الأبد، عادة تقديم "الأضحية" البشرية. لقد اختبر الحقُّ سبحانه وتعالى تسليم إبراهيم وابنه إسماعيل واستسلامهما لأمر الله وقضائه، وأبدله الحق سبحانه، وفداه بـ: "ذِبْحٍ" (كبشٍ) عظيم. ولهذا، فيجب علينا أن نتذكر، نحن الحجاج، أن نكون على استعداد دائماً أن نضحي بأغلى ما عندنا إذا اعترض استسلامنا وانقيادنا وتسليمنا لأمر الله سبحانه وتعالى. وعندها فقط تتكون لدينا المناعة الحقيقية ضد عبادة الأوثان والأصنام المعاصرة.

وفي طريقي لرمي الجمار للمرة الثالثة والأخيرة، مررت بمنى في

منتصف الليل. شاهدت الحجاج ينامون في الشوارع وعلى الأرصفة في كل مكان، وتركت كثير من الحافلات مكائنها تعمل طيلة فترة الوقوف لتؤمن شيئاً من الجو المعتدل نسبياً للحجاج الذين بقوا فيها. كان الدخان ينبعث من عوادم تلك الحافلات، وكانت مخلفات الطعام والفضلات تعبق الجو برائحة كريهة قوية مما جعلني أحاول أن أغطي أنفي بقطعة من القماش المبللة بالماء المعطر.

في تلك الحالة غير العادية، وكأن كل شخص من حولي يجيد "التركية"، توجَّهَ إليَّ حاجٌّ تركِيٌّ بسؤالٍ لم أكن مستعداً للإجابة عنه: "أين الشيطان؟" ودون أن أنفجر ضاحكاً، أشرت إلى الطريق المؤدية إلى أقرب مواقع الشواخص الثلاثة التي تمثِّل الشيطان. قطعاً، لا يستطيع أحد أن يشير إلى موقع الشيطان ويحدده بدقة تامة في الأيام والمواقع العادية، أليس كذلك؟

وفي ثاني أيام العيد، دعاني الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود في قصر إقامته بمنى. ولفت نظري بين المدعوين الآخرين سلطان بروناي، وابن الرئيس الإيراني [الأسبق] رفسنجاني، ورئيس المحاكم الباكستانية، وأنيس منصور؛ الكاتب المصري المشهور المحنك. وهذا أيضاً يذكرنا بالحقيقة الهامة، سنةً بعد أخرى، بأن الحج إلى مكة هو أيضاً مؤتمر غير رسمي يلتقي فيه المفكرون والمثقفون والسياسيون في "جامعة" جوالة.

واتبع "الغداء الملكي" أحد الآداب الإسلامية المعروفة: أحاديث طويلة قبل أن تقدم مائدة الطعام، وأن يكون الكلام قليلاً مختصراً (وأن يكون تناول الطعام سريعاً) على المائدة، وأن يغادر المدعوون فور انتهائهم من الطعام. وهكذا، فخلافاً لما تعودنا عليه من عادات غربية، لم أنتظر أن "يرفع" الملك الطعام عن المائدة، بل على نقيض ذلك، غادرت المكان فور

الانتهاء من تناول قدرٍ كافٍ من الطعام. وهذه طريقة تترك، حتى الملك، وحيداً على مائدته، بعد أن يغادر آخر ضيف من ضيوفه.

وعند عودتي بالطائرة من جدة إلى الرباط بعد عدة أيام، قدَّم لي مضيف الطائرة العدد الأخير من مجلة التايم، وكان العنوان الرئيس فيه: "الإسلام: هل يجب أن يخاف العالم؟".

لو كان هناك حيتان...

بون ـ ١٩ تموز/يوليو ١٩٩٣

التقيت مصادفة بزميل قديم وعزيز قديم في مكتب [وزارة] الخارجية، الدكتور هانزجورج إييف *Hansjorg Eiff*، آخر سفير لألماني في يوغسلافيا (قبل تمزقها). كلانا يعاني من إحباط خلال السنتين الماضيتين بسبب ما يسمى "العالم المتمدن"، الذي يُفتَرض أن يمثل الإنسانية، ويهتم بحقوق الإنسان، وهو يشاهد ما يحدث في البوسنة بسلبية تامة، ويرى كيف يتم تدميرها واغتيال سكانها المسلمين بمذابح جماعية لا إنسانية [ذبح النعاج].

وفي اعتقادي أنه كان يمكن الحيلولة دون حدوث هذه المأساة بأكملها لو أن بعض دول حلف شمال الأطلسي تدخلت بحزم لحسم الخلاف خلال الوقت المناسب، وحسب قواعد "إدارة الأزمات"، وطرق تصعيد الحلول التي غالباً ما يتم اتباعها أثناء تدريب الموظفين. كان بالإمكان "عزل" "المعتدي"، صاحب النزعة العدوانية، وإعطاؤه مهلة قصيرة جداً مهدداً بسحب كثير من المزايا التي يرفض التنازل عنها، إذ إنها تفوق ما يمكن أن يحصل عليه من مكاسب نتيجة لعدوانيته.

ولقد حدث عكس ذلك. فلم تكن دولة "الصرب" التي تمَّ عزلها بمقاطعة فعالة، ولكن كانت "البوسنة". وكانت المواعيد التي ارتبطت بها التهديدات بعيدة جداً، مما أعطى إشارة غير مباشرة إلى "بلغراد" إلى أنه ليس هناك ما يجب القلق من أجله في هذه الحالة. ولو أن هناك جهة واحدة أعيقت عن التقدم، فقد كانت "الدول الأوربية"، ضحايا "الإعاقة الذاتية" ذاتها. فبدلاً من وضع بعض الشكوك في أذهان "الجنرالات" من العسكر

الصرب، فقد طمأن "الخبراء" العسكريون الغربيون، مرة بعد مرة، وبشكل يومي تقريباً معلنين أن الحل العسكري في البلقان "غيرُ ممكن"، أو أنه "مُكْلِفٌ جداً"، وغير مُجْدٍ.

وبناء على هذه الخلفية، فقد بدتْ المساعدات الإنسانية الغربية وكأنها "عذرٌ". كان "الغرب" يؤكد أن "البوسنويين" لم يكونوا "جائعين" عندما يذبحون بشكل جماعي. وكما وصف أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي هذه العمليات: "لو كان "البوسنيون" "حيتاناً"، لكانت جماعة "السلام الأخضر" و"الصندوق العالمي للحياة الفطرية" إلى جانبهم ليؤيدونهم ويؤازرون حقوقهم!".

كيف يمكن تفسير هذا الفشل الذريع في الرأي العام؟ لماذا لم تكن هناك دعوة عامة ضد فشل الحكومات أن تقوم بواجباتها؟ ويمكنني أن أفكر بتفسيرين مترابطين منطقياً. أما الأول فمستنتجٌ من الحقيقة القائلة إن الفشل في استنتاج نتائج عملية من الرؤية الصحيحة هو أحد الأعراض النموذجية للتحلل الأخلاقي. ترى، هل وصل التدهور الأخلاقي في الغرب إلى مرحلة تقول إن أي تضحية دون الحصول على مكسب مادي لا يمكن قبولها ودعمها على الإطلاق في مجتمع مادي بحت يعتمد المتعة واللذة في الحياة فقط؟ لقد كان المسلمون يشكون فقط بأن الغرب في الحقيقة قد تمَّ صرفه تماماً عن "النصرانية"، إلا أنهم الآن يعتقدون حقيقة هذا الأمر.

وأما التفسير الثاني فهو متعلق مباشرة بالحقيقة المرة: إن الضحايا كانوا مسلمين. وكما يعتقد كثير من المراقبين الغربيين، فإنني أنا شخصياً مقتنع قناعة تامة أن دول حلف شمال الأطلسي كان بمقدورها أن تتدخل فوراً، وبشكلٍ حاسم، لو أن "الصرب" كانوا مسلمين، وكان "البوسنويون" من "الكاثوليك" أو "يهود". (وبالطبع، يمكن أن يكون الأمر أسهل لو أنه، بالإضافة إلى هذا، كان هناك حقول نفط وغاز طبيعي في

البوسنة والهرسك). وبالطبع، فمن الصعوبة بمكان أن يعترف أي واحد بذلك، إلا أن الأمر مقنَّعٌ بقناعٍ بمنتهى الهشاشة: إن كثيراً من الساسة الأوربيين سيشعرون بعدم الرضى والراحة والاطمئنان أن تكون هناك دولة "إسلامية" في "وسط" القارة الأوربية. ولا داعي لمثل هذا القلق: لقد ضمنت اتفاقية "دايتون" [في أوهايو - الولايات المتحدة الأمريكية] ألا يصبح هذا الأمر حقيقة [مهما كان الثمن].

أجل، لقد كان الضحايا البوسنويون أول الضحايا في أوربا، إلا أنهم لن يكونوا "الأخيرين" لحملةٍ كراهيةٍ، ونشرِ إعلام خاطئ، وتشويه سمعةٍ تنتشر تدريجياً ضد كل ما هو "إسلامي". إن ما يراه الإعلاميون من مكاتبهم يمكن أن يكون "حقيقةً داميةً" على الشوارع والطرقات.

إلا أن الأضرار أيضاً قد وقعت على الجانب الآخر من التقسيم الحضاري. ترى ما هي المضاعفات التي ستحدث في العالم الإسلامي على المدى الطويل للسخرية التي ستتطور هناك عن الأسلوب الغربي لـ: "حقوق الإنسان" و"الديموقراطية"؟ إن كثيراً من الشباب المسلم في العالم العربي عامة، وفي فلسطين خاصة، يستطيعون أن يروا بوضوح "الكيل بمكيالين" في السياسة الغربية الخارجية، وأخيراً وليس آخراً، ماذا حدث للديموقراطية في "هيتي"، مقارنة مع ما حدث في "الجزائر".

إن هذه التطورات هي عكس ما يراد منها لمد الجسور وبنائها ولجعل صدام الحضارات يبدو وكأنه نبوءة ذاتية الحقيق.

إنه لأمرٌ مخجل!

ميونيخ - ٢٢ تموز/يوليو ١٩٩٣

احتفلنا اليوم بالذكرى العشرين لتأسيس مسجد ميونيخ - فيرمان، والذي كان روحه الحقيقية أحمد فون دينفر *Ahmad von Denffer*. قراءة من القرآن الكريم، وذكريات وتأملات تاريخية، وبرقيات تهنئة، وكلمات.

كانت إحدى المداخلات هي التي قدمها ممثل الكنيسة [البروتستانتية] اللوثرية، المستشار الأعلى كلاوتيك *Klautke* والتي هزت مشاعر الجميع. فقد قال: "إنني أشعر وأنا بينكم في هذا المسجد وكأنني بين أهلي وإخواني تماماً لأنني أرى أن المرء في هذه البيئة قادر بشكل طبيعي أن يتحدث عن "الله". وأما في كنيستي، فإنني، في بعض الأوقات، أشعر بأن الناس يخجلون حتى من الإشارة إليه، وكأنه أمر مخجل لهم".

فإذا بلغ الأمر في الحقيقة إلى هذا الحد، بحيث لا يكون "النصراني" أكثر من "شعور إنساني"، فإن "الإسلام" بارتباطاته الشفافة السليمة، هو في الحقيقة "البديل الوحيد" لإعادة بناء القيم الروحية لأوربا.

كيف يمكن أن تكون سياسياً على صواب؟

فرانكفورت. ١٥ تشرين أول/أكتوبر ١٩٩٥

لقد أصبح واضحاً للعيان تماماً الآن أن سلمان رشدي يمكنه أن ينشر ما يشاء. إن انتقاده "ممنوع" بل "محظور". ومن ناحية أخرى، فإن أي شخص قد يكتب عن الإسلام بدرجة ملحوظة من التعاطف قد يجد نفسه في خطر.

هذا ما علمته خلال هذا الخريف آنميري شايميل *Annemarie Schimmel* الخبيرة الألمانية الدولية الشهيرة في العالم عن "الصوفية"، بعد فترة قصيرة من ترشيحها للجائزة السنوية المرموقة لاتحاد بائعي الكتب الألمان. فقد اعترفت، عندما انهالت عليها وسائل الإعلام، ودون أدنى حد من التعليل لفتوى الخميني الشهيرة ضد سلمان رشدي، أنها شخصياً قد تأثرت وتألمت، مثلما حدث لملايين المسلمين، بالعبارات "الكفرية" الجائرة التي احتوتها "الآيات الشيطانية" - كتاب سلمان رشدي - .

وهذا كان السبب. فبعد أن كانت الكاتبة موضوعاً هاماً للإعلام، فقد أصبحت الآن "الضحية المستهدفة" له. فقد بحث الإعلام في كتبها، التي تجاوزت العشرات، عن آرائها "المخالفة" لهم، والتي عبثاً حاول الإعلاميون [الجائرون] أن يجدوا لها أثراً. ولعل المأخذ الوحيد الذي حُمِل على هذه الأستاذة البروفيسورة للدراسات الإسلامية (في كل من هارفارد وبون) هو أنها تابعت أبحاثها الإسلامية بتعاطف معها، وليس بكراهية لها واشمئزاز منها.

وقد حاولت، كما حاول غير من أصدقاء الأستاذة شايميل، أن أقنعها ألا تنسحب، وإلا فسيكون الضرر الذي يلحق بالإسلام بالغاً جداً ولا يمكن تقديره. وقد شاركنا في هذا الرأي أيضاً الرئيس الألماني رومان هيرزوج *Roman Herzog*. فعندما أعلن أنه سيقدم الجائزة لها شخصياً، كما كان مخططاً لذلك، فقد حسم الأمر تماماً.

وقد نقلت الإذاعة والتلفاز اليوم حفل تسليم الرئيس الألماني رومان هيرزوج الجائزة إلى الأستاذة شايميل. وقد قال كل منهما في كلمتيهما أشياء رائعة جداً عن الإسلام كدينٍ وحضارة، وحذَّروا من مخاطر أن تصبح "العلمانية" معتقداً دينياً لا تسامح فيه، وبهذا يستخدم سلاح "الصواب السياسي" ببراعة تامة.

هذه معركةٌ فاز فيها وكسبها "الإسلام"، وفازت فيها "حرية الكلمة".

حوارٌ أم مواجهة

القاهرة ٢٤ . ٢٧ تموز/يوليو ١٩٩٦

إنني أشارك هذا العام في المؤتمر العالمي للمجلس الأعلى الإسلامي في مصر، كما هي الحال في عامي ١٩٩٣ و١٩٩٥. إلا أنني لم أعد أمثل نفسي فقط، بل إنني أمثل المجلس المركزي لمسلمي ألمانيا *(ZMD)*، الذي تمَّ إنشاؤه عام ١٩٩٥، والذي نأمل أن يكون منظمة للإسلام في بلدي، تعمل كمظلة حقيقية أصيلة له. ويشارك هذا العام، المستشار السابق هيلموت شميت *Helmut Schmitt*، معترفاً بأن الرئيس الراحل أنور السادات هو الذي عرَّفه على ما يتمتع به الإسلام من قوة وجمال، وذلك أثناء رحلة على نهر النيل.

ومع ذلك، فحتى دون حضور نجوم الحكمة (بما فيهم بابا الأقباط، شنودة الثاني)، فقد كان المؤتمر يستحق الحضور، حتى ولو كان للتعرف على الكثير من المسلمين الذين جاؤوا من أنحاء المعمورة لحضوره والمشاركة فيه. فعلى سبيل المثال، فضيلة الشيخ صبري كوتشي *Sabri Kotchi* من ألبانيا، والذي قضى سبعة وعشرين عاماً في سجون الشيوعيين بسبب إسلامه، أو المفتي يعقوب أفندي سلونيك *Yakub Efendi Slunic* من سراييفو الذي يشعُّ منه النور والبركات، أو كثير غيرهم من المسلمين من كوريا والصين والأرجنتين والبرازيل وموسكو وكييف وألما آتا، ولاغوس، ونيروبي، وغيرهم...

وبالطبع، تنعدم إمكانية التبادلات المفيدة حول طاولة المؤتمر مع كل مشارك من هؤلاء المشاركين الكثيرين. (ولهذا السبب بالذات، فإنني من

ناحية محتوى المؤتمر ومن أجل الأبحاث التي تقدم فيه، أفضل المؤتمرات الصغيرة، كالمؤتمر الذي يعقد في الأكاديمية الملكية الأردنية في عمان كل سنتين).

ويبدو لي أن هناك أمراً نموذجياً تقليدياً في المؤتمرات الإسلامية من الرباط إلى الرياض: إنها تميل إلى توحيد جهود الممثلين الراهنين، سواء أكانوا الممثلين الرسميين للحكومات، أو "العلماء". ومع ذلك، فلن يعني الكثير أن نناقش الحاجة إلى الحوار والتسامح، سواء أكنا نعالج العلاقات بين دول "شمال الكرة الأرضية وجنوبها"، أو حالة الدول الإسلامية، في غياب الذين يَتَحَدَّوْنَ الحالة الراهنة على أنها غير عادلة، ولا ديموقراطية، وغير إسلامية؟ وبالطبع أيضاً فمن الأسهل دائماً أن يتحدث المرء عن "مناوئيه"، بدلاً من أن يتحدث "معهم". ومع كل هذا، فلا تخلو هذه الطريقة من استمرار الخوف والإحباط، وكذلك لا بد من الحفاظ على الأمن من قبل قوات الشرطة، بدلاً من ضمانها بالموافقة والقبول.

قدَّمَ الرئيس حسني مبارك، أثناء الاحتفال الرسمي في ذكرى المولد للأستاذة آنميري شايميل، ولي شخصياً، "وسام النيل" من الدرجة الأولى، اعترافاً بالجهود التي نبذلها في إحياء الإسلام. وإننا نفسر هذا التزيين [التكريم] على أنه "إيماءة" ضد الدوائر المحاربة للإسلام في أوربا.

ما بعد مالكوم إكس...

رحلة لوفتهانزا من مطار دولوس إلى فرانكفورت. ٢٧ أيار/مايو ١٩٩٧

للسنة التالية على التوالي أزور الولايات المتحدة الأمريكية لإلقاء جولة من المحاضرات فيها. وفي السنة الماضية، فيما عدا منطقة واشنطن، شاركت بشكل رئيس في المؤتمر السنوي العام المؤثر للجالية الإسلامية في أمريكا الشمالية *ISNA* (كولومبوس، أوهايو، ٣٠ آب/أغسطس - ٢ أيلول/سبتمبر). وأما في هذا العام، فقد كانت الجولة من الساحل إلى الساحل، وقد رعى هذه الجولة مجلس "سانتا كلارا" و"واشنطن" عن العلاقات الأمريكية - الإسلامية *(CAIR)*، وهي منظمة فعالة ومكرسة لخدمة الحقوق المدنية.

وإنك أن ترى المسلمين يعملون في واشنطن ذاتها: مجلس المسلمين الأمريكيين *American Muslim Council (AMC)*، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في هيرندون بولاية فيرجينيا، ومدرسة الدراسات العليا للعلوم الإسلامية والدراسات الاجتماعية التابعة له في ليزبيرغ بولاية فيرجينيا، ومعهد العلوم الإسلامية والعربية في فيرفاكس بولاية فيرجينيا، فهذا أمرٌ، إلا أنك إن تَرَ "الإسلام الأمريكي في المحافظات [والمدن]، فهذا، دون شك، أمر آخر مختلفٌ تماماً عن الأول. وقد شاهدت الحياة الإسلامية في سانتا كلارا في آناهايم، ولوس آنجلوس بكاليفورنيا، وفينيكي - أريزونا، وديترويت - ميتشيغن، وشيكاغو، وملواكي، ولانسينغ، وباتيرسون، ونيوجيرسي، فقد زادني هذا الأمر تفاؤلاً على ما كنت عليه من قبل.

وبصورة إجمالية، فإنني عندما أقارن بين الإسلام في أوربا وما أراه في أمريكا، فإنني أرى ست نقاط اختلاف وتباين جوهرية تفضّل التطور الإسلامي في أمريكا على نظيره في أوربا، وهي كما يلي:

بما أن هناك عدداً كبيراً من أبناء الجالية الإسلامية "غير المهاجرين" [المحليين من سكان البلاد الأصليين] في الولايات المتحدة الأمريكية، فلا يستطيع أحد أن يقول للمسلمين الأفرو - أمريكيين [الزنوج/الأمريكيين السود]، مثلاً، "لماذا لا تعودون إلى المكان الذي أتيتم منه؟" كما هو حال المسلمين الأجانب في أوربا، حيث يقال لهم هذا غالباً.

ليست هناك فئة عرقية مسيطرة، علماً بأن هناك الكثيرين من المسلمين المهاجرين في الولايات المتحدة الأمريكية (ما عدا ما نراه في ديربورن حيث هناك كثافة عالية من المسلمين اللبنانيين من الشيعة). وأما في أوربا، فعلى خلاف ذلك، فإن غالبية المسلمين في فرنسا مثلاً هم من شمال إفريقية، وأما في المملكة المتحدة فهم من شبه القارة الهندية، وأما في ألمانيا فهم من الأتراك. وبالتالي، فإن المشهد الأمريكي هو أقل تأثراً بالتمييز العرقي، أو الخوف من الانغماس الحضاري.

إن كثيراً من المسلمين الأمريكيين وأولادهم متعلمون، ويحصلون على مستويات دخل جيدة، وهم مواطنون محترمون، بينما نلاحظ في أوربا أن غالبية المسلمين المهاجرين يدخلون البلاد على أنهم "عمال"، وهم عمال غير مؤهلين وليسوا ذوي كفاءات مهنية عالية.

لقد كانت أمريكا دائماً متعددة الأديان، وأما أوربا فليست كذلك.

يعاني الأوربيون من الذكريات الجماعية التي تعود جذورها إلى الحروب الصليبية والحملات العثمانية على أوربا الوسطى. وكذلك، فإن أوربا تقع على حدود الدول الإسلامية: فإلى جنوبها تقع شمال إفريقيا، وإلى

شرقها تركيا وآسيا الوسطى. وإن هذا يسبب قلقاً ومخاوف متبادلةً من قبل الطرفين لا يعاني منه الفرد الأمريكي العادي.

إن معظم المسلمين الأمريكيين هم مواطنون أمريكيون، وهذا خلاف ما عليه الحال في أوربا، ولا يمكن أن يحصل المسلم على التأكيد اللازم دون الحصول على جنسية، اللهم إلا بصعوبة بالغة.

ولا بد لي أن أضيف هنا نقطة أخرى: إن المسلمين الأمريكيين هم "أمريكيون"، وهذا يعني بالتالي أنهم "حركيون" ونشطون، ومبتكرون مبدعون، وملمون بالتقنية، وجريئون مقدامون، ومنظمون بشكل جيد، كما هي حال الأمريكيين بشكل عام.

وبالطبع، ليس كل شيء هناك جميل ووردي. إنني لست قلقاً بشأن جماعة "أمة الإسلام" المهرطقة *Nation of Islam*، إذ إن كثيراً من الأعضاء السابقين لجماعة المسلمين السود، بما فيهم محمد عليٌّ [الملاكم]، ومالكوم إكس، رأوا "النور" [الإسلام الحقيقي] أخيراً، وباعتقادي أن الآخرين سيفعلون ذلك أيضاً. كما أن الإسلام الذي يتبع السنة والجماعة سينتشر بين الأمريكيين ـ الأفارقة، عاجلاً أم آجلاً. وما يقلقني أكثر من ذلك كله فقدان التكامل بين جاليات البيض والسود على مستوى المسجد. فإذا استمر هذا بين أبناء الجيل الثالث من المهاجرين فهذا نذيرٌ بوجود خللٍ في البنية الهيكلية، دون شك.

وأخيراً، فلا بد أن يواجه الأمريكان المسلمون "الخصم اللدود" الهائل: الإعلام الصهيوني القوي البارع المهارة، وجماعات الضغط، اللذين ليسا بمثل هذا التأثير والوجود في أوربا. وطالما أن "اللوبي الصهيوني" يستمر في اعتقاده أن إسرائيل هي "أحسن" حالاً كلما ازداد فشل الإسلام وإخفاقه، وإن معركتنا ستكون "شاقة"، إلا أنه يمكن تحقيق النصر حتى في المعارك "الشاقة".

"مسلم" السنة...

لوس آنجيلوس. ٣ تشرين أول/أكتوبر ١٩٩٨

أتيت إلى جنوب كاليفورنيا لمدة يوم واحد لاستلام "الجائزة السنوية" التي تقدمها خدمة الإعلام الإسلامي *Islamic Information Service* للفائز في ما يسمى: "مسلم السنة". وككثير من المهنيين الأكاديميين المسلمين في أمريكا، فإن الدكتور نذير خاجا، وهو طبيب بشري متخصص في المسالك البولية وجراحتها، وهو من أصل هندي، تخرج من كلية الطب في جامعة هارفارد، يكرِّس كثيراً من وقته للعمل الإسلامي الدعوي. فالأفلام، وأشرطة الفيديو التي ينتجها هو وزميله فاروق عبيسي في أتلادينا لمقابلات مع شخصيات مثل: محمد أسد، وآنميري شايميل، تجد قبولاً وتوزيعاً في مختلف أجزاء العالم الإسلامي. وأعتقد أن ما جعله يختارني لتسلُّم جائزته يحتمل أن يكون شهرة الشريط الذي يحمل عنوان "الرحلة إلى الإسلام" بين المسلمين الأمريكان، والذي أعده لمقابلة معي في شهر أيار/مايو ١٩٩٧. وقد كان من المقرر أن يُتْبَعَ هذا الشريط بشريط آخر عن المناسبة الحالية ("الأساليب الجديدة - الألفية الجديدة").

ولقد تزامنت هذه الحادثة، كالعادة، مع حملة جمع تبرعات أقرب ما يكون إلى حملات جمع التبرعات المهنية المتخصصة، والتي جلبت ما يقارب خمسمئة ألف دولار، وهذا دلل على كل من: الغنى وروح التضحية للأمة في الولايات المتحدة الأمريكية.

ومع ذلك، فقد انتابتني الهواجس طيلة الرحلة، وذلك لأنني لا أرغب منافسة إخواني وأخواتي المسلمات في "سبيل الله"، ولا أرغب أن

أشعر، أو حتى أن أصبح "مسلماً محترفاً" يتخذ من الإسلام "تجارة" أو "حرفة".

القرآن الكريم: مرة بعد أخرى...

اسطنبول ـ ٢٢ تشرين أول/أكتوبر ١٩٩٨

طلب مني شعبان كورت *Saban Kurt*، منذ سنوات ثلاث، وهو صاحب ومحرر دار نشر إسلامية تسمى: "كاجري ياينلارز" *Cagri Yayinlari*، في طوربي ـ اسطنبول، مساعدته في إعداد ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الألمانية بناء على الترجمة التي ظهرت باسم مستعار "ماكس هينينج" *Max Henning* (لايبزيغ، ١٩٠١). وكان قد نشر الترجمة الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم من إعداد مارمادوك بيكتال، كما أنه لا يزال يعمل على إنتاج ترجمة قديمة باللغة الفرنسية لمعاني القرآن الكريم، وباللغة الروسية أيضاً. وكانت أسباب إعادة نشر إصدار هينينج مقنعةً: فهي لا تنطبق عليها حماية حقوق النشر، وأنها كانت الترجمة الوحيدة من قبل غير مسلم لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية يعتبرها المسلمون مناسبة ومقبولة.

لم أكن أدري إلا قليلاً، عندما قبلت طلبه ووافقت عليه. أولاً: كان يجب عليَّ أن أترجم النص من اللغة "القوطية" ـ الجرمانية ـ، إلى الخط اللاتيني، كما يجب إعادة ترقيم كافة الآيات من جديد، إذ إن الترجمة اتبعت طريقة الترقيم المهجورة التي اتبعها وقدَّمها فلوجيل *Flugel* في القرن التاسع عشر. كما اكتشفت أيضاً أن "مقدمة الترجمة" و"الحواشي" التي أدرجها المترجم في ترجمته لمعاني القرآن الكريم كانت بأكملها تقريباً إما "مناهضة للإسلام"، أو على الأقل "معادية" له، بحيث يتوجب استبدالها بأكملها. كما أن "الفهرس" كان بحاجة إلى إعادة كاملة بسبب عدم ملائمته لعصرنا الحالي، ولأنه يعتمد حصرياً على الأفكار والمفاهيم

الواردة في النص المترجم أساساً. (وهكذا، فقد كانت كلمة "الشذوذ الجنسي" مثلاً غير موجودة فيه).

ولم يكُ هذا كل ما في الأمر. لقد أدركت تماماً أن اللغة الألمانية قد تغيرت كثيراً جداً خلال القرن الماضي إلى درجة أن هناك كثيراً من الجمل والعبارات لم تعدْ مفهومة لقراء الألمانية المعاصرة. (إن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد على وجه الأرض الذي حافظت لغته على ما كانت عليه منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة). وأخيراً، كان عليَّ أن أدخل المصطلحات الإسلامية على ترجمة هيننج في عدة أمور هامة جداً. ولقد احترمت وجهات نظر المترجم الأصلي طالما أن هناك مفسراً أو مترجماً واحداً من المسلمين فهم النص بالطريقة التي فهمها هيننج ذاتها. وإذا وجدت أن الأمر خلافاً لذلك، فقد اتبعتُ "الإجماع الإسلامي"، أو "رأي الجمهور (الغالبية)". وأما في الحالات التي لم أجد فيها رأياً للجمهور، فقد أخذت في أغلبها (وليس فيها جميعاً) رأي محمد أسد.

وبما أني كان يجب عليَّ أن أعمل مع سكرتير تركي لا يعرف الألمانية على الإطلاق، ولم يكن لدي برنامج "مُنَسِّقُ نُصُوصٍ" باللغة الألمانية، فقد استغرق العمل مني حوالي ثلاث سنوات تقريباً لإعداد الإصدار الجديد. وقد بدأ توزيع هذا الإصدار الجديد اليوم، حتى على المراكز الإسلامية التركية في ألمانيا. (وقد قدمتُ شخصياً إصداراً آخر في منتهى الأناقة والجمال تمَّ إعداده في ميونيخ من قبل يوجين ديديريخس *Eugen Diederichs*، أثناء معرض فرانكفورت للكتاب في ١٥ تشرين أول/أكتوبر ١٩٩٩).

إذا كنت تظن الآن [عزيزي القارئ] أنني قد "أتقنت" القرآن الكريم، فإنك مخطئ.

زيارتي للمهدي

واد مدني. ١٠ آذار/مارس ١٩٩٩

لقد استطعت أن أزور السودان خلال الفترة الواقعة ما بين ٦ ـ ١٢ آذار/مارس هذا العام، البلد المناضلة المجاهدة المهلكة، ولا شك أن البلد كانت كبيرة جداً بحيث لا تكفي فترة ستة أيام فقط لزيارتها بأكملها. وكنت أتطلع لمقابلة حسن الترابي منذ زمن طويل. ولا غرو أن عدداً ضئيلاً من الناس في ما يسمى دول "العالم الثالث" يتمتعون بمثل ثقافته الواسعة وقدرته الفائقة على التخاطب مع الغرب. ومع ذلك، فهو اليوم يُخشى منه في واشنطن ويصنف على أنه "صاحب السمو الرمادي" في الخرطوم، وأنه مؤيد وداعمٌ للإرهاب.

لقد رأيت بعيني رأسي شخصياً ماذا يعني "إرهاب الدولة" حقيقة عندما زرت آثار مصنع الشفاء للمواد الصيدلانية في وسط الخرطوم، حيث تمَّ تدميره، دون سبب، باستخدام الصواريخ الموجهة (كروز) الأمريكية، دون وجود أدنى "خيط" من الأدلة والبراهين على الاتهامات والادعاءات بأن هذا المصنع ينتج أسلحة كيميائية. إنها مثال على الإمبريالية القاسية الشرسة في القرن العشرين. ومع كل هذا، فالسودانيون أخذوا هذا الموضوع بحكمة ورحابة صدر وروح رياضية مرحة، فقد أوقعوا اللوم على مونيكا لوينتسكي، المعشوقة اليهودية للرئيس كلينتون، ولحاجته أن يوقع ضربة ما بأعدائه.

وكذلك، فإنني لم ألحظ أي دليل أو برهان على معاداة النصرانية أثناء وجودي في الخرطوم. بل على النقيض من ذلك، لقد وصلت متأخراً

ثلاثين دقيقة على موعد إفطار مع السفير الألماني بسبب قطع الطريق بسبب موكب كاثوليكي... وهذا ذنبٌ لا يُغْتَفَر... (وبالمناسبة، لقد منحني تأشيرة الدخول إلى السودان أيضاً شخص نصراني: السفير السوداني في بون).

لا شك أنه أمر مؤثرٌ جداً أن نرى البساطة التي عاشها المهدي، محمد أحمد بن عبد الله، وخليفته في أم درمان، ثم نقدِّر بعد ذلك إقامة الرئيس السوداني الحالي في القصر ذاته الذي عاش فيه مناوئه المتكبر، تشارلز جوردن، عام ١٨٨٥.

إنني لا أعرف أي بلد فقير آخر [في العالم] تتمتع قيادته الصغيرة المثقفة بثقافة عالية جداً، كما هي حال السودان. إن حسن الترابي، وهو أحد قادة الحركة الإسلامية الناشطين، وكتابه الشجاع: "المرأة، والإسلام، والمجتمع الإسلامي (١٩٧٣)"، قد عمل ما لم يستطع عمله أي شخص غيره لإعادة تأسيس الحقوق الإسلامية للمرأة المسلمة. ومهما كان الأمر، فقد كان لقائي معه على الغداء في يوم الثامن من آذار/مارس محبطاً ومخيباً للآمال. لقد انتابني شعور بأنه قد أصبح من الشهرة أنه لم يعد قادراً على سماع "الرأي الآخر".

ولقد زرت اليوم، في واد مدني، على بعد ٢٥٠ كيلومتر جنوب الخرطوم، زرت المدرسة القرآنية، التي لا زالت تدار بالطريقة ذاتها منذ إنشائها قبل ٣٧٥ سنة: صبيان صغار أذكياء، أتوا من مختلف أرجاء إفريقية ليقضوا عدة سنوات في هذه المدرسة، و"يتبناهم" أحد المشايخ البارزين. وهم يستيقظون كل صباح في الساعة الثالثة صباحاً ليتعلموا "سورة" جديدة من القرآن الكريم، ويكتوبها على "ألواحهم" الخشبية بحبر ذاتي قابل للمسح. ويتم تقديم وجبة "الإفطار" بعد صلاة "الفجر". ثم يكررون ما تعلموا في اليوم السابق. وعندما يشتد حر القيظ في الظهيرة يأخذون "القيلولة"، ثم يذهبون إلى فراشهم بعد صلاة العشاء مباشرة. ما

أسعد هؤلاء الأطفال وما أبهجهم، عيونهم "مستيقظة" تماماً!... كان بإمكاني أن أوجه سؤالاً لأي طالب من هؤلاء الطلبة المتقدمين في الدراسة أن يقرأ أي جزء من القرآن الكريم أحدده له، لا على التعيين، ولم يرسب أحدٌ منهم في هذا الامتحان.

بيت القرآن الكريم

المنامة ـ ١ أيار/مايو ١٩٩٩

لم يكن المال وحده، ولكن التكريس العقلي الوحيد للدكتور عبداللطيف جاسم كانو، هو الذي وضع البحرين على خارطة البلدان التي تملك كنوزاً من التراث الإسلامي. كما أنه هنا أيضاً تعمل مؤسسة "اكتشف الإسلام" يومياً لكسب عدد من العمالة الوافدة غير المسلمة لاعتناق الإسلام، حيث يأتي معظمهم من الفيليبين والهند.

إن "بيت القرآن الكريم" هو حالة نادرة للعمارة الحديثة في دول العالم الثالث، وقد تمَّ افتتاحه عام ١٩٩٠، ويضم حالياً مجموعة نادرة من المخطوطات القديمة وترجمات معاني القرآن الكريم، بما في ذلك نسخة من الترجمة اللاتينية الأولى، والتي طبعت عام ١٥٤٣ في بازل باقتراحٍ من مارتن لوثر. وكان من الممتع جداً أن أرى كيف أن هذه الترجمة اللاتينية ـ التي كانت جيدة إلى حد معقول ـ قد وضعت على شكل "سندويشة" بين مجموعتين من المقالات المناوئة أو المعادية للإسلام (مثل: مقالات ميلانتشثون *Melanchthon*)، كي تعمل بشكل مضادٍ على إزالة أي أثر إيجابي قد تتركه الترجمة في ذهن القارئ.

وقد أراني الدكتور كانو، قبل أن أبدأ محاضرتي، بكل فخر واعتزاز، آخر ما حصل عليه: نسخة أصلية لثاني أقدم ترجمة باللغة الألمانية لمعاني القرآن الكريم، أعدها جوهان لانغ *Johnnan Lange*، وقد طبع في هامبورغ عام ١٦٨٨. وقد حملت هذه الترجمة العنوان التالي: "الترجمة

التركية الكاملة للدستور القانوني، أو قرآن محمد"، ويبين هذا أن الإسلام بالنسبة للألمان كان يرى على أنه دين العدو الرئيس لهم "الأتراك".

إن الشعور المعادي للإسلام في ألمانيا، والمتعلق بالعمالة التركية الوافدة، له تاريخ طويل "وطيد".

"إذا زلزلت الأرض زلزالها..."

اسطنبول - ١٧ آب/أغسطس ١٩٩٩

تعرضت تركيا لأسوأ هزة أرضية خلال فترة طويلة في الساعة الثالثة وثمان دقائق صباحاً، وقد بلغت قوة الزلزال ٧,٨° درجات على ميزان رختر. كان مركز الزلزال قريباً من جولكوك *Gulcuk*، القاعدة البحرية التركية على بحر مرمرة قريباً من إزميت *Izmit*. كنت وزوجتي نغطُّ في نوم عميق حين تزلزل السرير بنا لمدة خمس وأربعين ثانية، شعرنا بأنها لن تنتهي. وقد انقطعت الكهرباء، إلا أن الشرطة اتصلت بكافة المواطنين وأبلغتهم بضرورة مغادرة منازلهم تحسباً لهزات أسوأ وأعنف. وهكذا، فقد قضينا عدة ليالٍ في الأيام التالية في موقف سيارات مسفلتٍ قريب من البيت الذي نقيم فيه، وكان مشهداً غريباً أشبه ما يكون بحفلة في منتزه.

وكنت أتنقل بين الناس أذكّرهم بالسورة التاسعة والتسعين من القرآن الكريم، سورة الزلزلة: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾

إلا أنه بدا لي عندئذٍ أنه ليس هناك من أصحابي هؤلاء، الذين يقضون الليل معنا في موقف السيارات المسفلت قد سمع بمثل هذه السورة. لقد قضت "الكمالية" [حركة كمال أتاتورك] على تلك المعرفة بالكامل.

وقد انتشرت إشاعات خلال فترة قصيرة أن القاعدة البحرية، حيث أقيمت حفلة كبار الضباط للاحتفال بالنصر العسكري في الحرب ضد

"الحجاب"، قد دمرت تدميراً كاملاً، بل إنها غرقت في البحر. ألم يُسَمِّ جيليز كيبيل *Gilles Kepel* أحد كتبه: "انتقام الله؟".

وقد تجول الناس في إسطنبول حوالي أسبوع من الزمن مذهولين وكأنهم فاقدو الإرادة والقدرة على الكلام. ثم تابعت الحياة مجراها ثانية فأصبح الناس ثانية مأخوذين بتوافهها، وكأنهم غافلون سادرون في الغيِّ بلا عقل (وغالباً ما يرزحون تحت وطأة السُّكر *raki*) كما كانوا من قبل. كم يحتاج الناس من إنذارات؟ وكم إنذار يأتيهم؟

الدعوة تحت شجرة جوز الهند

كايامكولام. ١٢ شباط/فبراير ٢٠٠٠

إن موقف العالم الإسلامي من "حقوق النشر" متهاون جداً. فإذا وجدنا أن كتاباً صالحاً عن الإسلام، أليس من الأولى أن يصل هذا الكتاب إلى أكبر قدر ممكن من الناس، وبأرخص الأثمان؟ باختصار، إن المسلمين يعتبرون أن المعرفة هي "مُلْكٌ" للجميع. وبالتالي، فهناك الكثير من "النسخ المقرصنة"، لكافة كتبي تقريباً، حتى في لغة "ماليعلم"؛ اللغة التي يتكلمها أهل جنوب الهند.

كان هذا هو السبب الذي تلقيت من أجله دعوة من كوشن *Cochin* لأتحدَّث إلى المسلمين في كيرلا؛ آخر الولايات الجنوبية في الهند، على المحيط الهندي. دخل الإسلام هذه الولاية منذ القرن الثامن للميلاد، ولم يدخلها بالغزو، بل عن طريق التجار العرب الذين قادهم مالك بن دينار. وتتمتع كيرلا اليوم بأغلبية إسلامية تقريباً في السكان، ثم يليهم النصارى، ثم الماركسيون، ثم الهندوس، بذلك الترتيب.

وأما مطار كوشن فقد اقتطع من غابة تكاد لا تنتهي من أشجار نخيل جوز الهند، ويشاهد المرء أيضاً هذه الأشجار على امتداد كافة الطرق. عقدتْ منظمة الطلاب المسلمين في كيرلا مؤتمرها السنوي في كايامكولام الواقعة بين ذراعي نهر، وبالطبع، تحت ظلال أشجار نخيل جوز الهند. وقد حضر هذا المؤتمر ثلاثة عشر ألف طالب (١٣٠٠٠). ولقد انهمرت الأمطار بشكل غزير جداً أثناء محاضرتي الثانية، وهذا أمرٌ غير معهود على الإطلاق خلال ذلك الفصل، وكان لا مجال للنجاة من تلك

الأمطار. وعندما ترددت في الاستمرار في المحاضرة، تردداً ليس إلا، قال عريف الطلبة ببساطة: "لقد قطع ضيفنا ومتحدثنا اليوم ستة آلاف ميل ليحدثكم. لذا، آمل أن تستمعوا إليه." فلم يتزحزح أحدٌ من مكانه لقيد أنملة. واهترأت أوراقي وتمزقت بسبب المطر المنهمر، وكان صوت تمزق هذه الأوراق من خلال مكبرات الصوت أعلى من صوتي ذاته. ومع كل ذلك، فقد رأيت العجب العجاب؛ قوة إرادة هائلة، إذ لم يتحرك واحد من الثلاثة عشر ألف طالب الموجودين في الاجتماع، بل بقوا مستقرين في أماكنهم تكاد ملابسهم تعصر من الماء.

ثم أخذوني إلى "معرض الكتاب". وعندما لاحظت أن كتب معظم المشاهير قد وصلت إليها "القرصنة" ونسخت كتبهم، بما فيهم: فرويد، وداروين، ونيتشه، وسارتر، لم أستطع أن أشتكي أو أتذمر، بل بدأت أشعر بالفخر والاعتزاز.

كانت المشكلة الوحيدة التي عانيت منها أثناء وجودي مع مضيفيَّ هي كرمُهم الزائد في الطعام، مثل بقية المسلمين. كل الطعام كان متشابه المذاق (مثل الكاري، وهو طعام هندي مفضل)، وكان حاراً جداً حتى كدت أمرض. تصوَّرْ أن الماء عندهم يضعون فيه "التوابل والبهارات"!... وللمرة الأولى شعرت كأني أحد السائحين الأمريكان، فعند الإفطار، طلبت من "النادل" في المطعم ما إذا كان عنده "رقائق الذرة المقرمشة" أو "رقائق الأرز المقرمشة" أيضاً!!

"فاس" مقارنة مع "لاهور"

لاهور. ٢٧ شباط/فبراير ٢٠٠٠

دعيت إلى إسلام آباد، ولاهور، وكراتشي نظراً لإعجابي بشخصية خرَّم مراد، وذلك لإلقاء السلسلة الأولى من المحاضرات عن " خرَّم مراد"، في معهد خورشيد أحمد لدراسات "السياسة".

وبما أنني زرت مؤخراً القلعة الحمراء في دلهي، فعندما رأيت القلعة الحمراء في لاهور فقد ذُهِلت للمرة الثانية من الأبعاد الهائلة لهذا البناء الرائع. تعجبتُ من قدرة الإمبراطورات المغول مثل: جهانغير، وشاه جيهان، وأورنغزيب، وأنهم استطاعوا أن يحققوا هذه الإنجازات العملاقة المتناسبة الأبعاد، مما يجعل قصر توب كابي *Top Kapi* وفيرسيليز *Versailles* العثمانية تبدو وكأنها أقزام أمامها؟ وذُهِلْتُ أيضاً من بساطة ضريح الشاعر المفكر الفيلسوف محمد إقبال الذي وضع داخل مبنى قلعة لاهور!...

لا شك أنه لا تزال هناك "لآلئ" في لاهور، مثل: شيش محل (١٦١٣)، ومسجد بادشاهي (١٦٧٣)، إلا أن المرء يكاد يأخذ انطباعاً عاماً أن الهند، وهي دولة غير إسلامية، تهتم بالتراث الإسلامي اهتماماً أحسن من اهتمام جمهورية باكستان الإسلامية.

والأسوأ من هذا هو المدينة القديمة في لاهور، والتي قد تنافس مدينة "فاس" بتراثها الذي يعود إلى القرون الوسطى وجمال مقتنياتها، إلا أنها من القذارة بمكان، ومن كراهة الرائحة بحيث يكاد المرء لا يصدق أنها مدينة للمسلمين. أليست "النظافة" ثلث [شطر] الإيمان لدينا نحن المسلمين؟

ولا غرو أنني منذ شاهدت الفيلم السينمائي الرائع لأكبر أحمد المسمى "جِنَّة" *Jinnah*، أدركت أن باكستان، كدولة إسلامية، قد أقيمت بشكل أعرج، علماً بأنها أسست من قبل رجل سياسي عظيم، إلا أنه لم يكن مسلماً عظيماً [؟؟؟].

دفنٌ في اسطنبول

اسطنبول ـ ٥ نيسان/أبريل ٢٠٠٠

استسلمت حماتي السيدة زكية آجراليبيل، في الخامسة والثمانين من عمرها لمرض "آلزهايمر" ـ الوهن والخرف ـ وقد دفنت اليوم في المقبرة الضخمة المعروفة باسم كارا أحمد في أسكندر. وقد مثّلتْ صلاة الجنازة التي أقيمت في مسجد تيسفيكاي *Tesvikiye* مع صلاة الظهر، مثّلتْ مظهراً مألوفاً: فقد تجمع أكثر من نصف عدد الحضور من الرجال المشاركين في الجنازة في حِلَقٍ حول الباب الخارجي للمسجد يتكلمون، بل ويدخنون أيضاً، وبهذا يمثلون الانقسام الفعلي بين المسلمين الملتزمين بشعائر هذا الدِّين الحنيف، والمسلمين الذي يحملون "جوازات سفر" تركية مكتوب فيها الديانة: "مسلم". وكذلك، لم تشارك أي من النساء في صلاة الجنازة، وكأنهن نُصِحْن ألا يشاركن في مثل هذه الشعيرة أيضاً. وعلاوة على ذلك، فبما أنه أمر تقليدي في تركيا وفي الشرق الأدنى أن يأتي كثير من الناس إلى الجنازة يرتدون ملابس عادية لا تنم عن احترام للميت، كأن يرتدوا بناطيل "الجينز" والقمصان المزوقة، وبالتالي فإن مراسم الدفن لم تعدْ تتمُّ بالصورة المعتبرة لهذه الشعيرة.

وفي الوقت ذاته، تبقى حقيقة أن أفراد عائلة الميت المتوفى يغسلون جثته بأنفسهم، ويحملون نعشه إلى مكان الدفن، ويساعدون في حفر القبر، تعني ضمناً انخراط المسلمين بشكل أعمق في أمر "الوفاة"، أكثر مما هو الحال في احتفال وداع "الميت" لدى الغربيين. أما هؤلاء؛ أي الغربيون، فقد أصبحوا لا ملتزمين إلى حدٍّ أنه عند اختفاء "النعش" آلياً

خلف الستارة لحرقه والاحتفاظ برماده، يمكن أن يخدع الحاضر نفسه بسهولة عن حقائق الموت وصعوباته.

ومع العلم بأن الأئمة الأتراك يعلمون أنها بدعةٌ لا أصل لها، إلا أنهم يأتون إلى بيت "المتوفى" لتلاوة القرآن الكريم والدعاء له لمدة نصف ساعة تقريباً يوم الدفن، وكذلك في اليوم الثامن للوفاة، وفي اليوم الأربعين للوفاة أيضاً. ولعل هذا يساعد في زيادة أجورهم، ويعرِّض الناس الذين هم، لولا هذه المناسبة، لما رؤوا مغطين رؤوسهم أو مصلين على الإطلاق. ولعل هذه الحقيقة أيضاً تعطي، بطريقة أو بأخرى، هذه الاحتفالات "المشايخية" نوعاً من "اللاإسلامية" (وتجعل الزوجات مشغولات في المطبخ حيث يكون قليلٌ من التأمل أدعى لحالتهن).

أخبرني كيف تتعامل مع "ميِّتِكَ"، وأخبرك أنا "مَنْ أنت".

الذكرى المئوية لمحمد أسد

فيينا ـ ١٨ أيار/مايو ٢٠٠٠

نظّمت اليوم الجمعية النمساوية للاستشراق هامير ـ بورجستال *Hammer - Purgstall* حفلة بمناسبة الذكرى المئوية لمولد محمد أسد. لقد ولد محمد أسد في الثاني من تموز/يوليو عام ١٩٠٠ في ليمبيرغ، التي كانت نمساوية في ذلك الوقت، وهي اليوم بولندية.

وهكذا، فقد بدأت النمسا تكتشف أحد أبنائها الهامين؛ العالم الإسلامي، ومع ذلك، فالذين كان محمد أسد بالنسبة لهم "هدية هذا القرن"، أخفقوا في إعارته أي اهتمام. وقد ظهر هذا جلياً في حقيقة أنه، ما عداي، فقد كان المحاضرون في هذا الاحتفال: الأستاذ رينهارد شولتز (بيرن)، وجانثار ويندهاجار (فيينا)، وكان معظم جمهور الحضور أيضاً غير مسلمين. وقد كان جانثار ويندهاجار يحضِّر رسالة الدكتوراه عن محمد أسد، وهذا أمر لم يسمع به العالم الإسلامي.

إن هذه الظاهرة لا تعتمد فقط على اللامبالاة والنكران، ولكنها تعكس كذلك فقدان التسامح بين المسلمين. فشخصٌ كتب مثل الذي كتبه محمد أسد، وكتباً حاسمة مثل كتبه شملت مختلف المظاهر والموضوعات الإسلامية: كالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والفقه، والتاريخ الحديث لباكستان، لا يلقى قبولاً تاماً. صحيحٌ أن المرء قد لا يقبل، ولا يوافق على بعض المظاهر التي وردت في ترجمة محمد أسد لمعاني القرآن الكريم والتعليقات التي أوردها فيها، وكذلك قد لا يقبل المرء الجهود التي بذلها لاختصار المفاهيم الشرعية على ما ورد في القرآن

الكريم فحسب، وقد لا يقره على موقفه من "الحجاب"، ولكن هل يقود هذا إلى تقليل قيمة إسهاماته الضخمة في مسيرة النهضة الإسلامية في القرن العشرين؟ هل شجَّع أحدٌ الغربيين على أن يفهموا الإسلام ويتبنوه [كطريقة للحياة] أكثر من محمد أسد بكتابه "الطريق إلى مكة؟" ترى أي من المثقفين في هذا القرن أمثال: العلامة محمد إقبال، العلامة أبو الأعلى المودودي، الشيخ حسن البنا، الشهيد سيد قطب، فتحي عثمان، الإخوان حتحوت، راشد الغنوشي، أنور إبراهيم، جيفري لانغ، يمكن أن يكون لهم أثرٌ أكثر تأثيراً في الحياة [في هذا القرن] ·مما تركه محمد أسد؟

ليس لدينا الكثير من المثقفين المسلمين لنستبعد عباقرتنا.

قائمة ألفبائية بأهم المفردات والمصطلحات الواردة في الكتاب

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
A la carte	بالصحن، بثمن مستقل لكل لون من ألوان الطعام
Aberration	شاذ
Aberration	ضلال، زيغ، انحراف
Abnegation	نكران الذات
Abstract	المجرد ـ النظري
Absurd	سخيفة ومضحكة
Absurdum	مناف للعقل، سخيف
Accord	اتفاقية، وحدة
Adept	ماهر، خبير
Admonished	حث، حذَّر
Aesthetically	جمالي
Affiliation	ارتباط، علاقة
Affinity	الشبه، المماثلة، المصاهرة، النسب
Agglomeration	التكتل
Agnostic	اللاأدرية
Agnosticism	اللاأدرية
Agnostics	اللاأدرية
Alas	واحسرتاه ـ للأسف، بحزن
Alchemy	الخيمياء، أو الكيمياء القديمة التي تعمل على تحويل المعادن الخسيسة إلى نفيسة
Ale	شراب الجعة

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Allegoric	مجازي، استعاري
Altar	مذبح الكنيسة
Ambiguous	مبهم، غير واضح، غير مؤكد
Ambivalent	مشكوك فيه
Amulet	حجاب ـ تعويذة *charm*
Anarchy	فوضى، اضطراب، ثورة
Annihilating	يدمر، يقضي على
Anomaly	شذوذ، بعد عن القياس
Antidote	حل، علاج
Antidote	علاج، وحل، وجواب
Antipathy	كراهية
Apostasy	الردة عن الإسلام/الدِّيْن
Appellation	لقب، كنية
Archetype	نماذج أصيلة
Ardent	متحمس
Arian	آريوسي
Armistice	معاهدو وقف إطلاق النار
Armistice	هدنة
Armistice	المعاهدة، الصلح
Aryanism	آريوسي
Ascendancy	الهيمنة ـ السطوة ـ الحكم
Asceticism	الزهد، التقشف، التنسك
Assiduously	باهتمام وجد
Atavism	التناسل ـ الرجعي

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Austerity	قسوة ـ تزمت
Autocratic	استبدادي ـ مطلق
Avarice	طمع/مادية
Awe	خشية، رهبة
Axiomatic	بدهي
Axiomatic	الواضح، مسلم به
Babble	ثرثرة وحماقة تافهة
Backdrop	ستارة المسرح الخلفية
Banality	واضح
Barrister	محامي
Barter	التبادلي
Basso	جهير
Behest	أمر ـ وصية
Belated	مؤجل
Bestialities	الوحشية
Big bang	نظرية الانفجار العظيم
Bishop	أسقف، مطران
Blatant	صارخ، شديد الوضوح
Bolero	البوليرو: سترة فضفاضة تبلغ الخصر طولا
Bombastic	منمق، طنان
Boredom	ضجر، ملل
Bowdlerize	يحذف، يراقب، يمنع
Breakthrough	التقدم المفاجئ في المعرفة أو التقنية
Brothels	المواخير ـ بيوت الدعارة

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
By the same token	وفوق ذلك، وللسبب ذاته
Cabalistic	القبلانية، فلسفة دينية سرية عن أحبار اليهود وبعض نصارى العصر الوسيط، مبنية على تفسير الكتاب المقدس تفسيراً صوفياً، معتقد صوفي
Canny	غريب، ممتاز، خارق للطبيعة
Canonist	رجال القانون
Capitulation	الهزيمة
Capitulation	استسلام، هزيمة
Carnal	جسدي - غير روحي
Catechism	كتاب يشتمل على خلاصة العقيدة الدينية مفرغ في قالب السؤال والجواب
Chapel	كنيسة صغيرة
horse . Charlie	ألم وتصلب في الذراع والرجل
Charter	صك، عقد، براءة، دستور
Chronicle	سجل تاريخي
Circumvent	يتجنب
Cloister	دير
Coalition	التحالف
Collateral	الضمانة الإضافية - المصاحبة
Commensurate	معادل
Commodities	سلع تجارية
Compendium	مختصر وافٍ
Complacency	الرضى، الرضى الذاتي

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Complacent	الراضي
Composure	الهدوء، رباطة الجأش
Concede	يقبل، يسمح، يوافق
Concede	يعترف
Conclusive	حاسم، نهائي، مقنع
Conclusive	مؤكد، نهائي، حتمي
Condemnation	شجب، إدانة
Conscientious	المستنكف ضميرياً
Consequences	التداعيات
Consolation	تعزية
Consonant	متوافقة ـ متناغمة
Conspicuous	واضح
Consternation	الرعب، الذعر
Consubstantial	يوحد في مادة أو طبيعة مشتركة
Consubstantial	من نفس المادة أو الجوهر أ والطبيعة
Consubstantiality	اتحاد في مادة واحدة أو طبيعة مشتركة
Consumerism	استهلاك
Consummate	يتم، يكمل، يبني بالمرأة
Contention	الرأي الذي يدافع عنه
Contours	ظلال
Contrive	يخترع
Converging	تقارب/التقاء
Corroborate	أكد
Creed	عقيدة، قانون الإيمان المسيحي

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Crises	أزمات
Crisis	الأزمة
Culminate	يبلغ الذروة
Culminating	انتهى
Cult	عبادة، دين، طائفة
Cynically	ساخر، محتقر، ناقد
Cypress	شجر السرو ـ الصنوبر
Daheshists	داهيشست
Dawn	يتضح للعين أو للعقل
Decadence	الفساد، التفسخ، التدهور
Decadence	الفساد
Decorum	لياقة، ذوق
Defamation	افتراء، اتهام، وتشويه للسمعة، قذف
Deification	التأليه
Deify	يؤلّه، يعظم حتى العبادة
Deify	تأليه
Delusion	التخيل الواهم
Delved	بحث، فكر
Demise	سقوط
Demiurge	خالق الكون المادي عند أفلاطون
Demonization	تحويله إلى شيطان
Denigrating	يسود، يشوه سمعة
Depletion	خفض
Depletion	الاستنزاف/النضوب

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Deprive	يجرد ـ يحرم
Derailment	الخروج عن السكة
Derision	السخرية
Despair	بؤس
Despise	يحقر، يكره
Despotism	الظلم، الدكتاتورية، سيادة الدولة
Deuteronomy	التثنية
Dilapidated	تتداعى
Diocese	أبرشية (أسقفية)
Dionysian	ديونيسي، شهواني، عربيد
Dire	الرهيب
Disaffected	غير متأثر
Discipline	التأديب
Disconcertingly	مرتبك ـ بارتباك
Disdain	الاحتقار
Disillusioned	متحرر من الوهم
Dismal	كئيب، موحش
Divest	يعري، يجرد، يسلب
Dogma	عقيدة ـ مبدأ
Dogmatic	العقدي المتشدد
Domestic	المحلي
Doom	الموت، الهلاك
Doubly	مضاعف
Dove	يمامة، حمامة

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Dumbfounded	مدهوشاً
Dysfunction	الاختلال الوظيفي
Ecstasy	الوجد، الانجذاب الصوفي
Ecstatic	الوجد، الانجذاب الصوفي
Ecumenical	عالمي، مسكوني
Effacing	يطمس، يعفي
Elitism	حكم النخبة
Emanation	نظرية الصدور أو الفيض في خلق العالم
Emanation	نظرية الصدور أو الفيض في خلق العالم
Enigmatic	الغامضة
Ensemble	مجموعة
Ensemble	مجموعة، طاقم
Enticing	جذابا
Entourage	الحاشية - الأصحاب - المرافقون
Entrepreneur	صاحب رأس المال/المُصنّع
Entrepreneurs	المقاول - الملتزم
Entropy	عامل رياضي يُعْتَبَرُ مقياسا للطاقة غير المستفاد منها في نظام حراري
Enunciated	أعلن
Epicenter	المركز السطحي: سطح الأرض الواقع فوق بؤرة الزلزال مباشرة
Epochal	عهدي، فترة تتميز بأحداث خاصة
Equivocal	ملتبس، محير
Eschatology	الإيمان بالأخرويات، كالبعث والحساب

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Eschatology	الإيمان بالأخرويات
Esoteric	فئة قليلة
Eucharist	القربان المقدس
Evangelist	البروتستانتي
Exodus	الخروج
Expedient	المصلحة الذاتية، الوسيلة، الذريعة
Exude	ينشر في كل اتجاه
Exude	ينضح، يتفصد
Fable	خرافة
Fallaciously	مضلل
reaching . Far	ذات أثر واسع
Fateful	مشؤوم، حاسم، محتوم، مقدر
Feat	عمل بطولي، فذ
Fecundity	خصب، مبدع، كثير الإنتاج
Felt	اللبادية
Fervor	الرغبة، العاطفة
Fetish	الولع، التعلق الشديد
Firstborn	البكر
Fixation	تثبيت، تعلق
Flagellation	الجلد، التعذيب
Forego	يضيع
Formidable	هائل، مرعب
Formidable	المرعب، الهائل

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Foster	يشجع
Frantically	بقلق
Frantically	محموم، مسعور
Frantically	مسعور، شديد الاهتياج
Freak	غريب، عجيب
Frieze	إفريز
Fungible	المنقولات
Furuncles	خراجات ـ دمامل
Genre	نوع
Glaringly	بهرجة، زخرفة مبتذلة
Gnostic	الغنوسطية، مذهب العرفان، إن المادة شر وإن الخلاص يأتي ع/ط المعرفة الروحية
Goatee	عثنون، لحية مشذبة
Godhead	الربوبية، الألوهية
Gothic	القوطي
Grandiose	رائع، أخاذ
Grotesque	البشع
Grotesque	بشع، مجنون، كريه، بغيض
Gruesome	رهيب ـ شنيع ـ مخيف
Guild	نقابة، اتحاد
Hallmark	السمة المميزة
harbour . Harbor	يكنُّ
harbor . Harbour	يخفي ـ يؤوي

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Harp	القيثارة ذات الوتر الواحد
Haunted	أقلق، تملك
Heathen	وثنية
Heathen	وثني
Hedonism	لذة ذاتية
Heresy	هرطقة
Heretics	المهرطقون
Histomat	
Hitherto	حتى ذلك الحين
Holistic	القداسة
Holocaust	المحرقة
Huddle	تجمعنا
Illicit	مخالف
Illumination	الإشعاعات
Illusion	الانطباع الكاذب
Imbecile	أبله، معتوه
Imbued	يشرِّب
Imbued	يصبغ بفكرة أو عاطفة
IMF = International Monetary Funds ???	البنك الدولي؟
Immanent	الحلول، المتأصل، الجوهري (صوفي)
Impassivity	انعدام العاطفة
impending	كبيرة
Impotent	عقيم

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Inadvertent	العفوية
Incarnate	التجسيد، التجسد، التقمص، التناسخ
Incongruous	الغريب
Indeterminate	لانهائي
Inertia	العطالة، القصور الذاتي، الكسل، الجمود
Inexorably	عنيد، متصلب
Inexplicable	متعذر الشرح
Infamous	الشائنة
Infidelity	خيانة
Inimical	معادٍ، ضار
Inimical	معادٍ
Injunction	حكم
Insidious	خفي، شرير
Insidious	ماكر، غادر، مغو، مغرٍ
Internationalism	الدولية
Intimidation	يكره بالتهديد
Invariably	بشكل ثابت لا يتغير
Ironical	ساخر، تهكمي
Ironically	ساخر
Isentropic	
Knack	مهمة تتطلب براعة ولباقة ـ حيلة ـ خدعة
Laicism	العلمانية
Latent	كامن، مستتر
Legitimacy	شرعية

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Logos	بادئة معناها الكلام ـ كلمة ـ فكر
Magi	المجوس، السحرة
Manichaeism	المانوية ـ عبادة النور والظلام
Manichaeism	المانوية
Marabout	الناسك، الولي
Medial	معتدلين
Misgiving	مخاوف ـ هواجس ـ شكوك
Misgiving	هاجس، حديث القلب
Momentum	الزخم، القوة الدافعة
Monument	نصب تذكاري، مَعْلَم
Motley	المتنوعة، نسيج متعدد الألوان
Muster	تجمع
Myriad	كثير
Mythology	الأسطورة
Platonism . Neo	الأفلاطونية المحدثة
Platonist . Neo	الأفلاطونية المحدثة
Neutralism	الحياد ـ سياسة الحياد
Nicaea	نيقية
Nicene	نيقاوي ـ منسوب إلى المجمع المسكوني المنعقد في نيقية بآسية الصغرى
Nihilism	عدم، لاشيئية
Nobility	الأشراف، النبلاء
Noirs	

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Nomenclature	تسمية، لوائح كلمات
Nominalist	الإسمانية (مذهب فلسفي يقول بأن المفاهيم المجردة أو الكليات ليس لها وجود حقيقي، وأنها مجرد أسماء فقط.
Normative	المعيارية
Nostalgia	الوطان، الحنين إلى الوطن
Notion	فكرة، مفهوم، اعتقاد
Notwithstanding	ومع ذلك، على الرغم من
Oblivious	غافل
Obscurantism	الظلامية، النزعة إلى إعاقة التقدم وانتشار المعرفة
Obscure	غير واضح
Obstruct	المحجوب
Occult	سري، مكتنف بالأسرار
Oeuvre	الأعمال الكاملة
Onslaught	الهجمة الضارية
Onslaught	انقضاض، هجوم ضار
Ontology	علم الوجود
Ontology	علم الوجود
Opulence	الغنى الشديد
Oracle	وسيط الوحي، كاهن عند الإغريق، الموحى، مهبط الوحي، الوحي الإلهي، الجواب الحكيم الموثوق
Orgiastic	طقسيعربدي
Orthodox	الاعتقاد التقليدي .

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Ostentatious	متفاخر، مولع، متباه
Panaceas	الدواء العام لجميع الأمراض، الكرامة
Panic	يفقد رباطة جأشه
Panoply	درع كاملة ـ كسوة
Pantheism	وحدة الوجود، المذهب القائل بأن الله والطبيعة شيء واحد، وأن الكون المادي والإنسان ليسا إلا مظاهر للذات الإلهية
Pantheistic	وحدة الوجود
Pantheistic	وحدة الوجود
Parsimony	الاقتصاد
Partisans	المشايع، الموالي
Passivity	الاستسلام، الخضوع، السلبية، الموافقة
Pedigree	شجرة نسب
Pensive	غارق في التأمل والتفكير
perennial	دائم/مستمر
Pernicious	ضار
Perpetual	مستمر/دائم
Perpetuated	أبدي ـ سرمدي
Perpetuation	الأبدية، الدوامية
Perpetuity	أبدي
Pervasive	انتشاري
Pervasive	منتشر، متمكن
Perversion	انحراف جنسي
Perverted	تتشوه، تتغير، تنحرف

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Picturesque	فاتن، رائع، منظراني
Pied	
Plausible	معقول ـ مقبول
Plausible	مقبول، مظهر استحسان
Pluralism	التعددية
Pollsters	استطلاعات الرأي
Polyglot	متعدد اللغات
Postulate	تفترض
Postulation	الفرضية ـ النظرية
Prank	مزحة، يزين، يبهرج
Predicament	المأزق، الورطة
emptive ـ Pre	حق الشفعة
Premium	أفضل
Prestige	اعتبار، هيبة، نفوذ
Pretext	حجة، ذريعة، ستار
Primeval	أزلي
Pristine	القديم، الأصلي، البدائي
Pristine	أصلي، بدائي
Profane	تجديفي، تدنيسي، نجس
Profundo	عميق
Progenitor	جد ـ سلف
Proletarian	البروليتاريا ـ طبقة العمال
Promulgated	نشر ـ عمم

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Propensity	الميل، الجنوح، التحيز
Proscription	تحريم، منع
Proselytizing	الهداية، التبشير، إدخال الناس في دين جديد
Prosperity	الازدهار
Provoke	استفزاز - إثارة غضب
Prowess	قدرة، خبرة، مهارة
Prudent	حذِر، حريص، مقتصد
Pseudo	زائف
religion - Pseudo	الدِّيْن الزائف
Puissant	ضعيف
Puritan	متزمت
Puritanism	التزمت - التطهر... حركة دينية ق.١٧
Quack	الصيحات
Quest	المطلب، الضالة المنشودة
Quest	البحث
Rampage	يثور، يمزق
Rampant	مفرط، جامح، غير مكبوح
Rash	متهور - طائش
Ratify	وافق
Reconquista	
Reek	تعبق، تفوح منها رائحة قوية
Refute	يعترض، يبين كذب، أو عدم صحة
Refuted	اعترض على

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Regionalism	الإقليمية
Relegate	قلّل أهمية
Reminiscent	حافل بالذكريات
Renegade	المرتد، الخارج عن الدَّيْن
Repercussion	تداعيات ـ آثار
Reticence	التحفظ والصمت
Retrograde	رجعياً
Revisionist	تطوري، تعديلي
Revocable	قابلة للإلغاء
Riddle	لغز
Rugged	وعر، متجهم، قاسي
Sacrament	السر/القربان المقدس (نصرانية)
Sacrament	السر/ القربان المقدس
Sacrilegious	التحريف ـ الهرطقة
Sadistic	السادية
Sapping	ساذج، يضعف، يوهن
Scholastic	العلمية/الثقافية
Scrutiny	تفحص دقيق
deceit ـ Self	خداع الذات
Sensually	عاقل، حصيف، مميز
Serenely	بهدوء وسكينة
Settlers	المستعمرون
Shrift	اعتراف للكاهن

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Shudder	يرتعد، يرتجف
Silhouette	المسلوتة، المظللة، الصورة الظلية
Sinister	شرير، فاسد، مشؤوم
Skeptical	شكوكي
Skepticism	الشك
Sober	عقلاني، معتدل، عاقل
Soberness	الاتزان، الاعتدال، ضبط النفس
Sodomy	عمل قوم لوط ـ انحراف جنسي
Sojourn	إقامة مؤقتة
Solicitation	إغواء
Sovereign	سيادة
Sovereigns	السَّفْرن، الجنيه الإنجليزي الذهبي
Specter	الشبح
Squander	الإسراف
Squeamishness	وسوسة ـ سرعة الإصابة بالغثيان
Stance	الموقف
Stark	بشدة
Stave	يحطم، يهشم
Stern	قاسي، صارم
stock	مخزون
Stout	جرئ، شجاع
Strands	الخيوط
Stratification	الطبقات
Strew	ينثر

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Sublime	تعالى
Subliminal	دفين، محجوب
Subservient	خانع
Subversion	تدمير، تهديم
Subversive	ثوري
Succumbed	استسلم
Sullen	غاضب، نكد، حزين، حرون، عنيد
Sultry	شديدة الحرارة والرطوبة
Superiority	الأعلى مقاماً
Supernatural	فوطبيعي، خارق للطبيعة
Superstition	خرافة
Surreal	رائع
Tabernacle	وعاء خبز القربان
Taboo	محظور، نجس، محرّم
Tactical	التكتيكية، التخطيطية
Tally	سجل حسابات ذو نسختين
Tempered	تعالج، تلطف
Tetra logy	الرباعية
Theocracies	دينية
Theomorphic	
Theophany	التجلي، تجلي الإله أو الله للإنسان
Theosophy	الكشف الصوفي أو التأمل الفلسفي، أو كلاهما، معتقدات حركة حديثة نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية ١٨٧٥ أساساً على

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
	البوذية والبرهمية.
Tonnage	الرسم الطني على حمولة السفينة بالطن
Torpedo	توربيدو، لغم، فجر
Totalitarian	ديكتاتوري، استبدادي
Trample	يسحق، يدوس
Trance	حلم، نشوة
Transcendent	فوق الوجود المادي
Transcendental	فوق الوجود، تعالى الله عما يصفون
Treason	خيانة، عدم إخلاص ووفاء
Trepidation	الخوف والقلق
Trichinous	مصاب بالدودة الشعرية ـ مترخن
Turmoil	اضطراب، اهتياج
Tutelage	الوصاية
Tutelage	إشراف، رعاية، حماية
Twiddle	يعبث بالتوافه
Ultimate	الهامة
Unabashed	غير خجول
unabashedly	؟!
Uncanny	ممتاز ـ غريب
girded ـ Under	طوَّق ـ حصر
Undermined	انتقص
Underpin	يدعم أساس
Underpinning	أساساً

الكلمة بالإنجليزية	المعنى بالعربية
Unearth	يكشف
Unfathomable	ليس كمثله شيء
Uniformity	الانتظام، الاتساق
Uniformity	انتظام، التماثل، التشاكل
Unitarian	موحِّد ـ طائفة نصرانية
Unmitigated	الكامل، التام
Unravel	يحل الخيوط أو الألغاز
Unraveling	تفكيك ـ حل ـ تخليص
Unrest	الاضطراب
Untold	لا يعد ولا يحصى، طي الكتمان
Utter	كامل
Vagrant	متشرد، تائه، زائغ
Vague	مبهم، وغير واضح
Valiant	محترم، شجاع، مقدام، جريء
Vehemently	بشدة وحرارة
Verbosity	إطناب، إسهاب
Vernacular	لغة مختصين
Viable	قابلة للتطبيق
Wagging	تأرجح